بسم الله الرحمن الرحيم

قبس

من نور الإمام الحسين عليه السلام



الشمري، حسن.

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام / تأليف حسن الشمري الحائري. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ق. = ٢٠٠٨م.

٤٤٨ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٢٦).

المصادر : ص. ٤١٩ - ٤٤١ ؛ وكذلك في الحاشية.

١. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - السيرة. ٢. واقعة كربلاء، ٦١ق. ٣. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق - شعر. ٤. مسلم بن عقيل، ٦٠ق - السيرة. ألف. عنوان.

BP ٤١ / ٤ / ٢ق ٨ش

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر



تأليف

الشيخ حسن الشمري الحائري

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ

عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

الإهداء

إلى:

بقية الله في الأرض...

إلى:

منقذ الإنسان من الضلال والردى، ومن الزيغ والأهواء.

إلى:

سيدي ومولاي الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام ...

أهدي هذا المجهود المتواضع.

راجياً منه القبول والدعاء لتكملة السلسلة الذهبية المباركة.

الشيخ حسن الشمري الحائري

مقدمة القسم

الحمد لله الذي أنعم علينا إذا جعلنا ممن يشترك في إيصال زكاة العلم إلى مستحقيها، والصلاة والسلام على مدينة العلم وعلى بابها وآلهما وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

بعد الإطلاع على كتاب «قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام» لمؤلفه سماحة الشيخ حسن الشمري، وجدنا من المناسب أن نساهم في إيصال مضمون هذا الكتاب القيّم الذي يضم بين طياته ما يحتاجه القارئ الإسلامي وغير الإسلامي على حد سواء، وان نؤدي دورنا كقسم لنشر الثقافة الإسلامية فبادرنا إلى طبعه ونشره لكي تعم الفائدة وينهل القارئ الكريم من شخص السبط الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام الفضائل والكمالات الأخلاقية التي يتصف بها والتي لا يستغنى عنها عاقل أراد لنفسه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، لقد جاء هذا الكتاب القيّم فيطلعنا على جزء أو زاوية من زوايا هذه الشخصية الإلهية فلذا سماه مؤلفه «قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام»، وكان كما قال سماحة الشيخ الشمري قبساً يستضاء به في ظلمات الجهل، فلذا لا يفوتنا إلاّ أن نشد على يد فضيلة الشيخ الشمري ليتم لنا سلسلته المباركة التي تتحدث عن أنوار أهل بيت العصمة عليهم السلام ونبارك له جهوده الكبيرة التي رفد بها المكتبة الإسلامية.

الشيخ علي الفتلاوي

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

المقدمة

هناك محطات تاريخية مهمة في حياة الأمم، فهي تشكّل «الوقود الاستراتيجي» الذي يمدّ الأمة في ساعة العسرة، وتفتح أمامها الآفاق في استشراف المستقبل المضيء، وتشكّل المحطات ومنها النهضات إحدى أهم العوامل في بقاء الأمم وديمومتها، وتظلّ الثورات الرافد الأساسي في ضخّ الروح المعنوية في عروق الأمة بالذات إذا كانت النهضة قائمة على أصول سليمة وقواعد رصينة.

وتظلّ النهضات الفكرية هي الأمثل في معالجة الظواهر الشاذة، فهناك ثورات فكرية وثقافية وصناعية، وأخرى مسلحة، وهذه تحين عندما تستحيل الحلول السلمية، فتأتي المواجهة المسلحة كآخر الدواء و«آخر الدواء الكي»، وهذه تقدّر بقدرها.

فإذا انتفت الحاجة إليها، ترجع الحلول السلمية لتأخذ حيزها المطلوب في واقع الأمة.

والنهضة الحسينية المباركة هي إحدى المحطات المهمة في تاريخ الأمة الإسلامية، بما اكتسبت من ميّزات قلّ أن تجد لها نظيراً في قاموس الثورات.

فقد جمعت كلّ القيم الإسلامية، وتألّقت في تجسيدها، في واقعة الطف، الأمر الذي أدّى إلى بقاء القيم الإلهية حية في قلوب الأحرار وإلى يومنا هذا، فبوقفة الإمام الحسين عليه السلام الثائرة عُرِف الثوار، وبثورته عُرفت الثورات، وبقيادته عُرفت القيادة.

لقد كان القائد الميداني بحق، فهو لم يلتجئ إلى أكمة أو قلّة، وإنما إلى خيمة كانت قريبة إلى ساحة المعركة.

فهو كان قريباً من جيشه، وهذا مما ساهم كثيراً في إذكاء روح الشجاعة والبطولة في أصحابه.

يقول السيد جمال الدين الأفغاني:

«إنّ الإسلام محمدي الوجود والحدوث، وحسيني البقاء والاستمرار»[١].

ومن ثم فإنه عليه السلام جسّد الصفات العملاقة كالإيثار والجود، فقدّم أولاده وإخوته وبني عمومته، وجعلهم سواء مع أصحابه البررة، فبإيثاره تألّق الإيثار وصار واقعاً في حياة الثائرين الصادقين.

لقد أكسب الإمام عليه السلام كل المعاني الجليلة رواءً وجلالاً، فإذا أردنا أن نعرف معاني العزة والإباء، نأتي إلى كربلاء حيث الشموخ بأعلى صوره والكبرياء بأجلى معانيها. قال المولى أبو عبد الله عليه السلام:

«إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا بَرَماً»[٢].

سيدي إذا كان النبي عيسى عليه السلام قد رفعه الله في السماء كي يسمو ويشعّ نوراً، فأنت بتضحيتك وبشهادتك جعلت الأرض سماءً، فبك سمت أرض كربلاء، وجَعَلْتها تظلّل الأمم التي تريد العزة وتهدف إلى الخلاص من الرق والعبودية.

---

(١) الرسالة في الثورة الحسينية: ص٧٧.

(٢) مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩/ص١٩٣. المعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص١١٥. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٤/ص٢١٨. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ص٤٨. كشف الغمة: ابن أبي الفتح الإربلي، ج٢/ص٢٤٢. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٩١.

أليس غاندي محرر الهند من يقول: «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر»[(١)].

لا توجد ثورة عمرها نصف نهار، ثم تُعمّر طويلاً كثورة الحسين عليه السلام.

فأيهـا الـوتر في الخالـدين فـذاً إلى الآن لم يـشفع

تحوّلت كربلاء إلى «رحم معطاء» أخذ ينجب وتتناسل منه الثورات على مرّ التاريخ، حتى هذه اللحظة، فلا غرو في ذلك إذا علمنا أنها قامت على الإخلاص والإيمان واحترام الإنسان.

إنّ نهضة الإمام عليه السلام باعدت بين جبهة الحق وجبهة الباطل، وحفرت خندقاً عميقاً بينهما لا يلتقيان مهما تقادمت الأيام.

إذ جعل للحق علامات مضيئة لا تخبو على مر الدهور وكرور الليالي.

وهل تخبو هذه العلامة!! إذ ترك الماء بعد أن سمع هاتفاً يقول: «أتشرب الماء وقد هُتكت حريمك»، فرمى الماء وهو بأمسّ الحاجة إليه، ثم رجع كالصقر يذبّ عن حريمه بكل بطولة. لقد نمت الصفات بكل صدق، فبقيت تضيء كما لو أنها ولدت تواً من رحم الحقيقة.

في كربلاء كان هناك صراع حقيقي بين الحق والباطل، لقد جعل الباطل «جولة» وحوّله إلى مرحلة مؤقتة بعد أن رام معاوية بن أبي سفيان ويزيد أن يجعلاه دولة ومشروعاً طويل الأمد. لقد قصّر من عمر الدولة الأموية واختزلها في سنوات.

قال العقاد: «لقد كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام سهماً قاتلاً في جسد الدولة الأموية، ولولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام لطال عمر الدولة الأموية».

---

(١) الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي، ص٣٢٧. الأسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي، ص٥٢٥. أهل البيت عليهم السلام ـ في الكتاب المقدس: كاظم النصيري، ص١١١.

وقد أدرك هذا المعنى عبد الملك بن مروان عندما قال للحجاج:

«جنّبني دماء آل أبي طالب فإني رأيت بني سفيان أوغلوا في دمائهم فذهب ملكهم».

إنّ معارك بدر وأحد وحنين والخندق تجلّت صورها في كربلاء.

ففي بدر القلّة إزاء الكثرة.

وفي أُحد حيث الصمود والثبات الذي ظهر في أسمى صوره في مواقف رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي الخندق إذ الدعاء والانقطاع، ثم العزيمة والثبات عند رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام. وكذلك حنين.

وهذه التقت في كربلاء، فصارت تحمل بين جنباتها بدراً وأحداً وخندقاً وخيبراً وحنيناً.

أليس نقرأ في الزيارة المروية عن إمامنا جعفر الصادق عليه السلام في عمه العباس عليه السلام:

«أشهد لقد مضيت على ما مضى عليه البدريون والمجاهدون في سبيل الله»[(١)].

لقد اتسعت كربلاء لتضم كل معاني البطولة والشهامة والإقدام.

وأكاد أجزم لولا كربلاء لما بقي لهذه الصفات من معنى، ولتلاشت كل معاني البطولة والشهامة.

لقد رفعت كربلاء الحسين عليه السلام القيم الإلهية لتصبح قمماً شامخةً يرنو إليها كل عظيم وكبير.

---

(١) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج٦/ص٦٦. المصباح: الكفعمي، ص٥٠٤، بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٩٨/ص٢١٨.

لذلك فمن يطلب السمو يشدّ الرحال إلى كربلاء الحسين عليه السلام كي يلبس حلة العظمة، ويتلفّع رداء الشموخ والإباء.

إنّ معارك بدر وأحد والخندق تكرّرت في كربلاء الحسين عليه السلام.

وأكاد أجزم أنّ كربلاء أوضحت معالم هذه المعارك المصيرية، وجعلتها في إطارها الصحيح بعد أن رام معاوية ويزيد عبر خطة محبوكة تجريد هذه المعارك من إطارها الإسلامي، ووضعها في إطار جاهلي مقيت.

أليس يقول يزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا خَبرٌ جاء ولا وحي نزل[1]

فجاءت كربلاء الحسين عليه السلام لتضع حداً، وتقف بكل شموخ وصلابة أمام محاولات بني سفيان، وتفتح عهداً جديداً لمعارك الإسلام المصيرية.

وهكذا أدخلت كربلاء الحسين عليه السلام معارك الإسلام ثانيةً، تاريخ المجد والخلود، ومن أوسع أبوابه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسينٌ مني وأنا من حسين»[2].

---

(١) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج٢/ص٣٤. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٢٢٦. الغدير: الشيخ الأميني، ج٣/ص٢٦١. تاريخ الطبري: الطبري، ج٨/ص١٨٨. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ ص٢٤٦.

(٢) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٢٧. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٣٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٧/ص٧٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨/ص٢٣٣. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٤/ص١٧٢. سنن الترمذي: الترمذي، ج٥/ص٣٢٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ ص١٧٧. تحفة الأحوذي: المباركفوري، ج١٠/ص١٩. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٥٧٥.

يا لها من عبارة قالها سيد الكائنات ﷺ لسيد الشهداء عليه السلام.

فإذا كان رسول الله ﷺ سيد الكائنات وخاتم الرسل بفعل المجهود الكبير والدور العظيم الذي نهض به، قد تجسّد كاملاً في شخص المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وهذا يعني أن الإمام الحسين عليه السلام قام بكل ما قام به رسول الله ﷺ.

وبحق فإنّ الإمام الحسين عليه السلام قام بنهضة إنسانية جمعت كل جوانبها، فصارت الإنسانية تُعرف به وبقيمه.

وقف الإمام عليه السلام في كربلاء قبيل المعركة، وهو ينظر إلى الحشود تأتي كالسيل، فبكى (صلوات الله عليه)، وكانت إلى جانبه العقيلة زينب عليها السلام فقالت: أخي أبا عبد الله تبكي؟.

قال: نعم أبكي على هؤلاء لأنهم يدخلون النار بسببي[١].

لقد صنع الإمام الشهيد من جديد «جبهة الحق» بعد أن تلاشت، وكادت أن تغرق في خضم المعادلات الجديدة التي أفرزتها «مرحلة معاوية»، ومنها شراء الذمم، وإسقاط الشخصيات، وصنع المذاهب كالمرجئة والقدرية وغيرها.

وحاول معاوية تأسيس دولة جاهلية تحمل بين طيّاتها كل قوانين الغاب، ولكنها مغلّفة بثوب إسلامي مهلهل.

وقد خدع بهذا الثوب الكثير، ومنهم عمرو بن العاص، وقد سرت موجة التغليف في كل الأمصار الإسلامية، حتى حدا بسمرة بن جندب أن يعلن أمام الملأ أنّ آية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾[٢]، نزلت بحق علي بن أبي طالب عليه السلام فصدق الكثير.

(١) بنور فاطمة اهتديت: عبد المنعم حسن، ص٢٠١.

(٢) البقرة: ٢٠٤.

وأخذت الدولة السفيانية على عاتقها إسقاط القوانين الإسلامية الأصيلة كافة، واعتبارها لغواً جاء بها ابن أبي كبشة على حدّ تعبير معاوية بن أبي سفيان: «وهذا ابن أبي كبشة يصاح به في اليوم خمس مرات، لا والله إلا دفناً دفنا»[1].

إنّ مشروع الدولة الأموية كان يهدف إلى هدم القيم الإسلامية من القواعد وحتى يصل إلى الهدف المنشود اعتمد منهج «الخطوة الخطوة».

فابتدأها بإسقاط الشخصيات، وعلى رأسها رسول الله محمد ﷺ، فاصطنع الأحاديث في معامل الغش والخداع، وعبر صنّاع امتهنوا أقذر حرفة في تاريخ المؤامرات، وما الأحاديث التي صنعها معاوية بن أبي سفيان في انتقاص رسول الله ﷺ إلا مصداقٌ حيٌّ يدخل في هذا الإطار.

لقد استكمل معاوية بن أبي سفيان خططه التخريبية، وهيّأ الأرضية تماماً لولده يزيد، فجاء ولده وهمّه الأول تطبيق خطط معاوية، فما كان من يزيد إلا أن يمضي قدماً.

فكانت المواجهة بينه وبين الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي شكّل عقبة كأداء أمام تمرير الخطط السفيانية.

ولكن الإمام (صلوات الله عليه) جرّد سيف الهمة والحكمة والبطولة، فأحال الخطط إلى هشيم تذروه الرياح.

لقد كبرت قيم الإسلام في كربلاء فصارت عنواناً عريضاً للقيم الإلهية، بعد أن تنفست الصعداء، وانزاحت عن صدرها قيود القهر والإذلال.

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج١/ص٣٨. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج١/ص٣٣٢. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٥/ص١٣٠. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢٠/ص٣٠٤. النصائح الكافية: محمد بن عقيل، ص١٢٤.

إنّ الميّزات الأساسية في المبادئ والقيم تكمن في التطبيق الواقعي لها، فلو أنك تكلمت بأبلغ العبارات، وأرقى الجمل، فلن تبلغ المطلوب إذا لم يكن هناك واقع يصدق كلامك.

لهذا قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

لقد جسّد سيد شباب أهل الجنة عليه السلام المبادئ الإلهية في كربلاء، وأعطاها زخماً «واقعياً» جعل العدو يقرّ بذلك.

يقول الحجّار بن أبجر: أتدرون من تقاتلون؟!! إنكم تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين[2].

وقال حميد بن مسلم: والله ما رأيت مكسوراً قط قُتلَ وَلدهُ وأصحابه وأهل بيته أربط جأشاً، وأقوى جناناً من الحسين بن علي، وإنه لكان يشدّ على الرجّالة فتفرّ منه فرار المعزى عندما يشدّ عليها الذئب[3].

إنها العزيمة، ورباطة الجأش، وقوة الجنان التي ترجمت قوة الإيمان ونفاذ البصيرة، وسمو الهدف.

لقد سقى الإمام عليه السلام شجرة الإسلام بحق، وما كان لأحد غير الإمام عليه السلام يسقيها، فشجرة الإسلام تحتاج إلى دم طاهر لأنها تعرّضت إلى أبشع أنواع التشويه والسلب والحرمان.

---

(١) فصلت: ٣٣.

(٢) مثير الأحزان: ابن نما الحلي، ص٤٥. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٥/ص١٩. أنصار الحسين عليه السلام: محمد مهدي شمس الدين، ص١٨٦.

(٣) الأعلام من الصحابة والتابعين: الحاج حسين الشاكري، ج١/ص١٠٠.

لقد حُرِم الناس من ثمارها فطفقوا ينفضون من حولها، ويظنون بها الظنون، لأنهم انتظروا طويلاً، فلم يبصروا شيئاً، فجاء سيد الشهداء عليه السلام ليسقيها، فأثمرت من جديد لتبعث الأمل ثانيةً في قلوب المخلصين، عندها انبجست العزائم والهمم كأفضل ما يكون.

فكانت ثورة التوابين، والشهيد زيد بن علي، وأهل المدينة، واستمرت الثورات والنهضات لتتناسل وتنجب.

إنّ منطق الحياة يتلخص في سلسلة قوانين ثابتة لا تتغير، منها أنّ من يأخذ من الأصل لا تلتبس عليه الأحداث مهما تلفعّت وتشبهت.

ولكن من يأخذ من الهامش لا يزداد من الحقيقة إلا بعداً، ومن الحق إلا عمىً.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1].

لقد أرجع الإمام الشهيد عليه السلام بوقفته «العملاقة» هوية الأمة بعد أن استلبها معاوية ويزيد، وكاد أن يمسخها تماماً.

فمعاوية اعتمد جملة أساليب منها إسقاط شخصية الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذي صنع الأحاديث التي تشين بشخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، راجع أحاديث أم المؤمنين عائشة.

ولم يحدث تشويهاً في تاريخ النبوات مثلما حدث للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلولا تماسك شخصية أعظم كائن في الدنيا، وتفاني المدافعين عنه، وفي مقدمتهم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وسيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام، لفعلت هذه التشويهات فعلها.

(١) الأنعام: ١٥٣.

وقد انبرى أئمة أهل البيت عليهم السلام بأخلاقهم وتفانيهم اللامحدود في الذود عن شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذا أنس بن مالك مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى خلف الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: «إن صلاة علي بن أبي طالب ذكّرتني صلاة رسول الله» صلى الله عليه وآله وسلم.

وصلاة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ذكرت الكثير منهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بدر وأحد والخندق وغيرها.

وهكذا رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القواعد ثم حافظ عليها أهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين).

سيدي إذا كان النبي إبراهيم عليه السلام قد قدّم ولده إسماعيل عليه السلام ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾[1]، ثم ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، كما تقول الآية.

فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدّمك لله قرباناً، فتقبّل الله من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومنك، وهذا يدلّ على أنّ رسالتك أعظم وأعظم.

لقد أدخلت رسالة كربلاء إلى أهمّ مفاصل الحياة، ثم نسختها في سجل العظماء، وقبل ذلك في سجل الأنبياء عليهم السلام.

لقد فتحت عهداً جديداً للأنبياء عليهم السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله،

---

(١) الصافات: ١٠٣.

(٢) الصافات: ١٠٧.

السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله»[(١)].

لقد أورثتهم بعد أن ورثتهم، ثم إنّك أوصلت سلسلة الأنبياء، وأحكمت حلقاتها بعد أن كتبت بدمائك الطاهرة صفحة الأمجاد والإخلاص على أرض كربلاء.

وكيف تكون كربلاء وهي كرب وبلاء، ثمّ تتحول إلى أهم مركز إشعاع لكل أشكاله، ويبدو أنّ كربلاء كانت تنتظرك لتحوّلها إلى أرض يشعّ منها النور الأبدي الذي اتصل بنور السماوات.

قال الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «مكتوب تحت ساق العرش: إنّ الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»[(٣)].

وهكذا يتصل نور السماوات بنور الحسين عليه السلام ثم يكون فيه، يا له من مصباح قد جمع نور السماوات والأرض.

---

(١) كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه، ص٣٧٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، ج١/ص٣٠٢. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ج٢/ص٦٠٤. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج٦/ص٥٨. مستدرك الوسائل: الميرزا النوري، ج١٠/ص٣٠٠. المزار: الشيخ المفيد، ص١٩٧.

(٢) النور: ٣٥.

(٣) مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني، ج٤/ص٥٢. الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي، ص٣٣١. الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام ـ: الشيخ علي الكوراني العاملي، ص٣٣٦.

ثم هناك الواقع الأمثل، لذلك عندما نقرأ حديث الرسول الأعظم ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1]، والجنة أوسع ما في الكون، وفيها من الأنوار ما لا حدود لها، يأتي المعنى الكبير ما قاله رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[2].

وفي طف كربلاء برز الإيمان كله إلى الشرك كله، وقد تمثل الإيمان بسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام لأنّ طاعة الإمام طاعة الرسول وطاعة الرسول ﷺ طاعة الله.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3].

وأما الحديث فقال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[4].

وبما أنّ وجود النبي ﷺ من وجود الإمام أبي عبد الله عليه السلام فتمثّل الإيمان كله، وأما الشرك كله بما أن يزيد خرج على إمام زمانه، ومن يخرج على إمام زمانه فهو مشرك.

قال رسول الله ﷺ: «من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، فميتته جاهلية»[5].

---

(١) مسند زيد بن علي: زيد بن علي، ص٤٦١. الأحكام: الإمام يحيى بن الحسين، ج١/ص٤٠. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٤/ص١٢٥. فقه السنة: الشيخ سيد سابق، ج٣/ص٤١٧. نضد القواعد الفقهية: المقداد السيوري، ص٩٨.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج١/ص٢١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص١٥٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج٢/ص٧١٧.

(٥) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج٧/ص٢٦٣. المجموع: محي الدين النووي، ج١٩/ص١٩٠. روضة الطالبين: محي الدين النووي، ج٧/ص٢٧١. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج٤/ص١٢٤. المغني: عبد الله بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٣/ص٢٥٨. نيل الأوطار: الشوكاني، ج٧/ص٣٥٨.

وقال رسول الله ﷺ: «من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[١].

فيزيد جاهلي ومشرك بنص الحديث، وقد مثّل الشرك بأقبح صوره عندما تمثّل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسلْ

لعبت هاشمٌ بالملك فلا   خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزلْ

فأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا: يا يزيد لا تشلْ

لست من خندف إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعلْ[٢]

وثورة الإمام الحسين عليه السلام هي القانون الذي لا يقبل الاستثناء والاستئناف، فهي تمضي قدماً، وتجري كالشمس والقمر.

قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[٣]، وكذلك ثورة الإمام عليه السلام.

إنَّ كلَّ الثورات أكلت رجالها وأبناءها، فما أن تنجح وتستقر حتى تبدأ بالانسلاخ والتآكل، إلا ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام فإنها بقيت على واقعها الحي، بل ازدادت أصالة، وهذا شيء فريد في عالم الثورات.

وهي حافظت على قيمها في كل مراحلها، بالذات بعد انتهاء الشوط الأول في كربلاء الذي هو بداية التأسيس للمرحلة الأولى.

---

(١) مجمع الفائدة: المحقق الأردبيلي، ج١٢/ص٢٩٩. الحدائق الناظرة: المحقق البحراني، ج٥/ص١٧٦. شرح المقاصد في علم الكلام: التفتازاني، ج٢/ص٢٧٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٥/ص١٧٨. تاريخ الطبري: الطبري، ج٨/ص١٨٨. ينابيع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج٣/ص٣٢.

(٣) يس: ٣٨.

وهكذا انبرى الإمام زين العابدين عليه السلام، وعقيلة الهاشميين زينب عليها السلام ليكملوا المراحل الباقية، وقد ساعدهم على ذلك مرحلة التأسيس في أرض كربلاء، إذ تركّزت أعمدة النهضة الحسينية، وغارت في عمق الحقيقة والواقع، فمن البديهي أن تأتي المراحل اللاحقة وضّاءة ومشرقة، وهذا ما كان.

فقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام برباطة جأشه، وقوة جنانه، وسمو منطقه، الابن البار لنهضة أبيه عليه السلام، ورجل الثورة بحق.

إذ وقف أمام عبيد الله بن زياد بكلّ جرأة وشهامة، وكأنه ينزع عن لسان أبيه في كربلاء، قائلاً: «كان لي أخ يدعى علي الأكبر قتله الناس»[1].

فردّ عليه عبيد الله: بل قتله الله.

فقال إمام الحق عليه السلام: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[2].

وأما في مجلس يزيد فحوّل المجلس إلى «طف ثانية»، حين زلزل عرش يزيد، وهزّ أركانه من القواعد بخطبته «العلوية الحسينية».

الشيخ حسن الشمري

دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام

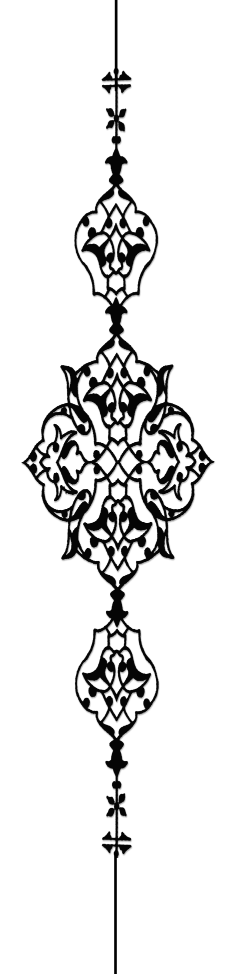
(٢٠/جمادى الثانية/١٤٢٩هـ)

يوم ميلاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

---

(١) شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج٣/ص١٥٧. أبناء الرسول في كربلاء: خالد محمد خالد، ص١٤٣.

(٢) الزمر: ٤٢.



الفَصْلُ الأَوَّلُ

الولادة والنشأة

ولادة الإمام الحسين عليه السلام

حملت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بالإمام الحسين عليه السلام بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام. وقد حملته بعد أن تعمقت فيها خصال الجنة من طهر وصفاء ويقين.

فغذّته وهو في رحمها الطاهر من صفات الجنة، فإذا كان النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم يغذّيه بإبهامه المباركة حتى ينبت «لحم» رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كيانه، ثم يمتزج فيه فيكون جسداً واحداً يحمل جميع صفات جده صلى الله عليه وآله وسلم.

فإنّ الزهراء عليها السلام كانت تغذّيه العبادة والأخلاق، وهو يقطع سنيّه الأولى في بيت النبوة والإمامة، ليتكامل الغذاء وليشكّل مصدراً لا مثيل له في المعنويات.

وقد ثبت في علم التشريح أنّ الجنين يتغذّى أولاً على الأخلاق، فإنّ نفسية الجنين تكون مهيّأة، وأكثر استعداداً لتقبّلها.

ورد في كتاب «مناقب ابن شهر آشوب»:

«لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسن عليه السلام خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض وجوهه، فقال لها: إنك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أصير إليك.

قالت: فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن وله ثلاث ما أرضعته، فقلت لها: أعطنيه حتى أرضعه.

فقالت: كلا.

ثـم أدركتهـا رقّـة الأمهـات، فأرضـعته، فلمـا جـاء الـنبي ﷺ، قـال لهـا: مـا صنعت؟. قالت: أدركني عليه رقة الأمهات فأرضعته.

فقال: أبى الله عز وجل إلا ما أراد.

فلما حملت بالحسين عليه السلام، قال لها: يا فاطمة إنك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أجي إليك ولو أقمت شهراً. قالت: أفعل ذلك.

وخـرج رسـول الله ﷺ في وجوهـه، فولـدت فاطمـة عليها السلام الحسين عليه السلام، فمـا أرضعته حتى جاء رسول الله ﷺ، فقال لها: ماذا صنعت؟. قالت: ما أرضعته.

فأخـذه، فجعـل لـسانه في فمـه ﷺ، فجعـل الحـسين عليه السلام يمـصّه، حتـى قـال النبي ﷺ: إيهاً حسين، إيهاً حسين.

ثم قال: أبى الله إلا ما يريد، هي فيك وفي ولدك «يعني الإمامة»[1].

ويبقى الجنين يتأثّر بأخلاق أمه أكثر من أبيه، ويتقبّل كل ما في نفسية الأم من صفات طيبة.

لذا كانت الزهراء (صلوات الله عليها) أثناء الحمل في أعلى درجات العبادة، ساعدها على ذلك «الاهتمام» الكبير الذي كان يوليه رسول الله ﷺ لفاطمة الزهراء عليها السلام.

فقـد طلبـت خادمـة لتـساعدها علـى شـؤون البيـت، لأنّ الإمـام أمـير المـؤمنين علي عليه السلام كـان «مـضيافاً»، وقـد ثبتت في الروايات أنّ الإمـام عليه السلام كـان يتـألّم كـثيراً إذا انقطع عنه الضيف.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٣/ص٢٠٩. مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني، ج٣/ ص٤٩٤. الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجولي، ج٢/ص٥٩٩. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج١/ص٣٤. شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي، ج١٠/ص٦٥٠.

فعندما جاءت الزهراء عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب الخادمة قال لها: «بنية فاطمة ألا أعلّمك ورداً خيراً لك من الدنيا وما فيها؟». قالت: نعم يا أبت.

فعلّمها «تسبيحة الزهراء عليها السلام»، وهي أربعة وثلاثين مرة الله أكبر، وثلاثة وثلاثين مرة الحمد لله، وثلاثة وثلاثين مرة سبحان الله[1].

إنّ الاهتمام البالغ كما ثبت في علم النفس التربوي، بالذات من الأب يولد حماساً عند الأولاد، وعند الإناث خاصة.

فالبنت تنتظر من أبيها أكثر من أمها، وإذا احتفى الأب بابنته واهتم بها، فإنّها تأخذ الكثير من صفاته، بالذات الآباء المثاليين كما ثبت في علم النفس.

وقد أخذت الزهراء عليها السلام الكثير من صفات أبيها العظيم حتى انفردت بهذه الميزة، وقد قيل أنها كانت نسخة ثانية من أبيها (صلوات الله عليها وعلى أبيها).

جاء في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام سمو المعنى في سمو الذات) للدكتور العلايلي: «فالسيدة فاطمة أتّمت في نفسه فكرة الخير، والحب المطلق، والواجب، ومددت في جوانحه أفكار الفضائل العليا بأن وجهت المبادئ الأدبية في طبيعة الوليد من أن تكون هي نقطة دائرتها إلى الله الذي هو فكرٌ به يشترك فيها الجميع.

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: السيد ابن طاووس، ص٥٤٢. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص١٣٤. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج١/ص٨٠. صحيح البخاري: البخاري، ج٦/ ص١٩٣. صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج٨/ص٨٥. فتح الباري: ابن حجر، ج١١/ص١٠٥. عمدة القاري: العيني، ج٢١/ص٢٠. الديباج على مسلم: جلال الدين السيوطي، ج٦/ص٧٥. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي، ج١/ص٢٤. مسند ابن راهويه: إسحاق بن راهويه، ج٥/ ص١٢. السنن الكبرى: النسائي، ج٦/ص٢٠٣. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج١/ص٤٣٦. المعجم الأوسط: الطبراني، ج٣/ص١٦٠. كنز العمال: المتقي الهندي، ج١٥/ص٣٣٢.

وبذلك يكون الطفل قد رسم بنفسه دائرة محدودة قصيرة حين أدار هذه المبادئ الأدبية على شخص والدته، غير متناهية حين جعلت فكرة الله نقطة الارتكاز»[(١)].

وقد نقلت الزهراء عليها السلام هذه الصفات إلى جنينها الحسين عليه السلام، وقد أكملت المهمة.

لذلك عندما ولد الإمام الحسين عليه السلام لم يكن ليحتاج إلى «الرضاع» من أمه الزهراء عليها السلام، وقد تغذّى كاملاً في بطن أمه مما يدلّ على أهمية «الرحم».

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[(٢)].

وقال تعالى على لسان أم مريم عليها السلام: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(٣)].

والآية واضحة في أهمية الرحم ﴿ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾[(٤)].

وقد رعت الزهراء عليها السلام جنينها، إذ شملته بالعناية الفائقة، وأفردت له حيزاً كبيراً من الاهتمام، ومثلما أسلفنا فإنها بلغت في عبادتها أقصى الدرجات، وكذلك في أخلاقها، إذ لم يحدث التاريخ أو يسجل موقفاً متصلباً لها في البيت، بالذات إزاء زوجها «العظيم».

فقد خلت أجواء البيت تماماً من أشكال العصبية والحدَّة كافة التي طالما تحدث في البيوتات مما يؤثر سلباً على الجنين، فيخرج إمّا مشوّهاً، أو حاملاً لهذه الصفات.

---

(١) الإمام الحسين: الدكتور الشيخ العلايلي، ص٢٨٩.

(٢) المرسلات: ٢١.

(٣) آل عمران: ٣٥.

(٤) آل عمران: ٣٥.

ولادة الطاهر

ولد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان من السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة، على أشهر الروايات، وقد احتضنت المدينة المنورة البيت الطاهر الذي ولد فيه الإمام الحسين عليه السلام.

وعندما أولدته الزهراء عليها السلام لم تر دماً، وهي إحدى المعجزات، فجاءت به إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

جاء[١] عن أسماء بنت عميس أنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أسماء هلمي بابني».

فدفعته في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجرة وبكى.

قالت أسماء: قلت: فداك أبي وأمي ممّ بكاؤك؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: على ابني هذا.

قلت: ولد الساعة وتبكيه؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أسماء، تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا، فإنها قريبة عهدٍ بولادةٍ.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: أيّ شيء سميت ابني؟.

فقال عليه السلام: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ولا أنا أسبق ربي.

---

(١) جاء في (مستدرك الوسائل: ج١٥)، و(فرائد السمطين: للحمويني، ج٢).

ثم هبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد؟ العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول: «علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك، فسم ابنك هذا باسم ابن هارون». قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وما اسم ابن هارون؟.

قال: شبير.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: لساني عربي يا جبرئيل.

قال: سمّه الحسين[1].

وأنا لا أميل إلى هذه الرواية، ولكن هناك رواية تقول أنّ الذي أعطى الحسين عليه السلام هي الزهراء عليها السلام، وعندما أخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى.

فقالت الزهراء عليها السلام: ممّ بكاؤك يا أبت؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: الآن نزل عليّ جبرئيل، وقال: إنّ ولدي هذا يقتل في أرض كربلاء.

فقالت الزهراء عليها السلام: وا حسيناه، وا ولداه[2].

ويبدو أنّ هذه الرواية التي ينقلها أساطين العلم هي الأشهر والأقرب:

١ ـ لأنّ الزهراء عليها السلام ما كانت لتترك الحسين (روحي فداه) في هذه اللحظات التي تخشى الأم كثيراً على وليدها.

٢ ـ والرواية الأولى لم تأخذ شهرتها، ثم لم ينقلها الكثير من علماء أهل البيت عليهم السلام، كالشيخ المفيد، والعلامة المجلسي، وثقة الإسلام الكليني.

---

(١) مسند زيد بن علي: زيد بن علي، ص٤٦٨. الأمالي: الشيخ الصدوق، ص١٩٨. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق: ص٥٧. مستدرك الوسائل: الميرزا النوري، ج١٥/ص١٤٥. جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي، ج١/ص٣٤٤. مسند الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ عزيز الله عطاردي، ج١/ص١٥٠.

(٢) مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني، ج٤/ص١٩٦.

٣ ـ والرواية الأولى تنصّ أن الرسول الأعظم ﷺ أعلم أسماء بنت عميس أن لا تخبر فاطمة بقتل الإمام الحسين عليه السلام.

علماً أنّ الرواية المشهورة كما أسلفنا تنصّ على أن الرسول الأعظم ﷺ بكى وأخبر الزهراء عليها السلام.

وإذا يمكن توجيه الرواية الأولى نقول: أنّ الرسول الأعظم ﷺ ما كان يريد أن يحزن الزهراء عليها السلام بعدما أخبرها مرة ثانية.

ويمكن أن نقول أنّ أسماء بنت عميس المرأة الصالحة قد أخذت الإمام الحسين عليه السلام من الزهراء عليها السلام، لأنها كانت ملازمة لأهل البيت عليهم السلام، وكانت تشترك معهم في مهام البيت النبوي.

فهي كانت من الصالحات التي قلَّ نظيرهنّ، وكان أهل البيت عليهم السلام وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ يجلّها كثيراً ويذكّرها بخير، وكذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي تزوجها بعد أبي بكر. فكانت نِعْمَ المرأة.

وهكذا ولمكانتها فقد أخبرها رسول الله ﷺ، ثم أوصاها أن لا تخبر الزهراء عليها السلام كي لا يتجدد حزنها على الإمام عليه السلام.

ثم إنّ النبي الأكرم ﷺ بعد أن لفّه بخرقة بيضاء أخذ يلقمه «إبهامه» الشريف، فكان الإمام الحسين عليه السلام يتغذى منه حتى نبت لحمه، كما تقول الروايات من لحم رسول الله ﷺ.

وهل يمكن أن نقول أنّ «إبهام» الرسول الأعظم ﷺ كان فيه من الغذاء ما يكفي الإمام الحسين عليه السلام.

ثم ما هو نوع الغذاء؟!.

إنّ الروايات لم تذكر شيئاً، ثم لم تكشف عن هذا السر، إلا أنّ بعض الكتّاب الأجلاء ربط بين الرضاع من الإبهام وإنبات لحم الإمام الحسين عليه السلام من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستدلاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين»[1]. ونقول:

أولاً: إنّ إرضاع الإمام الحسين عليه السلام من إبهام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يبقى سرٌّ يكتنف حياة الإمام العظيم، ومن ثم يحتاج إلى «قابلية إيمانية»، و«نفاذ بصيرة»، و«قوة علمية» حتى تكتشف أبعاد هذا السر، كما هي الآيات المتشابهات.

فهناك من الآيات المتشابهة ما تحتاج إلى نفاذ بصيرة، وقوة علمية لاستخراج المعنى، ولكن هل الذين سبقونا من أساطين العلم لم يبلغوا هذه المرتبة حتى يأتي الآخرون، ومن ثمّ يكتشفوا هذا السر؟.

إنّ الذين سبقونا قد بلغوا مرتبة عالية، وهذا لا شك فيه، ولكن (والله العالم) لم تتوفر لديهم «الآلية العلمية» لاكتشاف السر، ونحن ننتظر انجازات العلم حتى يمكن تفسير هذه الظاهرة الفريدة التي اختصّ بها المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

كما هي الآيات العلمية في القرآن الكريم، مثل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[2]، فالعلم أثبت أنّ هناك طبقات «الغلاف الغازي» الذي يحفظ الأرض من النيازك.

وما أكثر الأسرار التي طواها الله عز وجل حتى يستحث بها العقل، ويشحن الذهن، وقد يكون «الرضاع» إحدى هذه الأسرار.

---

(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٢٧. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٣٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٧/٧٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨/ص٢٣٣. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٤/ص١٧٢. سنن الترمذي: الترمذي، ج٥/ص٣٢٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ ص١٧٧. تحفة الأحوذي: المباركفوري، ج١٠/ص١٩. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٥٧٥.

(٢) الأنبياء: ٣٢.

ثانياً: وقد يكون الرضاع من «الإبهام» سلوك روحي أكثر منه مادي، فإن وضع الإبهام الطاهر في فم الإمام الحسين عليه السلام يؤثر روحياً ومعنوياً بالضبط حين يرضع الوليد من الجانب الأيسر للأم، فإنّ دقّات القلب تؤثر كثيراً في كيان الطفل كما أثبته العلم «في جامعة كورنيل»[1].

لذلك فإنّ الأحاديث تؤكّد على الرضاع من الجانب الأيسر كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

ثم إنّ الإبهام الذي يلفه الجلد تتجدّد خلاياه باستمرار كبقية الجسد، وبالذات الذي يحتكّ كثيراً.

ولا شكّ فإنّ خلايا الإبهام الظاهر تختلط بدم الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما أثبته العلم.

ثم إرادة الله التي تخلق كل شيء على وفق سننه وقوانينه، فإذا كنا نستفهم عن السبب، وما هو الداعي؟ والربط بين الإبهام والتغذية، فعلينا أن نتساءل: ما هو الربط بين الجبل وخروج ناقة صالح عليه السلام مع فصيلها؟.

وهل الجبل هو الرحم الطبيعي لولادة الناقة؟!.

وهكذا الكثير من الظواهر لكن الله عز وجل يجري الظواهر على وفق قوانينه وسننه التي تستبطن الحكمة، واستظهارها مرهون بإعمال العقل واستنارته.

والعقل أعظم قوة في الإنسان، فإذا استحثها تظهر ما لا يتصوره الإنسان، ولكن إذا أهملها، ثم غضّ الطرف عن هذه القوة الجبارة، فإنها تخبو، وفي بعض الأحيان تتلاشى، وهذه أكبر خسارة تلحق بالإنسان.

---

(١) راجع: قبس من نور الإمام الهادي عليه السلام: للمؤلف.

إنّ الجيل الذي نعلّق الآمال عليه، ونتحدث كثيراً عنه أصبح لا يهتم بعقله بقدر ما يهتم بعواطفه وأحاسيسه، الأمر الذي أدّى به إلى الشطط، وعدم فهمه للواقع، وقد التقيت أكثر من شاب فرأيته لا يفقه معادلات الحياة، ولا يستوعب الحاضر بجوانبه المختلفة، بالذات الجانب «العقلي والمنطقي»، ولكن حتى لا نبخس حقه فهو ملم بعض الشيء بالجانب العلمي، وهو لا يكفي في بناء الشخصية «المتوازنة»، وحتى الجانب «العلمي» بدأ الاهتمام به «يضعف»، وينحدر إلى أدنى مستوى له.

فعليه فإنّ الأسرار تحتاج إلى عقل بصيرٍ وفاعل، بحيث يخرج المعاني «الحكمية» منها وبإمكانه ذلك لو تخلص من «إرث الماضي» و«الحاضر».

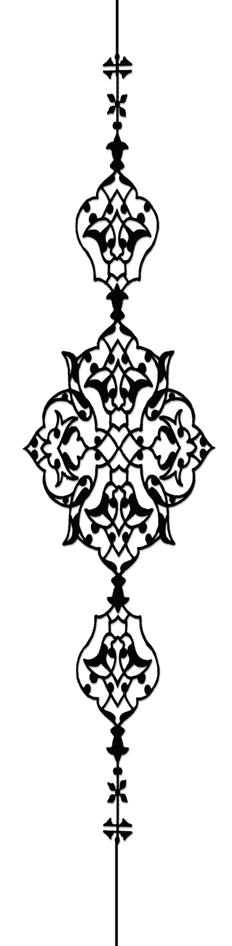
أما الماضي فيتمثل بالتقاليد البالية، وأما الحاضر فيتمثل في صنمية الكمبيوتر والإنترنت والتلفزيون والفيديو والسيدي والسينما والمجلات والجرائد ووسائل الإعلام التي باتت تسيطر على «عقلية الإنسان تماماً»، فباتت تصوغ كل تصوراته وأفكاره، فصار نسخة من «الكمبيوتر»، فأخذ يختزن ويجمع أكثر ما يحلل ويتعمق في تحليله.

إنّ صنمية «الكمبيوتر» عطلت قوى كثيرة في الإنسان، وفي مقدمتها «العقل»، وأقصد «العقل العربي»، فهو يعيش الآن ضمن دائرة محدودة، إذ ليس باستطاعته تجاوزها، فيكتشف المرحلة المتقدمة.

وهكذا فهو يبقى ينتظر ما ينتجه الآخرون، فتبقى «قضية الاستعانة بالآخرين»، وانتظار ما يجود له مطروحة بقوة في الواقع اليومي.

الفَصْلُ الثَّانِي

الشخصية الحسينية



شخصية الإمام الحسين عليه السلام

يقول علماء النفس: «إنّ الإنسان بشخصيته»، وكلما تماسكت شخصيته برزت صفات عالية فيه، وقد يعيش الإنسان بشخصيته أكثر من عمره، من هنا فإننا نرى البعض يتكلم وكأنه «عملاقاً»، وعمره لا يتعدى العشرين، وقد صادفت بنفسي بعض هؤلاء فوجدته كبيراً، وكأنه اكتنز معادن العلم والحكمة، بقضّها وقضيضها.

ثم إنّ شخصية الإنسان تتماسك إذا ترعرع في جو عائلي مستقيم، فإن أجواء العائلة ومناخها السليم يهيئان المقدمات الأساسية للشخصية، فالعبق العائلي لا مثيل له، كما لا يغني عنه شيئاً، ولو جئت بأمثل المؤسسات فهي لا تغني، لذا فإنّ علماء النفس يقرّون أنّ الإنسان إذا فقد الجو العائلي بالذات في الصغر فلا تعوّضه أيّ مؤسسة تربوية، ولا يمكن أن تسدّ الفراغ، حتى لو جئنا بمؤسسة مثالية فإنها لا تعوّض الإنسان بما فقده من «الجو العائلي»، فالجو العائلي له أثر كبير.

وقد عاش المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام جواً مثالياً، وغاية في السمو، الأمر الذي أدّى إلى تماسك شخصية الإمام عليه السلام وجعلتها تتقمّص «ثلاث شخصيات» من أعظم ما خلق الله على الأرض: الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام.

فتجلت في شخصيته ملامح سيد الكائنات، ووصيه بالحق، والصديقة الزهراء عليها السلام بأرفع معانيها، وأجلى صورها.

ونقول: إنّ من يتقمص شخصيةً عظيمةً يحتاج إلى مقدمات وجهد استثنائي، فكيف إذا تقمّص شخصية سيد الكائنات، بل سيد ولد آدم، ثم شخصية سيد الأوصياء، وسيدة نساء العالمين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد جاءت هذه القابلية عند الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام من استظلاله بهذه الشخصيات، والاهتمام البالغ من قبل سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، فهي التي مَكَّنَت فيه الأسباب، وهيَّأت في كيانه الأرضية الصلبة، التي استطاعت أن تتقبل صفات عمالقة «الحياة».

ولا غرو فإنّ الأم تصنع المعجزات، يقول البابليون: «إنّ الأم التي تهزّ المهد بيمينها بإمكانها أن تهزّ العالم بيسارها».

والأم هي التي صنعت أديسون، وبإمكانها أن تصنع الكثير، فهي بحق «أعظم جامعة» على وجه الأرض.

فكانت الزهراء عليها السلام التي ساهمت في صياغة شخصية الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام الرجل الخامس في سلسلة الرجال الخالدين، من لدن آدم عليه السلام، فحملته طاهرة ووضعته نقية، وغذته زهراء، نعم فإنّ قلبها الطاهر الذي حمل قنديل الإيمان انعكس نوره على قسمات وجهها، فسكبتها في قلب الإمام ونفسه، والنور الذي يسطع في قسمات الإنسان يختلف عما عليه «ضياء الكهرباء»، فنور القسمات يدخل في عمق الإنسان، ثم يعمل فيه تموّجات عالية.

وقد غذّته الزهراء عليها السلام بكل إجلال وإكرام، حتى دخلت في أعماقه فتكوّنت علاقة عميقة بين الإمام عليه السلام، والصديقة الطاهرة عليها السلام.

جاء في كتاب «كيف تعلم جرترود أولادها: How Gertrude her children»

«فالوالدة بما أودع فيها من الغريزة الفطرية مدفوعة إلى العناية بمولودها فيبتهج خاطره، ومن ذلك تتولد في فؤاده عاطفة المحبة والثقة والشكر، يعرف الطفل وقع قدمي والدته، ويبتسم كلما شاهد خيالها، ويحب كل من على شاكلتها، ويعتقد أنّ كل مخلوق مثلها هو مخلوق طيب، فكما يبتسم في وجه والدته يبتسم في وجه كل إنسان يحب كل من تحبه، ويعانق كل من تعانقهم، ومن ذلك تتولد فيه عاطفة الإنسانية والإخاء، فالمحبة بنت الحاجة وعنها نشأت، والشكر مولود التغذية، ولولاها لما أزهر في فؤاد الطفل، والثقة بنت العناية».

وإذا علمنا أن الزهراء (صلوات الله عليها) ترعرعت في جو مثالي مشبّع بالمحبة والاحترام، فالسيدة خديجة عليها السلام راعت كثيراً مقام النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، لأنها تعرف مكانته عند الله عز وجل مما أثر كثيراً في سلوكها داخل البيت، فجعلت منه واحة يستريح إليها النبي صلى الله عليه وآله ويتعلق به من أعماق قلبه لذا كان يذكر السيدة الطاهرة بكل خير كلما مرت ذكراها.

وكان لهذا المناخ الأثر البناء في كيان الزهراء عليها السلام، فكانت نِعْمَ الأم لأبيها وأولادها الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين).

إنّ تماسك شخصية الإمام عليه السلام يعود بالدرجة الأولى إلى جده رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يعمق فيه صفات الخير من خلال التعامل الفذ الذي تميز بمفردات سامية من قبيل الاحتضان والاحترام والمحبة والسلام والبشاشة، فقد احتضنه من لدن ولادته، وغذّاه من جسمه الطاهر، فكان يرفع في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمره بالاقتداء به.

والنبي صلى الله عليه وآله عندما يطلّ على المولى أبي عبد الله عليه السلام كان يحتضنه ويضمه إلى صدره ويمسه جسده، وكان يقبّل ثناياه الطاهرة، ويضع لسانه في فمه.

وكانت قبلات النبي الأكرم ﷺ تغوص في كيانه لتقبع في كل خلاياه، ومن ثم تتفاعل بكل حرارة.

إنّ التعامل الطاهر مع الطفل يجعل منه إنساناً طاهراً وفذاً، وقد يصنع منه «عملاقاً» خلال فترة قياسية كما أثبت علم النفس التربوي.

وهذا ينطبق على عمالقة الفكر فحين عاشوا الأجواء الطيبة انبجس فيهم ينبوع الطهر والإبداع، وهم في مقتبل العمر، وبعضهم لم يبلغ سن المراهقة، فابن سينا نبغ مبكراً.

إنّ الرعاية الخاصة التي أولاها رسول الله ﷺ للإمام أبي عبد الله عليه السلام جعلته كبيراً حتى أنّ كبار الصحابة كانوا يكنون الاحترام لأبي عبد الله عليه السلام، ويفردون له مكاناً خاصاً، وكانوا يولون الإمام أهمية خاصة، فكان يأتي الإمام عليه السلام، ويجلس إلى جانبهم ثم يستمع إلى كلام جده ﷺ.

إنّ شخصية الإنسان تبدأ من السنين الأولى، وقد أخطأ من قال أنها تظهر عند المراهقة، فالطفل يشعر بكيانه منذ الصغر، ويتحسسها كلما تقدم به العمر، وعندها تتكامل شخصيته، وتتأصل فيه عوامل الخير بالذات إذا ترعرع في جَوٍّ سليم ومفعم بالمثل العليا كما أسلفنا.

جاء في كتاب (سيد الشهداء الإمام الحسين رضي الله عنه):

«ولست مبالغاً إن قلت: لم يدانِ الإمام الحسين رضي الله عنه أحد في فضله وعلمه ممن عاصره، أو أتى بعده، فقد فاق غيره بملكاته الوهبية، ومواهبه العلمية، إنه انتهل وهو في سنه المبكر من علوم جده ﷺ التي أضاءت آفاق هذا الكون، وتتلمذ على يد أبيه الإمام علي (كرم الله وجهه ورضي عنه) أعلم الأمة، وأفقهها بشؤون الدين، وكرع من

نهر والدته الزهراء بضعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها)، فمن يدانيه وشقيقه الحسن عليه السلام، وقد حظيا بكل هذا؟ من كف سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخذا، ومن سلسبيل أبيهما رحقا، ومن معين أمهما ارتشفا، فبأيّ وجه يتفقا مع غيرهما، وبأيّ حق يتعادلان مع من سواهما، إنهما من حسب وحيد وحده، ونسل فريد تفرد بهما دون سواهما»[١].

إنّ الأجواء السليمة تترك أثراً كبيراً في حياة الإنسان، وهي إحدى أهم الروافد في بناء الشخصية المستقيمة، وكلما طهرت الأجواء ازداد الإنسان استنشاقاً لها وتعلقاً بها.

إنّ إحدى أهم عوامل نجاح الإنسان مرهون بتربيته بالذات في السنين الأولى، فهي التي تقرر مصير الإنسان.

وقد أكد علماء النفس: «إن الإنسان إذا تلقى التوجيه السليم والتربية الصحيحة من صغره تترسخ فيه المناعة وتزداد عمقاً، حيث تفترش المناعة قلبه ثم تزداد رسوخاً كلما كثر الاهتمام والتوجيه عندها لا تستطيع التيارات الفاسدة مهما أوتيت من قوة أن تأخذ منه، أو تفل من شخصيته».

يقول «راسل»: «إنّ السرعة التي يتعلم فيها الرضيع تثير الدهشة، إن اكتساب العادات السيئة في الطفولة المبكرة يخلق سداً أمام اكتساب العادات الحسنة، لذلك يعتبر تكوين العادات في أوائل الطفولة أمراً مهماً جداً»[٢].

إنّ فترة الطفولة تُعَدُّ منعطفاً مهماً في حياة الإنسان، لذلك فإن علماء النفس يعدون الإنسان كبيراً في كل مراحله بالذات في سنيه الأولى، فليست هناك مرحلة دون أخرى، فكل مراحل الإنسان تستحق الاهتمام، والرعاية، وإن الرعاية السليمة تجعل

---

(١) سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ موسى محمد علي، ص٧١.

(٢) الأخلاق: الشيخ محمد تقي الفلسفي، نقلاً عن كتاب التربية، ج١/ص١٦٠.

من الإنسان يتكامل بشكل طبيعي ويتدرج في سلم الكمال، وقد تكون الرعاية الخلقية من أهم العوامل في تكامل الإنسان.

وكما أسلفت في كتاب (الإمام الهادي عليه السلام) فإنّ الأخلاق تعد العمود الذي تشد الجوانب الإنسانية في شخصية الإنسان.

وبعبارة أخرى:

«فإن الأخلاق تشكل الأساس في تهيأة الأجواء لأشكال الصفات الإنسانية كافة»، لذا فإنّ على الأب والأم مراعاة جانب الأخلاق، ومنها «المودة والرقة والعطف والحنان والإيثار»، فهذه الصفات الإنسانية تجد طريقها إلى القلب عن طريق الأخلاق، ولا تحسب أنّ هذه الصفات سهلة الدخول إلى القلب ما لم تكن هناك أجواء ومفتاح لهذه الصفات.

كما أنها ليست بالصفات ذات التأثير المحدود، فهي من أرقى الصفات، وتعطي نتائج غاية في الأهمية، تنعكس على شخصية الإنسان بشكل مباشر، فالمودة «تعطي للإنسان موقعاً في القلوب»، لذلك أكّدها الله عز وجل في أهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]، وهي تترك صدى طيباً في قلب الإنسان أياً يكون انتماءه، فتنعكس بسرعة على أخلاقه وسلوكه، وهذه الحالة تُعَدُّ سلوكاً متقدماً، وتطوراً كبيراً في حياته.

من هنا فإذا أراد الإنسان أن يتقدم في أخلاقه ويسمو فما عليه إلا «أن يودَّ» الآخرين ويتحبب إليهم، إنّ سمو الكبير يعدّ من العوامل المهمة في ارتقاء الإنسان وقد تكون العامل الأول.

---

(١) الشورى: ٢٣.

وقد تمثّل هذا الشيء في رسول الله ﷺ، فإنّ أخلاق الرسول محمد ﷺ كانت عاملاً مهماً في حياة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فهي التي رسمت أخلاقه، وتركت آثاراً عميقة فيه مما أدّى بالإمام أبي عبد الله عليه السلام إلى تجسيدها بأعلى صورها، بالذات في كربلاء، فقد تجلت أخلاق جده بأعلى صورها وأرفع معانيها.

فلا غرو أن قال عندما احتوشته الجيوش من كل جانب، وأرادوا أن يفرضوا عليه البيعة والاستسلام: «ألا وإنّ الدعيَّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله، وحجورٌ طابت وطَهُرت، وأنوفٌ حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[1].

وأحدهم يقول: «إن نفس أبيه بين جنبيه».

إنّ العلاقة الوثيقة بين رسول الله ﷺ والإمام عليه السلام أضحت طابعاً بارزاً اكتنزت كل معاني الحب والاحترام، ولا يخفى أنّ اهتمام النبي ﷺ بالإمام كان فريداً من نوعه، من هنا فإنّ شخصية الإمام عليه السلام ضمّت شخصية الرسول الأعظم ﷺ بكل أبعادها.

جاء في كتاب (المقتطفات السيكلوجية):

«يوجد الإنسان في العالم فتنشأ شخصيته من شخصية آبائه وأجداده، إخوانه وأخواته، أقاربه وذويه، فيلتف بها ويمزجها بجوهر حياته، ثم يعود فيصوغها من جديد هدية يطوق بها أعناق الذين يخلفونه، فما أغرب الإنسان وما أعجبه!! فهو مؤثر بشخصيته، ومؤثر فيه في آن واحد، فبينما تتكون شخصيته من شخصيات القريبين إليه إذا به يحيك شخصية فريدة، وذاتية خاصة به، يتأثر بها سواه، وقد جعلت حلقة اتصال

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٥٨. الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج٢/ص٢٤. مثير الأحزان: ابن نما الحلي، ص٤٠.

تربط بها الأجيال، فما أعظم المسؤولية الملقاة علينا لأننا ننقل بحياتنا إلى العائشين في أحشاء المستقبل مؤثرات يكونون منها شخصياتهم، فإما أن نكون يداً للبناء، أو معولاً للهدم، فأيّ الأمرين نختار؟.

إنّ حياتك التي تحياها إنما هي بذرة تتكون منها شجرة الأجيال، وأنت لست منفصلاً عن العالم، بل متصلاً به، فهل ترغب أن يكون اتصالك هذا سبباً لرفع شخصيات أفراد مجتمعك أم لخفضها؟»[١].

وهذا كلام مقبول، فإنّ شخصية الأب بمثابة حجر الأساس إذ تساهم كثيراً في استواء شخصية أبنائهم، وقد تكون القاعدة «كلما كان الأب سامياً يأخذ بأبنائه إلى السمو» صحيحة على وفق قانون «التأثر بالقوي»، و«التأثير القوي للقدوة» وهو قانون اكتشفه القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[٢]، فالباري عز وجل جعل الأسوة الحسنة برسوله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه يمثل القدوة التي جمعت كل جوانب العظمة والسمو.

وهذه المكانة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جعلت منه «قوة عظيمة» أثرت كثيراً في صياغة شخصية الإمام الحسين عليه السلام، لذلك نرى واقع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام يجسّد شخصية جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول الأربلي في (كشف الغمة): «شجاعة الحسين عليه السلام يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر».

(١) المقتطفات السيكولوجية: محمد سليم، ص٣٦.

(٢) الأحزاب: ٢١.

ويقول صاحب كتاب (سيد الشهداء الإمام الحسين ﵁):

«إنّ أي واحدة من رزاياه، لو ابتلى بها أيّ إنسان مهما تذرع بالصبر والعزم وقوة النفس لأوهنت قواه، واستسلم للضعف النفسي قلبه، ولكن الإمام الحسين ﵁ لم يلتفت لما ابتلى به في سبيل الغاية الشريفة التي سمت بروحه عن أن تستسلمَ للجزع، أو تستكين للخطوب، أو تفر من المصائب»(١).

والشجاعة كما هو ثابت من أبرز معالم الشخصية السوية، وقد وضع رسول الله ﷺ أساسها في كيان الإمام أبي عبد الله الحسين ﵇ ومنذ الصغر، وقد ثبتها عن طريق القرآن الكريم، وكتاب الله أفضل وسيلة لتثبيت الصفات العالية، لأنه كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه.

وكلمات الله عز وجل تملك إيقاعاً استثنائياً بحيث يترددُ صداه في كل فضاءات الإنسان يبدأ من العقل ثم النفس والقلب، ثمّ إنّ القرآن الكريم يصنع مناخاً مفعماً بالطيب، وهو الوحيد الذي يمتاز بهذه الصفة، لذلك فإنّ الذي يكثر من تلاوة القرآن ويعيشه بعقله وقلبه، تظهر عليه صفات القرآن الكريم، وأخلاقه.

سألوا عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، قالت: «كان خُلُقُهُ القرآن».

وقد تعاهد رسول الله ﷺ ولده الإمام أبا عبد الله الحسين ﵇ بالقرآن الكريم منذ نشأته.

جاء في كتاب (سيد الشهداء):

«إنه (صلوات الله وسلامه عليه) كان كثير الاهتمام به والاعتناء بشأنه، فكان يصحبه معه في أكثر أوقاته، فيشمّه عرفه وطيبه، ويرسم له محاسن أفعاله، ومكارم

---

(١) سيد الشهداء الإمام الحسين ﵁: الشيخ موسى محمد علي، ص٦١.

أخلاقه، وقد علمه (وهو في غضون الصبا سورة التوحيد)، ووردت إليه من تمر الصدقة فتتناول منها الإمام الحسين عليه السلام تمرة وجعلها في فيه، فنزعها منه الرسول صلى الله عليه وآله، وقال له: لا تحل لنا الصدقة»[1].

ويعلّق الشيخ موسى محمد علي على هذه الحادثة أو السلوك:

«ومن الطبيعي أنّ إبعاد الطفل عن تناول الأغذية المشتبه فيها أو المحرمة، لها أثرها الذاتي في سلوك الطفل وتنمية مداركه حسب ما دلت عليه البحوث الطبية الحديثة، فإن تناول الطفل للأغذية المحرمة مما يوقف فاعليته السلوكية، ويغرس في نفسه النزعات الشريرة، كالقسوة والاعتداء والهجوم المتطرف على الغير، وقد راعى الإسلام باهتمام بالغ هذه الجوانب، فألزم بإبعاد الطفل عن تناول الغذاء المحرم، وكان إبعاد النبي (صلوات الله وسلامه عليه) لسبطه الإمام الحسين رضي الله عنه عن تناول تمر الصدقة التي لا تحل لأهل البيت عليهم السلام تطبيقاً لهذا المنهج التربوي النبوي الشريف»[2].

ونضيف أنّ إبعاد الطفل عن أكل الحرام يقوي فيه القابلية على سلوك الطرق السليمة، والأخلاق الحميدة، فإن «نفس الطفل» صفحة بيضاء وطاهرة.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[3].

وكما هو ثابت في علم النفس التربوي فإنّ الصفات الأخلاقية هي أول الصفات ظهوراً عند الإنسان، وتبدأ في الأيام الأولى، وكلما أكثر الطفل من أكل الحلال تعمق فيه الميل للحلال، ومن ثم يصبح جزءاً من سلوكه «الطبيعي».

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء: الشيخ موسى محمد علي، ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) التين: ٤.

ومن جانب فإنّ «قوة الإلهام» المودعة فيه تصبح فاعلة في جانب الخير أو ما يطلق عليه كتاب الله «التقوى».

قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[1].

وكلما ازداد الإنسان توجهاً نحو الخير ازدادت عنده هذه القوة حتى تصل إلى ذروتها، فتصبح عنده التقوى في أعلى درجاتها، فعندها لا يمكن بعد ذلك أن تنهض قوى الشر عنده، وتأمره بالسوء. إنّ فاعلية قوة الإلهام عند الإنسان تبدأ عندما يتم التوجيه وهذه نقطة أساسية ينبغي أخذها بنظر الاعتبار.

وقد تكون قوى الخير والشر عند الطفل «نائمة» إن صحّ التعبير، ولكن ما إن يبدأ التفاعل معها عن طريق السلوك حتى تبدأ القوى بالنهوض.

ولكن قد تفتّح عينيها على سلوك أهوج فتضحى هوجاء وعمياء، وهذه هي الطامة الكبرى، وبعدها يصعب تعديلها بالذات إذا استمر السلوك الأهوج، ولكن إذا انقطع وتغيّر السلوك إلى الأحسن تتغير الحالة.

إنّ التعامل السليم مع الطفل يشكّل الأساس للسلوك الطيب، وما لم يكن هناك أساس لا يتم البناء، وبالذات البناء الأخلاقي، فإنه يحتاج إلى قاعدة صلبة ومتينة بحيث تتحمل البناء الأخلاقي الذي هو أصعب ما يكون عند الإنسان.

وقد ذكرت في إحدى مؤلفاتي أنّ الأساس الأخلاقي لا يتم تشييده إلا في الصغر، أو بعبارة أخرى فإن «مرحلة التأسيس للأخلاق» تتم عند الصغر.

فإذا أحكمنا الأساس في الصغر يمكن أن نبني لاحقاً، ونزرع أفضل الصفات، ومنها الشجاعة والجود والإيثار والصدق والشهامة.

---

(١) الشمس: ٧ ـ ٨.

فهـذه الـصفات «العملاقـة» تحتـاج إلى أسـاس مكـين حتـى يتـسنى لهـا البقـاء والاستقرار، أما إذا كان هشاً وهزيلاً فلا يمكنها أن تبقى، لذا فنحن نرى البعض قد يتصف بها، ولكن سرعان ما يتخلى عنها، ويعود هذا الانسلاخ إلى فقدان الأساس.

إن التعامل الفذ مع الطفل يقدح فيه الصفات الطيبة التي هي تنمو في ظل الرعاية السليمة، وتتفرع منها صفات كثيرة، كالأرض إذا تعاهدها الزّراع فإنها تعطي مختلف الثمار، وهذا ما حدث للإمام الحسين عليه السلام.

جاء في (مسند أحمد بن حنبل): «عن يعلي العامري، أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له قال: «فاشتمل رسول الله صلى الله عليه وآله، أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأخذه فطفق الصبي يفر ها هنا مرة، وها هنا مرة، فجعل النبي صلى الله عليه وآله يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه، والأخرى تحت ذقنه، ووضع فاه على فيه وقبله، وقال:

«حسين مني وأنا من حسين»[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله: «أحب الله من أحب حسيناً»[(٢)].

---

(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٢٧. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٣٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٧/ص٧٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨/ص٢٣٣. مسند أحمد: أحمد بن حنبل، ج٤/ص١٧٢. سنن الترمذي: الترمذي، ج٥/ص٣٢٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ ص١٧٧. تحفة الأحوذي: المباركفوري، ج١٠/ص١٩. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٥٧٥.

(٢) شرح الأخبار: القاضي النعماني المغربي، ج٣/ص١١٢. الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٢٧. الأمالي: السيد المرتضى، ج١/ص١٥٧. مناقب آل أبي طالب: أبي شهر آشوب، ج٣/ص٢٢٦. العمدة: ابن البطريق، ص٤٠٦. كتاب الأربعين: الشيخ الماحوزي، ص٣٧١. معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص٣٢٤. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ـ : الشيخ هادي النجفي، ج١/ص٣٢٩.

وقال ﷺ: «حسين سبط من الأسباط»[1].

وقد أولى رسول الله ﷺ الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام رعاية خاصة من لدن ولادته المباركة، كل ذلك حتى ينمي «خصال النبوة والإمامة».

إن شخصية الإنسان تتألق إذا استظلت منذ الصغر بشخصيات عظيمة فتستقيم تباعاً وتنمو قواها المعنوية، ولكن إذا لم تلق الاهتمام المطلوب فإنها «تذوي وتضمحل» بالذات إذا اقترب الإنسان إلى سن المراهقة، فهذه السن هي التي تحدد مصير الإنسان، فإذا كان قد تلقى الاهتمام والرعاية المطلوبين فيغدو قوياً ومتماسكاً، ثم ينحو باتجاه الخير والاستقامة حيث يجد الأرضية التي يمكن من خلالها الانطلاق بقوة، أما إذا وصل إلى مرحلة المراهقة وهو يعاني من «العوق» و«الضمور الشخصي» فلا يمكنه البناء حيث لا يمتلك القوة في اكتساب أي صفة حسنة، أو بتعبير أدق لا يمكنه زرع أي صفة «سامية» من قبيل الاتزان والاستقامة، ومساعدة الآخرين والإيثار.

---

(١) الناصريات: الشريف المرتضى، ص٩٠. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٣٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٣٤. شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري، ج٢/ص٢٥٩. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج١/ص١٥٨. مسند أحمد: أحمد بن حنبل، ج٤/ص١٧٢. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ج١/ص٥١. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص١٧٧. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٥١٥. صحيح ابن حبان: ابن حبان، ج١٥/ص٤٢٨. المعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص٣٣. نظم درر السمطين: الزرندي الحنفي، ص٢٠٩. موارد الظمآن: الهيثمي، ج٧/ص١٩٧. كشف الخفاء: العجلوني، ص٣٩٥. الإكمال في أسماء الرجال: الخطيب التبريزي، ص٤٤. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٤/ص١٤٩. أسد الغابة: ابن الأثير، ج٢/ص١٩. تهذيب الكمال: المزي، ج٦/ص٤٦٢. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٣/ص٢٨٣. تهذيب التهذيب: ابن حجر، ج٢/ص٢٩٩. تاريخ الإسلام: الذهبي، ج٥/ص٧٩. الوافي بالوفيات: الصفدي، ج١٢/ص٢٦٢. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص٢٢٤. إمتاع الأسماع: المقريزي، ج٦/ص١٩. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام ـ: محمد بن طلحة الشافعي، ص٣٧٧.

لقد أصبح واضحاً أن الكثير من شبابنا باتوا يعانون من ضعف الشخصية ومصداق ذلك فإن الكثير من الشباب أخذ يتجه نحو الشخصيات الهزيلة.

ويتقمصها بجوانبها كافة، بما فيها السيئة للغاية فأخذ يقلدها بالنطق والمشي وما شابه، فتراه يتقمص شخصية «المغني المخنث».

وكذلك الفتيات فإنهن أخذن يقلدن «المغنيات» اللاتي يعانين من ضعف كبير، والأنكى من ذلك فإنّ بعض الشباب أخذ يقلد المغنيات، وقد صرف الكثير حتى تكون قسمات وجهه مثلها.

إن هشاشة الشخصية تعد الآن من الظواهر السلبية التي يعاني منها الشباب والشابات، وتُعَدُّ هذه الظاهرة من أخطر الظواهر التي يتعرض لها الإنسان في هذا الوقت.

وضعف الشخصية يجعل الإنسان يميل إلى تقليد ما هو ضعيف وهزيل، لأن القابلية على اقتفاء الكبير يتطلب جهداً مضنياً، وهذه غير متوفرة في الذين يعانون من ضعف الشخصية، لذلك نرى هؤلاء يجنحون إلى هذه النماذج «الهدامة» والتي تشكل الآن «أكبر معول» لهدم شخصية الشاب والشابة.

وقد استغلت «الدوائر الصهيونية» هذا الضعف، أو قل هذا المظهر الخطير فراحت «تبرز» النماذج الهزيلة عبر الفضائيات والمجلات وكل أشكال الأعلام، وبطريقة أخاذة لا يمكن أن يفلت من حبائلها إلا الذين صبروا.

وها نحن نرى المجلات والفضائيات العربية منها كيف تستعرض وبشكل مقزز ومقرف النماذج السيئة، ومن ثم تزين، حتى تتهاوى تحت ضرباتها الشريحة الحيوية للمجتمع «الشباب والشابات».

والأخطر في ذلك أن وسائل الإعلام العربية أخذت تقنن هذه المظاهر، وتضفي عليها طابع التحضر والتقدم كي لا تدع القائمين على مصلحة الأمة فرصةً للرد والردع وإذا قام أحد المخلصين ليردعهم يتهمونه بالتخلف والرجعية ومحاكات الآباء.

إنّ الزحف المتواصل للمغنين والراقصين والمغنيات والراقصات واحتلالهم المساحات الواسعة لوسائل الإعلام يعد أحد العوامل السيئة لـ«هدم المجتمع» كما جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون).

فالدوائر تعد هذه الوسيلة هي الأمثل في قطع الشريحة من جسد المجتمع، ثم إماتتها عن طريق قتل شخصيتها.

والمجتمع كما هو ثابت في علم الاجتماع يقوم على أسس مهمة ومنها الشباب، فإذا تمّ قتل الشاب فإنّ جزءاً حيوياً من المجتمع قد انتهى، وقد يكون «قتل الشباب» المدخل أو الثغرة التي ينفذ منها المحتل الصهيوني كما ورد في (بروتوكولات حكماء صهيون).

وكما هو ثابت فإنّ ضعف الشخصية عند الشاب تجعله لا يفكر طويلاً في «سلم الأولويات»، وهذه نقطة أساسية، فإنّ «سلم الأولويات» مهمة عند الإنسان، وعليه أن يفكر بعمق في هذا الاتجاه، ولكن إذا سلبت منه مقومات التفكير فكيف يتمعن في هذه القضية، وأنى له ذلك.

إنّ قتل الكفاءات باتت من الأمور المطروحة بقوة، وقد اختلفت الآراء في أسبابها، ولكن اتفقت كلمة الباحثين على جملة من الأسباب منها ضعف الشخصية فهي تساهم كثيراً في قتلها، ثم الإغراءات الجهنمية في دول الغرب لجذبها وهي في مقتبل عمرها، أو بعبارة أدق في إبان ظهورها.

وثالثاً في خلق الأزمات، فإنّ الأزمات المتتالية في الدول العربية والإسلامية جعلت الكفاءات تختنق، ومن ثم تعيش النفس الأخير، الأمر الذي اضطر الكثير منها إلى ترك البلاد بأي ثمن كان حتى لو كان على حساب البلد.

ثم جاء الأسلوب الحقير في اغتيالها عبر مجموعات إرهابية تعمل لصالح الدوائر الصهيونية، وما قتل الكفاءات واغتيالها في «العراق» إلا مثال صارخ لهذا الواقع السيئ.

إن قتل الكفاءات في العراق وغير العراق يهدف إلى تفريغ البلاد من أهم مقوماته، ومن جانب يرهب الذين يرغبون في العودة إلى بلادهم، إنهم بعملهم هذا يهدمون الأسس السليمة، والبنى التحتية من القواعد.

وأنا أعجب من بعض الشخصيات التي تحتل مواقع المسؤولية، وتتحدث عن البناء وإعادة البنى التحتية للبلد، وهي لا تعير أهمية للكفاءات، ولا تضع في حسابها إيجاد السبل الكفيلة للحفاظ عليها.

ويأخذني العجب كيف يتكلمون عن إعمار البلد ولا يتكلمون عن الذين «يعمرون البلاد» إذ كيف يعمرون البلاد؟ وفي كل يوم يقتلون طبيباً أو مهندساً أو أستاذاً؟!.

فإذا كنتم تتكلمون عن الإعمار وأهميته، فكيف ينسجم هذا مع القتل الذريع للكفاءات المرموقة؟ والتي هي أساس إعمار البلاد؟.

كنت أترقب من خلال الحديث عن الإعمار أنّ هناك مشروعاً استراتيجياً للحفاظ على الكفاءات، وأن تطرح الشخصيات المسؤولة مشروعاً استراتيجياً يحفظ الكفاءات ويبعد عنها شر «اللصوص» والمافيات.

صور مشرقة من شخصية الإمام الحسين عليه السلام

لا أجانب الحقيقة عندما أقول إنّ الأخلاق والمثل الإنسانية لا تُعرف معناها الكبير إلا عند الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وإنما الأخلاق تعرف عند من يعرف قيمتها وأهميتها، وقد أجمع العلماء أنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عرفوا تماماً قيمة الأخلاق والمثل الإنسانية بحقيقتها، فلم يصطنعوها فجاءت بإنسيابية لا مثيل لها.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح النهج) في الإمام الحسين عليه السلام:

«سيد أهل الإباء، الذي علّم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدنية، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، عُرِضَ عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذل، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان، إن لم يقتله، فاختار الموت على ذلك»[1].

وتظل نفس الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام تشرق بالصفات السامية، كلما اشتدت عليها الخطوب، وتناوشتها المحن، وهذه ميّزة اختصّ بها أهل البيت عليهم السلام، فمهما يكن الإنسان عظيماً وكبيراً، فإنّ المحن تأخذ من صبره وتحمله، ولو شيئاً قليلاً.

ولكن تظل نفسية أهل البيت عليهم السلام، ومنها نفس الإمام الحسين عليه السلام تكبر وتعظم، ومن ثمّ تأخذ وتكتنز صفاتٍ خلقية عالية أعظم مما كانت عليه من قبل المحنة، أليس يقول حميد بن مسلم: «ما رأيت مكسوراً قط قد قُتِلَ ولدهُ وأهل بيته أعظم جناناً، وأربط جأشاً من الحسين بن علي عليه السلام»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣/ص٢٤٩.

(٢) تاريخ الطبري: الطبري، ج٤/ص٣٤٥. مقتل الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي، ص١٩٣. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ص٧٠. معالم الفتن: سعيد أيوب، ج٢/ص٢٩٥.

إنّ الصورة المشرقة لشخصية الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام تتمثل أولاً في التعامل مع خصومه، ومع من يقاتله ويصده، فقد تألق الإمام عليه السلام مع خصومه حتى يخال أنه ولي حميم له، وهو مصداق الآية المباركة: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1].

جاء في كتاب (بحار الأنوار): «دخل الإمام الحسين عليه السلام على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: وا غمّاه!.

فقال: وما غمّك يا أخي؟.

فقال: دَيني، وهو ستون ألف درهم.

فقال الحسين عليه السلام: لن تموت حتى أقضيها عنك.

فقضاها قبل موته»[2].

إن أسامة كان خصماً لآل البيت عليهم السلام، بالذات مع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فهو أحد الذين تخلفوا عن بيعة الإمام (صلوات الله عليه) مع سعد ابن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وحسان بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، ولا أذكر عمرو بن العاص، ومعاوية، لأنهما ليسا بأهل للبيعة، ومردوا على العصيان والطغيان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في (صحيح مسلم): «من خلع الطاعة وفارق الجماعة ميتته جاهلية»[3].

---

(١) فصلت: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج١٠/ص١٤٣.

(٣) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج٧/ص٢٦٣. المجموع: محي الدين النووي، ج١٩/ص١٩٠. روضة الطالبين: محي الدين النووي، ج٧/ص٢٧١. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج٤/ص١٢٤. ←

وظلّ أسامة بن زيد معانداً بالرغم من مبايعة الصحابة، وفي مقدمتهم عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وابن التيهان، وقيس بن سعد بن عبادة، وحجر الخير، والزبير، وطلحة، والكثير ممن صاحبوا رسول الله ﷺ واتبعوه بإحسان، ولكن أسامة رفض المبايعة.

ومع هذه المواقف المتخاذلة فقد سلك الإمام الحسين عليه السلام مع أسامة مسلكاً عظيماً ينمّ عن خلقه الرفيع، وسجاياه العظيمة، فهو بحق من الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وثانياً فإنّ المبلغ الذي كان بذمة أسامة «ليس بالقليل» إذا ما عرفنا قيمة الدرهم، «فكان آنذاك يبتاع به خروف»، ولكن لا قيمة لها عند أهل البيت عليهم السلام.

وتظل نفسية العظيم تهفو إلى المكارم، وإلى محاسن الأعمال، ومن ثم تزداد سمواً في عطائها.

يقول الشاعر:

أرى الموت يحييكم وبعض الذي مشوا ... على الأرض لو عاينت يمشي بهم قبرُ

تـشدّ بهـم للطـين سـوء فعـالهم ... وتـسموا بكـم للنـور أمثلـة غـرُّ

كـرائم أعمـال وزادٌ مـن التقـى ... وقبضٌ من الإصلاح هذا هو العمرُ

رأيـتُ الغنـى فكـراً يعـيش وغـيره ... وإن مـلأ الآفـاق مـن ذهـب فقـرُ

فما مات عيسى وهو يفترش الثرى ... ولا عـاش قـارون وأبوابـه تـبرُ

تهـاوى رمـاداً ألـف صـرح ممـردٍ ... وعاش على البردي من ألق سطرُ

→ المغني: عبد الله بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٣/ص٢٥٨. نيل الأوطار: الشوكاني، ج٧/ص٣٥٨.

تقول قوانين الأخلاق: «إنّ القيم الأخلاقية تبقى حية في نفوس الأولياء فتكبر بمرور الأيام عبر التطبيق الفذ لها».

والقيم الأخلاقية تتفاعل بقوة في عمق المخلصين الذين يرومون منها ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، وأمّا إذا رام الإنسان منها وجه الناس فهي تصغر بمرور الأيام ثم تضمحل، أو تضحى مصطنعة وشكلية حيث لا تملك جذوراً.

والقيم الأخلاقية تبقى فذة برجالها، إذ ليس كل إنسان ينهض بها، فما لم تتوفر في الإنسان القابلية لحملها، واستيعاب معانيها، تتحول إلى أداة ووسيلة لاقتناص البهارج والمباهج الدنيوية، وهذه لا تساوي شيئاً عند الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

ومن ثم تبقى القيم الأخلاقية سامية لا تطالها شهوات النفعيين وطلاب الدنيا، ومهما حاول هؤلاء من استغلالها وإخراجها من إطارها الجميل، فهي تنأى وتبقى فوق الإغراءات والشهوات فهي تؤثر ولا تتأثر، كما هو الألماس فهو يؤثر في كل شيء ولا يتأثر بشيء.

وتبقى الأخلاق والقيم الأخلاقية السنن الثابتة التي قامت عليها السماوات والأرض، فهي تشكل جزءاً من المنظومة الكونية، وإذا عرفنا أنها تشرق بأبهى صورها في الجنة، وتبرز بحلتها القشيبة ندرك قيمتها وثبوتها، ولكن تبقى فوق الأخلاق من يحسن إليها، ويعطي حقها الكامل.

قال الإمام الهادي عليه السلام: «خير من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله»[2].

---

(١) الرعد: ١٧.

(٢) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٥٧. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٤/ص١٦١.

إذن الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام أفضل من الخير لأنه عَرِفَ حق الأخلاق وسمو معانيها.

قال الإمام الحسين عليه السلام كما في (اللهوف في قتلى الطفوف)، وكتاب (نفس المهموم):

فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ

وإن تكن الأموال للتركِ جمعها ... فما بال متروكٍ به الحر يبخلُ

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلة حرص المرء في الكسب أجملُ

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت ... فقتل امرئ بالسيف في الله أفضلُ[1]

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت ... فقتل امرئ بالسيف في الله أفضلُ[2]

إنها عين الحقيقة التي تفصح عن نظرة المؤمن الواقعية لأنّ نظرة المؤمن تختلف فهو ينظر بنور الله، كما جاء في الحديث الشريف: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[3].

ومنبع النور من القلب، ويزداد النور كلما تشبع القلب إيماناً حتى إذا اكتمل الإيمان كما عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة (عليهم صلوات الله أجمعين) تتجلى

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٣/ص٢٤٦. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٧٤. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٨٧. اللهوف في قتلى الطفوف. نفس المهموم.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٣/ص٢٤٦. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٧٤. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٨٧. اللهوف في قتلى الطفوف. نفس المهموم.

(٣) بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار، ص٣٧٥. الكافي: الشيخ الكليني، ج١/ص٢١٨. علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج١/ص١٧٤. شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، ج٥/ ص٢٨٩.

حقائق هامة، ومنها الآخرة، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»[١].

وقد تجلّت هذه الحقيقة عند الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام فكان ينظر بنور الله فيعطي كل ذي حق حقه، ويسمي الأشياء بمسمياتها، وهذه خصلة مهمة تخفف عن الإنسان كثيراً، وتزيل عن طريقه عقبات كأداء، ومن ثم لا يخطئ الظن.

جاء أعرابي فقال: يا ابن رسول الله قد ضمنتُ دِيّةً كاملة، وعجزتُ عن أدائها، فقلتُ في نفسي: اسأل أكرم الناس وما رأيتُ أكرم من أهل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

فقال الحسين عليه السلام: يا أخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبتَ عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبتَ عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبتَ عن الكل أعطيتك الكل.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله، أمثلك يسأل مثلي، وأنت من أهل العلم والشرف؟!.

فقال الحسين عليه السلام: بلى سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المعروف بقدر المعرفة».

فقال: الإعرابي: سل عمّا بدا لك، فإن أجبت وإلا تعلّمت منك، ولا قوة إلا بالله.

فقال الحسين عليه السلام: أيّ الأعمال أفضل؟.

فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين عليه السلام: فما النجاة من الهلكة؟.

---

(١) مواقف الشيعة: الأحمدي الميانجي، ج١/ص٨٩. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج٥/ص٤٠٠. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ابن الدمشقي، ج٢/ص٤٩.

فقال الإعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين عليه السلام: فما يزين الرجل؟.

فقال الإعرابي: علمٌ معه حلمٌ.

فقال: فإن أخطأه ذلك؟.

فقال: مالٌ معه مروءة.

فقال: فإن أخطاه ذلك؟.

فقال: فقر معه صبر.

فقال الحسين عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟.

فقال الإعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنه أهلٌ لذلك.

فضحك الحسين عليه السلام ورمى له بصرة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فصٌّ قيمته مائتا درهم، وقال: يا أعرابي، أعط الذهب إلى غرمائك واصرف الخاتم في نفقتك عليه السلام.

فأخذ الأعرابي ذلك، وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1][2].

فتأمل هذا الخلق الرفيع وهذا الأسلوب البديع والفراسة التي استطاع الإمام من خلالها اكتشاف شخصية الإعرابي، التي كانت تنطوي على مخزون «معرفي» استطاع من خلاله الإجابة على أسئلة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام[3].

---

(١) الأنعام: ١٢٤.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص١٩٦. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٤٩. درر الأخبار: حجازي، خسرو شاهي، ص٣١٠. نهج السعادة: الشيخ المحمودي، ج٨/ ص٢٨٤. تفسير الرازي: الرازي، ج٢/ص١٩٨.

(٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص١٩٦.

وكانت مهمة، فهي أسئلة ترسم الإطار الجميل للإنسان، ومن ثم تحدد مساره، والأهداف المتوخاة من خلقه، وقد أجاب الإعرابي وأجاد في أجوبته مما يدل على فهمه ونضوجه، وسمو معرفته.

وهذا ما استشفه الإمام (صلوات الله عليه) واطلع عليه، مما يدل على نفاذ بصيرته وقوة فراسته، ومن جانب فإن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام أكرمه وأحسن في إكرامه.

وعطاء الإمام يغني ويحي كرامة الإنسان، حتى يخال المرء أن السائل «هو المدل» وهذا قمة الإحسان.

كم هو جميل عندما يتفيأ الإنسان ظلال الأئمة عليهم السلام ليشعر بكرامته وعزته وينسى «أنه السائل والمحتاج»، وواقع تحت طائلة العطاء، إن هذا الإحساس عندما ينمو ويتأصل في الإنسان يجعله سامياً في سلوكه، ورفيعاً في سجاياه الطيبة الأمر الذي ينعكس إيجاباً في سلوكه مع الآخرين، فيرتفع في عينيه الإنسان مثلما ارتفع هو في عين الكبار، وهذه نقطة جوهرية في سلوك الإنسان.

إنّ إحدى القواعد السلوكية في علم النفس تؤكد على قوة النفس، فكلما قويت النفس واشتدَّ ساعدها يتمكن الإنسان من إعطاء أفضل السلوك ومجابهة ما يعاكسها بقوة، وتكتسب النفس قوتها كلما أعطت سلوكاً سليماً، إنّ إحدى روافد النفس القوية السلوك السوي، فهو ينعكس إيجاباً عليها.

لذلك نحن نلاحظ «أقوياء النفوس» يستمدون القوة من السلوك السوي مع الآخرين، فإذا كانت النفس مطبوعة على حب الخير، فإنّ قوة الخير تنمو وتتضاعف حتى إذا اكتنزت القوة الكافية يتحول السلوك عند الإنسان «إلى طبع أصيل»، وبالتالي ينتقل إلى مرحلة متقدمة.

وهذا ما نلاحظه عند الأئمة عليهم السلام ، فإنّ نفوسهم الكبيرة كانت تستمد قوتها من السلوك اليومي ، فكان يشكل أحد العوامل في قوتها.

ولكن تبقى العبادة هي الرافد الأساسي لقوتها ، وكما هو ثابت فإنّ العبادة المتصلة تبعث العزيمة ، وتفجر القوة الكامنة في الإنسان.

قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

وكان الإمام الحسين عليه السلام القدوة في العبادة.

جاء في كتاب (الرسالة في الثورة الحسينية) :

«كان عليه السلام يُقبل على صلاته إقبال العاشق على ما يعشق ، خاشع الدعاء ، نقي الابتهال ، يستحضر فيها نعمة ربه وجلاله وعظمته حتى يغيب في نجواه واستغفاره»[3].

وكان معروفاً عنه بالعبادة والانقطاع إلى الله عز وجل حتى قيل للإمام زين العابدين عليه السلام : ما أقل ولد أبيك !.

قال الإمام عليه السلام : العجب كيف ولدنا لكثرة عبادته وانقطاعه إلى الله عز وجل.

فالعبادة تشكّل الرّافد الأساسي «لقوة النفس» التي من ملامحها الشجاعة والكرم والإيثار.

---

(١) البقرة: ٤٥.

(٢) البقرة: ١٥٣.

(٣) الرسالة في الثورة الحسينية: الدكتور حسين الحاج حسن، ص٣٤.

من كرمه وإكرامه

«جاءه رجلٌ من الأنصار يريد أن يسأله حاجة، فقال عليه السلام: يا أخا الأنصار، صِنْ وجهك عن ذلّ المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإني آت فيها ما سارك إن شاء الله.

فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار وقد ألحّ بي فكلّمه ينظرني إلى ميسرة.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرّة فيها ألف دينار، وقال عليه السلام له: أما خمسمائة فأقض بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دِين، أو مروءة، أو حسب، فأما ذو الدِين فيصون دِينه، وأما ذو المروءة فإنه يستحي لمروءته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك»[1].

جاء في (كشف الغمة):

«ولا ريب أنّ الأخلاق تظهر على طول الأيام وهذه الأخلاق الكريمة اتخذوها شريعة، وجعلوها إلى بلوغ غايات الشرف ذريعةً، لشرف فروعهم وأصولهم وثبات عقولهم، لأنهم لا يشينون مجدهم بما يَصِمه، ولا يُشوّهون وجوه سيادتهم، بما يُخلِقها، ولأنهم مقتدى الأمّة، ورؤوس هذه الملة، وسروات (سخاء ومروءة) الناس، وسادات العرب، وخلاصة بني آدم، وملوك الدنيا، والهداة إلى الآخرة، وحجة الله على عباده وأمناؤه على بلاده، فلابدّ أن تكون علامات الخير فيهم ظاهرة، وسمات الجلال باديةً باهرة، وأمثال الكرم العامّ سايرةً، وإن كلّ متصف بالجود من بعدهم بهم اقتدى، وعلى منوالهم نَسَجَ وبهم اهتدى»[2].

---

(١) الرسالة في الثورة الحسينية: الدكتور حسين الحاج حسن، ص٣٢.

(٢) كشف الغمة: ابن أبي الفتح الأربلي، ج٢/ص٢٣٤.

وكيف لا يجود بالمال من يجود بنفسه النفيسة في مواطن النزال؟.

وكيف لا يسمح بالعاجل مَن همُّه في الآجل؟.

ولا ريب عند العقلاء أنّ من جاد بنفسه في القتال فهو بالمال أجود، ومن زهد في الحياة المحبوبة فهو بالحطام الفاني أزهد.

وقد عرفت زهدهم فاعرف به رِفدَهم، فإنَّ الزاهد من زهد في حطامها، وخاف من آثامها، ورغب عن حلالها وحرامها، ولعلّك سمعت بما أتي في ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾[1] من إيثارهم على أنفسهم، أليسوا «هم» الذين أطعموا الطعام على حبّه، ورغب كل واحد منهم في الطوى لإرضاء ربّه، وعرَّضوا تلك الأنفس الكريمة لمرارة الجوع، وأسهروا تلك العيون الشريفة من الخوى (خلوّ الجوف) فلم تذق حلاوة الهجوع، وجعلوها لما وجدوه من الرقّة على المسكين واليتيم والأسير غَرْقى من الدموع، وتكرّر عليهم ألَمُ فَقدِ الغذاء غدواً وبكوراً، وأضرم السَّغَب في قلوب أهل الجنة سعيراً، وآمنوا حين قالوا: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾[2].

وشكرهم مَن أنعموا عليه، فقالوا: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[3].

والإمام الحسين عليه السلام وإن كان فرعاً للنبي وعلي وفاطمة عليهم السلام، فهو أصل لولده من بعده وكلّهم أجواد كرام.

---

(١) الإنسان: ١.

(٢) الإنسان: ١٠ ـ ١١.

(٣) الإنسان: ٩.

كرمـوا وجـاد قبيلـهم مـن قبلـهم　　وبنــوهم مــن بعــدهم كرمــاءُ

فالناس أرض في السماحة والندى　　وهــم إذا عُــدّ الكــرام سمــاءُ

لـو أنـصفوا كـانوا لآدم وحـدهم　　وتفــرّدت بــولادهم حــواءُ(١)

وتعدّ أخلاق الأئمة صفحة رائعة تتلألأ نوراً ورواءً، وتشعّ كلما اكتنف ظلام البخل والشح فتراهم السباقين في مضمار العطاء، ومن أخلاق أئمة أهل البيت عليهم السلام إغناء من يأتيهم ثروة وكرامة بعكس البعض «عندما يعطي يُفقر»، ويوقع الإنسان في مآزق، فالبعض يعطيك مرة ولكن يُذهب بماءَ وجهك الذي لا يقدّر بثمن.

قال تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾(٢).

ومن ثم يتحدث بكلّ ما جرى، وبسبب هذه الحالة السيئة فإنّ الكثير ممن هم بحاجة ماسة إلى المساعدة والعون لا يفصح عما يعاني من ألم الجوع ووطأة الحاجة، وقد أدرك المولى هذه الحالة.

فكان الإمام الحسين عليه السلام يحمل الجراب ليلاً، ويتفقّد بيوت المساكين في المدينة المنورة، فيعطي تحت جنح الظّلام، ثم ينسل حتى لا يعرفه أحد.

وكان هذا دأبه في عطائِه لسنين طويلة حتى بان أثر الجراب على كتفه المبارك (روحي له الفداء)، فقد سئل الإمام زين العابدين عليه السلام يوم عاشوراء عن آثارٍ في جسد الإمام الحسين عليه السلام، فهي لا من آثار الرمح، ولا من طعن السيوف.

فأجاب الإمام عليه السلام: إنّ هذه الآثار من الجراب الذي كان يحملُ به الطعام إلى فقراء المدينة.

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ص٤٦٤ ـ ٤٦٥.

(٢) البقرة: ٢٦٤.

وكان الإمام الحسين عليه السلام جمّ التواضع، وضرب أروع الأمثلة في ذلك، وكيف لا ونفس أبيه بين جنبيه، وشخصية جده رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد دخلت في عمقه وتجذّرت بشكل لا يمكن أن ينأى عن أخلاق جدّه.

قال الشاعر:

تمجّد قوم بالخلود وإنني ... أرى بمعناك الخلود مخلدا

أيا واحداً من خمسة إن ذكرتهم ... ذكرت بهم في كل وجه محمدا

جاء في كتاب (الرسالة في الثورة الحسينية):

«إنه عليه السلام لقي في بعض دروبه مساكين يأكلون من خشن العيش فدعوه ليشاركهم، فلبّى دعوتهم بكل لطف وشاركهم، ثمّ توجه إليهم بعد حمد الله وشكره قائلاً: ألا ينبغي أن تستجيبوا دعوتي إلى الغذاء في بيتي كما استجبت لكم؟.

فقبلوا واشتركوا كما يشترك الذين رضعوا من لبن واحد في طعام واحد»[1].

وفي دجى الليل البهيم الجراب يملؤه طعاماً ونقوداً إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين، حتى أثّر ذلك في ظهره، وكان يحمل إليه المتاع الكثير فلا يقوم حتى يهب عامته[2].

ويذكر في المصدر نفسه:

«قد اشتهر النقل عنه أنه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشدّ من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة، وقلّ أنْ وَصَله مالٌ إلا فرّقه، وهذه

(١) الرسالة في الثورة الحسينية: الدكتور حسين الحاج حسن، ص٣٣.

(٢) سيد الشهداء الحسين بن علي: الشيخ موسى محمد علي، ص٦٥.

سجية الجواد وشنشنة (الخلق والطبيعة) الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله المتلوة شاهدة له بصنعه الكرم، ناطقة بأنه متصف بمحاسن الشيم».

وينقل الشيخ موسى محمد علي في كتابه:

«ومن صفات أبي عبد الله الإمام الحسين رضي الله عنه أنه كان شديد الرأفة بالناس، يمد يده لكل ذي حاجة، ويسعف كل ذي لهفة، ويجير كل من استجار به، وقد فزع «مروان» إليه وإلى أخيه وهو من ألد أعدائهم، بعد فشل واقعة الجمل، وطلب منهما أن يشفعا له عند أبيهما، فخفا إليه وكلماه في شأنه، وما زالا يلطفان به حتى عفا عنه، إلا أن مروان هذا تنكّر لهذا المعروف، وقابل السبطين بكل ما يملك من وسائل الشر والمكروه، فهو الذي منع جنازة الإمام الحسن عليه السلام أن تدفن بجوار جده، وهو الذي أشار على الوليد بقتل الإمام الحسين عليه السلام إن امتنع من البيعة ليزيد، كما أظهر السرور والفرح بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، وحسب مروان أنه من الشجرة التي لم تثمر إلا الخبيث الدنس، وما يضر الناس»[1].

قال الشاعر:

أرى الإحسان عند الحر دينٌ	**وعند النذلِ منقصة وذمّ**
كماء القطر في الأصداف درٌّ	**وفي فم الأفاعي صار سم**

إنّ قوة الشخصية تكمن في سموها وعلوها أمام من يحاول النيل منها، والإساءة إليها، ومروان بن الحكم هو أحد الذين أساءوا إلى الأئمة عليهم السلام كثيراً، ومن قبل كان والده الحكم يسيء إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) سيد الشهداء الحسين بن علي: الشيخ موسى محمد علي، ص٦٢.

ولكن هناك سنة ثابتة، فالكبير يسمو كلما صادف عقولاً صغيرةً ونفوساً ضعيفة، ولا يُعرف العظيم والكبير إلا في المحن، ومن السنن فإنّ الكبير يبقى كبيراً مهما تقادمت الأزمان وكرّت الدهور، ويظلّ مناراً كلما كبرت المحن وادلهمت الخطوب، لأنّ الناس في ساعة العسرة تتجه وتولي وجهاً شطره كي تأخذ العزيمة والقوة منه.

وأما صغار العقول، وضعاف النفوس، فيصغرون وينحسرون حتى لو حاول النفعيون تعظيم شخصيتهم، وإضفاء الرتوش على وجوههم القبيحة.

لقد حاول الكثير من وعّاظ السلاطين بالذات وعّاظ آل سعود تكبير صورة يزيد بن معاوية، وتعظيم مكانته، ولكن خسئت محاولاتهم، وظلت هزيلة، لا تنهض أمام عظمة الأئمة والمولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فظلّ يزيد بن معاوية قابعاً في جيفته، ومركوساً في جهالته، وعضّوا أصابع الندم بعد أن كتبوا عن يزيد: «اتهامات باطلة على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية».

فبدل أن يرفعوا يزيد، ويزيلوا عن وجهه القبح والسواد، زادوه رهقاً وسوءاً.. وكأنهم بعملهم هذا كشفوا عن جيفة أخذت رائحتها تزكم الأنوف وتؤذي حتى من كتبوا له، إذ ماذا يكتبون؟ وأيّ شيء يسطرون؟.

هل يكتبون أنه «هدم الكعبة» حتى يرممها، أو قتل الآلاف في واقعة الحرة حتى يعجل بهم إلى الجنة كما يقول الحجاج، إنهم فتشوا عن منقبة ولو «موضوعة»، فلم يهتدوا إليها سبيلاً، ونقبوا البلاد فلم يجدوا ولو «شاردة»، مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً كلما مشوا فيه أظلم عليهم، وهكذا فإنّ بعض الأراذل إذ تريد أن تلصق به «حسنة أو منقبة» تزيده سوءاً وشيناً، فبدل أن تُحَسّنَهُ تزيده قبحاً، ويزيد وأبو يزيد منهم، «إنّ المناقب لن تكون إلا لأهلها».

فإذا تكلمنا عن الشجاعة ومَن تليق به، فلن يستأهلها إلا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام كما هي الحكمة والجود والإيثار والعدالة.

فهذه الأوسمة تتلألأ في صدور الأئمة عليهم السلام، وتزداد ألقاً، ومن جانب فإننا نفهم الشجاعة والجود والكرم وكلّ الصفات السامية من خلالهم، وهذا مهم جداً لأن استيعاب الصفات السامية تزيدنا قوة في التعلق بها، والانشداد إليها.

فعليه فإنّ وعّاظ آل سعود تنبهوا لذلك، عندها أغلقوا «ملف يزيد» لأنهم لم يجدوا إلا المثالب، ومن أقرب المقربين إليهم، كالسيوطي، وسبط ابن الجوزي، وغيرهم، فعادوا بعد أن خسئوا إلى ديدنهم القديم والذي أضحى «خَلِقاً» للغاية الطعن بأتباع أهل البيت عليهم السلام، والافتراء عليهم، ورميهم بالكفر والشرك.

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كاملُ[1]

إن الطعن بأهل البيت عليهم السلام:

أولاً: كي يغطّوا على هزيمتهم المنكرة، وفشلهم الذريع.

ثانياً: لعلهم يوقفون الزحف الكبير لمذهب أهل البيت عليهم السلام، والذي أخذ يكتسح مواقع مهمة، ويفترش مساحات شاسعة في دول لم يكن ليشكل فيها إلا نسبة ضئيلة.

ثالثاً: حتى يزرعوا بذور الشك في الجيل الواعي الذي أخذ يتطلع ويأخذ بأسباب العلم والفهم.

---

(١) ديوان المتنبي.

رابعاً: أسلوب الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع، فإنهم يهجمون وبأساليب رخيصة للغاية، حتى لا يدعو للفكر الحصيف كي يأخذ مداه.

وهذا ما نلمسه في حواراتهم الجوفاء، فما أن يبدأ الوهّابي بالكلام حتى يستعمل الكلمات النابية، والعبارات الشائنة، وأساليب بشعة، يضطر المقابل للسكوت أو الابتعاد خشية التصعيد، ثم الهبوط إلى «الوضاعة والوقاحة».

إنّ الوهابية لا تتقن أصول الحوار، ولا تعرف مفردات المناقشة الموضوعية، لأنها تفتقر إلى العلم والثقافة والحضارة، وفاقد الشيء لا يعطيه.

إنني لم أرَ وهابياً يتقن أصول الحوار مثل الاستماع بهدوء، ثم الرد الموضوعي، لذلك فعلى العلماء والمثقفين تجنب هؤلاء وتركهم، وفي نظري فإنّ الحوار مع هؤلاء لا يجدي نفعاً، ثم نعطيهم أكثر مما يستحقون، فلا داعي أبداً أن نصرف الوقت مع ثلة لا تقيم وزناً للحوار البنّاء، والكلام الطيب، والأسلوب المتزن، إننا نحاور من يفهم الحوار، ويستوعب مفردات النقاش السليم.

أما أن نحاور من يتعالى على الحوار، ويتخذه وسيلة للعلو والغطرسة، فهذا حرام وعيب، ثم ما الفائدة؟!!.

لذلك فإننا نحاور أولئك الذين يستمعون القول، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[1]، ونحاور من يستمع جيداً، ثم يطيل «النظر» ويعمل العقل فيما يلقى عليه.

فنحن لا نريد أن نمارس «إرهاباً فكرياً» كالوهابية، ولا نريد أن نستعمل الأساليب «الملتوية» التي تظهر شيئاً، وتبطن شيئاً آخر.

---

(١) الزمر: ١٨.

فنحن نحاور طرفاً ونفسح له المجال كي يفكر طويلاً لئلا يستعجل النتائج، فتأتي هزيلةً وعقيمةً، ولا نطلب استباق النتائج قبل تمحيصها على وفق القواعد العقلية، فتغيير العقائد ليس سهلاً إن لم يكن أصعب شيء في حياة الإنسان.

ثم إنّ الوصول إلى النتائج والاستنتاجات القائمة على القناعة والعلم تؤدي إلى التغيير «الجذري»، وهو يختلف عن التغيير الشكلي.

لذلك فإنّ التغيير القائم على القناعة والفهم الصحيح يقلع تماماً «الأفكار من جذورها» وهذا هو المطلوب وقد يتطلب وقتاً، ولكن لا ضير إذا كانت النتائج بالمستوى المطلوب.

فعليه، فإننا نسمع من الإخوة «المساجلات» مع الوهابية، وأنا أدعو إلى قطعها إذ إننا نرهق أنفسنا ثم نتعبها، وبعدها لا يبقى مجال للحوار مع الذين يملكون عقولاً حصيفة ذات أفق واسع، ولعل الوهابية تريد منا ذلك كي «تُهدر» الوقت، ومن ثم ترهقنا حتى لا يتسع صدرنا للآخرين، إذ إنّ الحوار المتكرر والعقيم يرهق و«يضيّق الصدر»، فلا يتسع لمن يريد الاستماع والهداية.

إنني أطلب من إخوتي الانتباه إلى هذه الملاحظة، وأخذها بنظر الاعتبار، فأهل الخير كثيرون، والقلوب الطيبة مودعة في الكثير، وهي تنتظر منا الفرصة كي تحتضن بذور العقائد السليمة والأفكار الصحيحة.

وقد يتعجب البعض من هذه العبارة، ولكن لا عجب من ذلك إذا علمنا أنّ نور الحق أخذ يتلألأ في سماء الكثير من الأمم، ويطل بقوة على أناس طالما انتظروه طويلاً، خذ مثلاً سوريا، والمغرب العربي، وأوروبا، وأمريكا، فإن مجتمعاتهم أخذت تفتح قلوبها لهذا النور.

الرحمة

قمة العطاء فهي التي ترطب القلب وتشبّعه محبة وشفقة وقد امتلأ قلب الإمام عليه السلام بها وباتت من مظاهر شخصيته الفذّة التي استمدها من جدّه.

قال تعالى في نبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

وقد تجلّت هذه الصفة في أهل البيت عليهم السلام ، وظهرت بأبهى صورها، وكما قيل وهو الحق أن الصفات السامية لا تُعرف معانيها الدقيقة إلا عند أهل البيت عليهم السلام .

وقد تجلت في الإمام الحسين عليه السلام ، وفي أشد الحالات وأصعبها، وساعة العسرة هو المحك الحقيقي للإنسان، قد يعطف الإنسان في الحالات الطبيعية فهذا شيء مألوف، أما في ساعة العسرة، وبأفضل ما يكون، فهذا شيء نادر وقليل الحدوث، وقد تجلى هذا الاستثناء عند أهل البيت عليهم السلام ، فتألقت الرحمة وتسابقت مع غيرها من الصفات السامية.

يقول العقّاد في كتابه القيم (الحسين سيد الشهداء):

فقد تسابقت الصفات السامية في كربلاء، فكان الإيثار يتسابق مع الجود، والجود مع الشجاعة، والشجاعة مع الشهامة، وكلها حازت قصب السبق، وهذا شيء نادر في تاريخ البشرية «الشهامة والرجولة».

فنحن نسمع عن الشهامة والرجولة والكرم والجود والإيثار، ولكن أن تأتي الشهامة وتعلو بها، فهذا شيء نادر، وكذلك الرجولة والإيثار، فهذه الصفات جاءت

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) التوبة: ١٢٨.

لترتفع في كربلاء، وتسموا حتى عرف السمو بها، وما كانت كربلاء لولا سمو الصفات السامية، وهذا هو النصر الحقيقي الذي «حققته» نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

وتكفي نهضة الإمام الحسين عليه السلام فخراً أن جعلت «السجايا العملاقة» غرة في جبين الثوار الحقيقيين، لقد صنعت كربلاء نهضة حقيقية على صعيد الصفات السامية، فكان الإمام حقاً أبا الأحرار، الذي حرر الصفات الطيبة من قيود «الاستهلاك والمجاملة والتصنع والتظاهر»، إذ لا مجال لهذه الطلاءات في «ثورة كربلاء»، فكل السنن كانت على المحك، بما فيها سنن القيم الحقة.

جاء في كتاب (الرسالة في الثورة الحسينية):

«كان أبو الأحرار شديد الرأفة بالناس جميعاً، من أصدقاء وأعداء، يسعف كل ذي حاجة، ويغيث كل ملهوف من ألوان تلك الصور الإنسانية الرائعة التي تظهر عطف الإمام عليه السلام ورأفته في عباد الله ما حدث «للحر وجيشه» عندما أرسل لقتاله، رآه الإمام وقد أشرف على الهلاك من شدة العطش هو وجيشه، فلم تدعه أريحيته الحسينية العلوية النبوية أن يتأخر عن مساعدة القوم وإنقاذهم، فأمر عليه السلام غلمانه وأهل بيته أن يسقوا القوم «عن آخرهم»، ويسقوا معهم خيولهم أيضاً، فسقوهم عن آخرهم، وكان من بين العطاشى «علي بن الطعان المحازي» الذي اشتدّ به العطش، فلم يدر كيف يشرب، فقام الإمام بنفسه وسقاه.

وكانت هذه البادرة الرائعة التي لم يسجّل التاريخ الإنساني مثيلاً لها، وكان مثلاً رائعاً في دنيا الشموخ أنّ أعداء الحسين عليه السلام جاؤوا لقتله إذ سمح لهم بالشرب، فشهامته وكرامته ونبله وعزة نفسه لا تسمح له إلا أن يشعر مع بني البشر»[1].

(١) الرسالة في الثورة الحسينية: الدكتور حسين الحاج حسن، ص٤١.

إنّ هذا اللون من الرحمة والعطف لهو خير دليل على سمو الإمام عليه السلام، ومحبته للإنسان حتى لو كان «محارباً»، إنّ هذه القيم الفذّة هي التي أعطت الموقع الحقيقي لنهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وشكّلت انتصاراً حقيقياً لثورته عليه السلام.

فمعروف عن الثورات أنها ترفع الشعارات قبل انتصارها، ولكن ما إن تنتصر وتستلم زمام الحكم حتى تتراجع وتتراخى عمّا «زعمته»، وبعضها ينسلخ تماماً «كالثورة البلشفية والثورة الفرنسية»، ولكن الثورة الحسينية ظلّت تتفاعل مع قيمها حتى في أقسى «الظروف»، فجاء التطبيق الفذّ لقيم ظلت سامية، كلما ذكرت نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

وإذا كنا نعلم ملابسات الظروف القاسية التي «أحاطت» بالقيم الإلهية إبان «يزيد بن معاوية»، وكيف كان يسعى «لخنقها»، والإجهاز عليها بكل وسيلة، عرفنا المهمة الصعبة التي تكفل المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الحفاظ على القيم والوقوف بحزم أمام المحاولات القاسية، فقد حاول يزيد بن معاوية القضاء على القيم الإسلامية مهما كلف الأمر.

فقد أظهر التهتك بشكل لم يسبق له مثيل حتى في زمن الجاهلية، إذ لم نسمع من الجاهلين أنهم كانوا ينكحون العمات والأخوات، كما فعل يزيد، ثم لم يجهروا بالفسق والفجور، ولم يرموا الكعبة، كما فعل يزيد بن معاوية[1].

وهكذا كان التحدي كبيراً وخطيراً للغاية لأنّ الضربات التي انهالت على القيم كانت ممضة وقاسية، وفتحت «جرحاً عميقاً» في جسدها حتى أصابها «الإعياء» والإجهاد، لاسيما أن معاوية بن أبي سفيان بدأها بقوة، فأتاح الفرصة ليزيد ليكمل المشوار، فجاءت قاسية الأمر الذي «أجهد القيم الإلهية»، ووضعها في «النفس الأخير»، فكان الأمر يتطلب جهداً مضاعفاً، وقوة استثنائية لانتشالها.

---

(١) راجع الطبري: خلافة يزيد بن معاوية.

إن إحياء القيم والمحافظة عليها يعدّ أمراً صعباً لاسيما والأمة عاشت ردحاً من الزمن كان جافاً، إذا لم تسقط «شجرة القيم» قطراً لتسقي في زمن معاوية، فظلت تعاني من «ألم حرارة العطش» حتى أوصلها إلى حافة الانهيار.

فمعاوية حاول بكل ما أوتي من مكر ودهاء القضاء على «القيم الإلهية» حتى عدّ الداهية الأول على هذا الصعيد، فقد استعمل أساليب مغلفة غاية في المكر والدهاء.

جاء في (كشف الغمة) للأربلي:

«ولما وصفهم معاوية وصف بني هاشم بالسخاء، وآل الزبير بالشجاعة، وبني مخزوم بالتِيه، وبني أمية بالحلم، فبلغ ذلك الإمام الحسن عليه السلام، فقال: «قاتله الله، أراد أن يجود بنو هاشم بما في أيديهم فيحتاجوا إليه، وأن يشجّع آل الزبير فيُقتلوا، وأن يتيه المخزوميون فيُمقَتوا، وأن تحلم بنو أمية فيحبّهم الناس»[1].

وهكذا كان يمكر معاوية حتى بلغ حداً لم يستطع أقرب المقرّبين إليه «كشفه»، وهو عمرو بن العاص.

وقد حاول معاوية الذي أدخل الإسلام في نفق مظلم حيث «يهرم فيها الصغير ويشيب فيها الكبير» القضاء على «بناه التحتية» المتمثلة بالشخصيات الفذّة من آل البيت عليهم السلام، وبالقاعدة العريضة التي احتضنت الإسلامية، وبالرموز التي يُشار إليها بالبنان، فقد سعى معاوية جاهداً القضاء على الشخصيات، وقد تمكّن من قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن عليه السلام، وقد أحدثت هذه الضربة منعطفاً خطيراً في مسيرة الإسلام، وسوف نفصّل ذلك في العوامل التي أدّت إلى تأجيل الثورة.

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام: ج٢/ص٤٦٨.

من مظاهر عطفه

يمكن أن نقول: إن أعظم اكتشاف يُعدّ في هذا الوجود هو اكتشاف النفس البشرية، فالذي يكتشف النفس البشرية يُعدّ «عالماً وفاتحاً قديراً»، وقد اكتشف «كولمبوس» أمريكا.

ولكن قبل اكتشافه اكتشفَ القدرة في الاقتحام، فالنفس البشرية تشكّل مركز الثقل عند الإنسان، فإذا عرف قيمتها وحجمها يستطيع من خلالها إنجاز أعظم المشاريع وبمختلف صورها، ففي النفس قوة جبارة.

قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[1].

فالله عز وجل منح النفس «الإلهام» وهي قوة مكينة، وقد استطاع الأئمة عليهم السلام «اكتشاف هذا العالم المكين» عند الإنسان، فعندها استطاعوا التعامل مع هذه القوة المكينة، وتوظيفها في مجال الخير وخدمة الإنسان فجاءت النتائج باهرة.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد أشار إلى هذا الاكتشاف:

دواءك فيك وما تبصرُ ... وداءك منكَ وما تشعرُ

أتحسبُ أنكَ جرمٌ صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبرُ[2]

فالإنسان ينطوي على «عالم كبير وواسع يفوق التصور».

---

(١) الشمس: ٧ ـ ٨.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٦/ص١٨٦. الإمام جعفر الصادق عليه السلام: عبد الحليم الجندي، ص١٧٧. حياة الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج١/ص٢٠٤. تاج العروس: الزبيدي، ج١٧/ص٤٩٩.

أمثلة طبية

جاء في كتاب (الإعجاز الطبي في القرآن):

«يقول تعالى جلّ من قائل: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[(١)].

فلننظر في بعض مظاهر التقدير والتدبير في جسم الإنسان، وهي آيات لا تُعد ولا تحصى.

ففي المعدة يوجد «٣٥ مليون» غدة معقّدة التركيب لأجل الإفراز، حيث تفرز مواداً لتحويل الطعام إلى مركبات تفيد الجسم، أما الخلايا الجدارية التي تفرز «حمض كلور الماء: HCL» فتقدّر بمليار خلية... مليار معمل كيميائي في هذه المعدة الصغيرة.

لقد صمّم الله سبحانه في كل خلية معملاً لصنع «حمض كلور الماء» الذي لو أردنا صنعه في المعامل لاحتجنا إلى معدات كثيرة، وأماكن كبيرة، ووقت طويل، وإمكانات هائلة، هذه الخلية الصغيرة أوكل الله سبحانه وتعالى إليها صنع «هذا الحمض بكثافة قليلة»، فإذا زادت كثافته قليلاً في المعدة، حصل مع الإنسان حموضة وحرقة ومشاكل كثيرة، وإذا نقصت كثافته قليلاً لم يعد ينهضم الطعام، فتحصل معه غازات وتلبّك في الهضم، فكل شيء مقدّر تقديراً عجيباً.

وفي الأمعاء الدقيقة في «العنج والصائم» من الأمعاء الدقيقة يوجد «٣٦٠٠ زغابة معوية» في كل «١ سم^{٢}» لامتصاص الأغذية المهضومة، فالطعام بعد أن يخلص من المعدة يأتي إلى الاثني عشرية، ثم يأتي إلى الأمعاء الدقيقة، حيث يبدأ امتصاصه بعد أن أصبح مستحلياً، وهذه الزغابات التي تشبه الضملة هي التي تمتصه، وهي تمتص منه فقط المواد التي تفيد الجسم، أما المواد التي لا فائدة منها فتظل سائرة لتُطرح خارج الجسم.

---

(١) الذاريات: ٢١.

وجاء في وظائف الكريات الحمراء والقلب: إذا جئنا إلى الدم، ولاحظنا الكريات الحمراء، والتي فيها عنصر الحديد الذي يعطيها اللون الأحمر، فإذا حصل مع الإنسان فقرٌ في الدم فإنّ الطبيب يصف له دواء فيه مركبات الحديد، ولو صففنا الكريات الحمراء التي في جسم إنسان واحد بجانب بعضها على صف واحد لأحاطت بالكرة الأرضية التي نعيش عليها من «٥ ـ ٦ مرات»، وأما القلب الذي أنعم الله به علينا فهو مضخة الحياة التي لا تكلّ عن العمل، وعدد ضرباتها حوالي «٧٠ ضخّة» في الدقيقة الواحدة، وينبض يومياً ما يزيد على مائة ألف مرة يضخ خلالها «٨٠٠ لتراً» من الدم، وحوالي «٥٦ مليون غالون» على مدى العمر الوسطي للإنسان»[١].

فإذا عرفنا مكنون هذا الإنسان نقول: على الإنسان أن يسعى لآخرته ويهيء مقدماتها بالمال والنفس.

فحرام عليك أيها الإنسان أن تُذهب بثروتك التي جاءت بشقّ الأنفس لبضع كلمات لا تغني عنك شيئاً، فهي بمجرد أن تظهر تذهب كالفقاعة أو كالزبد الذي يذهب جفاءً، وقد تمكن الأئمة عليهم السلام من الحفاظ على هذا «العالم» ومستوى العطاء المادي والمعنوي من خلال تذكير الإنسان بواقعه، وقد ضمّن الإمام أبو عبد الله عليه السلام ثلاث ملاحظات غاية في الأهمية:

١ ـ الذهاب إلى ذي دين، وذو الدين لا يطلب وجه الناس حتى يتحدث إليهم ويذكر ما أعطى، وإنما يطلب وجه الله وابتغاء مرضاته، والذي يطلب مرضات الله لا يرائي لأنه يعلم أنّ الرياء يبطل العمل، قال تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[٢].

---

(١) الإعجاز الطبي في القرآن: الدكتور إبراهيم بيضون، ص٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) البقرة: ٢٦٤.

وأذكّر البعض ممن يطلب «السمعة والصيت» من عمله أن لا قيمة للسمعة والصيت مهما تعاظمت واتسعت فهي لا تغني من الحق شيئاً، فماذا يفيد لو قال الناس: فلان يعطي ويساعد؟!! وماذا يقدم قولهم؟ وإنما الذي يقدم «ثواب الله عز وجل» فهو الذي يثري في الدنيا حيث يزيده هدى وبصيرة، فيضع «عطاءه» في موضعه، ثم يزداد ثواباً ومغفرة، وأما الآخرة فثوابه أعظم وأكبر.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

٢ ـ أو صاحب مروءة: الذي إذا طلبت منه يكرمك، ويحفظ ماء وجهك، فهذا التقي يُعدّ عطاؤه سخياً وإن كان قليلاً، فصاحب المروءة يكرم ويحفظ إكرامه، لأنه يزن الإنسان، ويعرفه قيمته، ويثمن السعي فهو في خُلْده لولا الاضطرار لما شدّ الرحال، فصاحب المروءة يُقدّر الموقف، ويضع في حسابه كرامة الإنسان أولاً وأخيراً.

وهناك ملاحظة: فإنّ صاحب المروءة يعطي «بنَفَس طيّب»، فيمتلئ عطاؤه طيباً، فيضحى مباركاً وذا نكهة طيبة، لذلك فإنّ عطاء أئمة أهل البيت عليهم السلام يمتاز بنكهة طيبة، ويتصف بالبركة.

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[2]، فالله عز وجل وصف العطاء بالطعام الذي كان خبزاً لطيبه وبركته.

٣ ـ أو حسب: ذو شهامة، فالشهم لا يستعظم العطاء مهما بلغ، لأن العطاء ينطلق من نفس كبيرة، وهكذا «كلما سمت النفس وكبرت» ازدادت عطاؤاً، سواء كان

(١) القصص: ٨٣.

(٢) الإنسان: ٨.

مادياً أو معنوياً، فترى صاحب «النفس الكبيرة» عظيماً في عطائهِ، وفي سماحته ولطفه وعطفه وحلمه.

وحسبك أن ترى «كبار النفوس» لا يبقون في أجسادهم طويلاً لأنها تُرْهَق.

وإذا كانــت النفــوس كبــاراً تعبـت في مرادهـا الأجـسامُ[1]

وهكذا كانت نفس المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

جاء في كتاب (الرسالة في الثورة الحسينية):

«أجمع المؤرخون أن بعض مواليه قد جنى عليه جناية توجب التأديب، فأمر الإمام عليه السلام بتأديبه، فانبرى العبد قائلاً: يا مولاي، إن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[2].

فابتسم الإمام بابتسامته المعهودة، وقال له: خلوا عنه، فقد كظمت غيظي.

وعندها سارع العبد قائلاً: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[3].

فقال الإمام عليه السلام: قد عفوت عنك.

فتشجّع العبد، وطلب المزيد من الإحسان، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4].

فما كان من الإمام عليه السلام إلا أن عفا عنه قائلاً: وأنت حر لوجه الله.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣/ص٢٩٢. تاريخ الإسلام: الذهبي، ج٢٦/ص١٠٧. البداية والنهاية: ابن كثير، ج١١/ص٢٩٢. يتيمة الدهر: الثعالبي، ج١/ص٢٥٣.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) آل عمران: ١٣٤.

(٤) آل عمران: ١٣٤.

ثم أمر له بجائزة سنية تغنيه عن الحاجة ومسألة الناس[١].

وجاء في كتاب (سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام):

«كان الإمام الحسين كثير البر والصدقة، وقد أورث أرضاً وأشياء فتصدق بها قبل أن يقبضها، وكان يحمل الطعام في غلس الليل إلى مساكين أهل المدينة، لم يبتغ بذلك إلا الأجر من الله، والتقرب إليه»[٢].

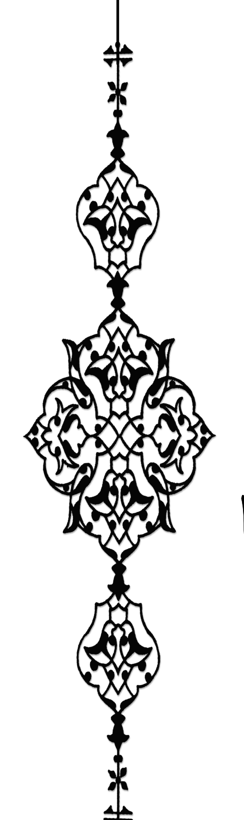
وكما أسلفنا ونزيد أن شخصية الإنسان تكبر كلما لامست تعظيماً واحتراماً، ثم هي تعكس ما أخذته، فالنفس تختزن الطيب، كما أنها تختزن السيئ، فإذا أخذت الطيب باستمرار تتحول النفس إلى نبع رقراق، وشلال يتدفّق طيباً في كل حين.

قال تعالى: ﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا ﴾[٣].

(١) الرسالة في الثورة الحسينية: الدكتور حسين الحاج حسن، ص٤٠.

(٢) سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ موسى محمد علي، ص٧٠.

(٣) إبراهيم: ٢٥.



الفصل الثالث

في ظل أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما

شخصية الإمام في ظل أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

عاش الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام فترة مهمة مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، وقد أخذ منهما الكثير، فبرزت معالم شخصيته الفذة، وقد ذكرنا أهمية هذه المرحلة التي عاشها الإمام عليه السلام.

فالزهراء عليها السلام صاغت شخصيته بشكل سامٍ إذ لم تدعْ فجوة فيها، فبرزت ملامحها تباعاً بأروع ما يكون، ثم جاءت فترة أبيه العظيم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكانت حلقة مهمة في سلسلة النبوة والإمامة أثرت حياة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأغنته بمفردات عالية، تضمنتها الرسالة التي وجهها أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ولا نبالغ إذ نقول أنها من أروع الرسالات وأثراها، فقد ضمنها أصول التربية، ومناهج السلوك، وقواعد الآداب، وغرر الحكم.

وهذه هي نص الرسالة:

«يا بني، أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وبالعدل على الصديق والعدو، وبالعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله تعالى في الشدّة والرخاء.

أي بني، ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير، وكلّ نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

واعلم أي بني أنّه مَن أبْصَر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن تعرّى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس، ومن رَضي بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته.

ومن سلّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن كابد الأمور عطب، ومن اقتحم الغمرات غرق.

ومن أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ، ومن تكبر على الناس ذلّ، ومن خالط العلماء وقر، ومن خالط الأنذال حقر، ومن سفّه على الناس شتم، ومن دخل مداخل السوء اتّهم، ومن مزح استخفّ به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

أي بني، من نظر في عيوب الناس ورضي لنفسه بها فذاك الأحمق بعينه.

ومن تفكر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سلم.

ومن ترك الشهوات كان حراً (يا لها من حكمة)، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.

أي بني، عزّ المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير (صدقت سيدي)، ومن علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما ينفعه.

أي بني، العجب ممن يخاف العقاب فلم يكف، ورجا الثواب فلم يتب ويعمل.

أي بني، الفكرة تورث نوراً، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والسعيد من وعظ بغيره، والأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين.

ليس مع قطيعة الرحم نما، ولا مع الفجور غنى.

أي بني، العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء.

أي بني، من تزيّا بمعاصي الله في المجالس أورثه الله ذلاً، ومن طلب العلم علم.

أي بني، رأس العلم الرفق، وآفته الخرق، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب، والعفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى.

أي بني، كثرة الزيارة تورث الملالة، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم (يا لها من قاعدة جبارة)، وإعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

أي بني، كم نظرة جلبت حسرة، وكم من كلمة سلبت نعمة (وهذه من أروع القواعد النفسية فإن النظرة تجلب الحسرة ولربما حسرات).

أي بني، لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعلى من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة.

ولا لباس أجمل من العافية، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضا بالقوت، ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجّل الراحة، وتبوّأ حفظ الدعة.

أي بني، الحرص مفتاح التعب، ومطية النصب، وداع إلى التقحم في الذنوب والشره جامع لمساوي العيوب (وهذه أروع ما قيل في الحرص)، وكفاك تأديباً لنفسك ما كرهته من غيرك.

أي بني، لأخيك عليك مثل الذي لك عليه، ومَن تورّط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرض للنوائب (حقاً كما قيل: فقد جمع ابن أبي طالب عليه السلام عقول الأولين والآخرين في عقله).

والتدبير قبل العمل يؤمنك الندم، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ (أروع قاعدة في الشورى وأهم نتيجة فيها).

أي بني، الصبر جُنة من الفاقة، والبخل جلباب المسكنة، والحرص علامة الفقر.

أي بني، وصول مُعَدم خير من جاف مكثر، لكل شيء قوت، وابن آدم قوت الموت (يا الله هذا هو عين الواقع).

أي بني، لا تؤيس مذنباً، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، وكم من مقبل على عمله مفسد في آخر عمره، صائر إلى النار (وهكذا الإمام يفتح الآفاق أمام الإنسان).

أي بني، كم من عاص نجا، وكم من عامل هوى، من تحرى الصدق خفت عليه المؤن، في خلاف النفس رشدها، الساعات تنتقص الأعمار، ويل للباغين من أحكم الحاكمين وعالم ضمير المضمرين.

أي بني، بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد، في كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص، لن تنال نعمة إلا بفراق أخرى.

أي بني، ما أقرب الراحة من النَصَب، والبؤس من النعيم، والموت من الحياة، والسقم من الصحة، فطوبى لمن أخلص الله تعالى علمه وعَمَله، وحبه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله.

وبخ بخ لعالم عمل فجد، وخاف البيات فأعد واستعد، إن سئل نصح، وإن ترك صمت، كلامه صواب، وسكوته من غير عي جواب.

والويل كلّ الويل لمن بُلي بحرمان وخذلان وعصيان فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غير، وأزرى على الناس بمثل ما يأتي.

واعلم أي بني.. من لانت كلمته وجبت محبته، وفقك الله لرشدك وجعلك من أهل طاعته بقدرته، إنه جواد كريم»[١].

لقد تلقّى أبو عبد الله الحسين عليه السلام هذه الرسالة وأعدها منهج الحياة.

وقد لازم الإمام أبو عبد الله الحسين أباه سيد الوصيين ملازمة «الظل» لشخصه، مثلما كان مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كان الإنسان قد تلقى «التوجيه» من عظيم، فيصبح كبيراً، فكيف إذا تلقّى من عدة عظماء، كأبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فلا غرو أن تتجسّد فيه «مزايا عظيمة» كعظمة جده وأمه وأبيه (صلوات الله عليهم أجمعين).

لقد أحاطه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بآيات الإجلال والتكريم لاسيما وقد رأى من رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم الاهتمام البالغ والرفيع قائلاً: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[٣].

وفي حديث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن قاما وإن قعدا».

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٩١.

(٢) مسند زيد بن علي: زيد بن علي، ص٤٦١. الأحكام: الإمام يحيى بن الحسين، ج١/ص٤٠. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٤/ص١٢٥. فقه السنة: الشيخ سيد سابق، ج٣/ص٤١٧. نضد القواعد الفقهية: المقداد السيوري، ص٩٨.

(٣) علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج١/ص٢١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص١٥٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج٢/ص٧١٧.

وكما جاء في (سنن الترمذي): «نحن بني عبد المطلب سادة أهل الجنة، رسول الله، وحمزة سيد الشهداء، وجعفر ذو الجناحين، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والمهدي من ذريتي»[١].

فهذه الأحاديث وغيرها قد سمعها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب «شخصيته الفذة» التي نمت في دوحة النبوة، فأورقت أخلاقاً عالية جعلته يسمو في قلب أبيه (صلوات الله عليه) ويلتصق به.

فقد التصق بهم والتصقوا به، حتى صارا جزءاً لا يتجزأ منه.

قيل لمحمد بن الحنفية (رحمة الله عليه): أبوك يسمح بك في الحرب ويشحّ بالحسن والحسين عليهما السلام؟.

فقال: «هما عيناه وأنا يده، والإنسان يقي عينيه بيده»[٢].

فالإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام كان جزءاً من أبيه، بل جسّد شخص أبيه (صلوات الله عليهما)، حتى قال الأعداء في كربلاء عندما رأوا صولاته: «إن نفس أبيه بين جنبيه»[٣].

---

(١) الأمالي: الشيخ الصدوق، ص٥٦٢. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص٢٦٩. كتاب سليم بن قيس: تحقيق محمد باقر الأنصاري، ص٢٨٠. شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج٢/ص٥٠١. الغيبة: الشيخ الطوسي، ص١٨٣. العمدة: ابن البطريق، ص٥٢. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٢٢/ص١٤٩.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ابن أبي الفتح الإربلي، ج٢/ص٢٣٥. ذوب النضار: ابن نما الحلي، هامش ص٥٥. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٢/ص٩٦.

(٣) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص٨٩. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٩٠. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٢٤١. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٤٥/ص٥٢. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٤/ص٥٦. إعلام الورى بإعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ج١/ص٤٥٤.

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يجلّ الإمام أبا عبد الله عليه السلام كثيراً، ويمنحه محبّة خاصة، وكان يكنّيه منذ الصغر، كما تذكر الروايات، كل ذلك حتى يمكّن فيه أسس الشخصية النبوية، ومقوّمات الرجولة، علماً أنّ مرحلة التربية تبدأ من الصغر.

جاء في كتاب (الحسين وبطلة كربلاء): «إنّ الطفل بعد أن يتم الثالثة تبدأ مرحلة التوافق بينه وبين بيئته، والتمييز بين الألفاظ والمعاني، وإنّ نموه العقلي في هذه السن يتجه بصاحبه إلى كشف ما يحيط به مما يرى ويسمع»[1].

وقد انعكس الاهتمام على شخص أبي عبد الله عليه السلام وفق قاعدة بقدر ما تأخذ تعطي، وكيفما تأخذه تعكس، فقد انشدّ إلى أبيه سيد الوصيين عليهما السلام، وأفاض حباً هائلاً.

ومن فرط حبه لسيد الوصيين عليه السلام أن سمّى أولاده كلهم علياً، وقال: «لو جاءني مائة ولد لسميتهم علياً».

فكان الإمام علي بن الحسين، وعلي الأكبر، وعلي الأصغر، ويعدّ الإمام زين العابدين أكبر أولاده (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد ذاب الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام بأبيه بعد أن لمس من أبيه «الحب الكبير»، وتعدّ هذه القاعدة من أهمّ القواعد التربوية، فكلما يلمس الولد من أبيه الحب والاحترام ينشدّ إلى أبيه ويتمثّل صفاته.

وقد ذكرت في إحدى مؤلفاتي أنّ حب «الابن لوالده» مرهون بسلوك والده، فكلما ازداد سلوكه طيباً كبر الحب في قلب ولده، حتى يغدو قرّة عين الأب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

(١) الحسين وبطلة كربلاء: الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية قدس سره: ص١٧٢.

(٢) الفرقان: ٧٤.

ولكن السؤال: كيف يصبح الابن طيباً وعالياً؟.

الجواب:

أولاً: من الأب والأم.

ثانياً: من المبادئ السليمة.

ثالثاً: والاهتمام السليم في الصغر.

رابعاً: الجو العام.

فهذه أربعة عوامل تجعل «الولد طيباً وسليماً»، وبالتالي يجعل منه «ولداً باراً» ليس لوالديه فحسب، وإنما لمجتمعه.

والقاعدة التربوية تنص: أن الوالد البار هو الأجدر والأكفأ في تحمّل المسؤولية، وفي الحديث القدسي: «من برّ والديه وعقّني كتبته باراً»[١].

وبقدر برّه واحترامه يحترم المجتمع ويقدره، طبقاً لقاعدة: ما يبطنه المرء يُظهره للغير، فإذا استمرأ الطيب يظهره للآخرين والعكس هو الصحيح، لذلك نرى الذين ترعرعوا في بيوت طيّبة كانوا الأجدر في تحمّل المسؤوليات، والبيت الطيب يساهمُ كثيراً في إثراء المجتمعات، ويرفع المستوى النفسي والعقلي في تحمل المسؤوليات الكبيرة.

والمجتمعات التي تبني هي الأكثر تماسكاً في العلاقات الاجتماعية، والأوفق في تبنّي المفاهيم الأخلاقية، وباتت هذه الظاهرة واضحة في المجتمعات المتقدمة، والمجتمعات المتماسكة اجتماعياً تقلّ فيها الجريمة والأمراض النفسية، كما هي اليابان، فعلى صعيد الجرائم فإن نسبة الجريمة في اليابان «صفر»، والسبب يعود كما يقول علماء الاجتماع إلى تماسك الأسرة، وعمق العلاقات العائلية.

---

(١) مجموعة محاضرات للشيخ الوائلي قدس سره.

وذلك بعكس المجتمعات التي تشكو هشاشة العلاقات الاجتماعية، فإنّ نسبة الجريمة فيها عالية، كما هو المجتمع الأمريكي والأوروبي، ففي أمريكا تقع في كل ثانية جريمة، وفي كل دقيقة «جريمة قتل»[١].

ومما يحزّ في النفس أن المجتمعات الإسلامية والعربية كانت بالأمس تعدّ من المجتمعات السليمة والرائدة في مجال تماسك العلاقات الاجتماعية، ولكن في السنوات الأخيرة تراجعت هذه المجتمعات، وشهدت تدهوراً خطيراً على صعيد العلاقات الاجتماعية كل ذلك بفعل «التقليد الأعمى» للموضات المتتالية التي أخذت ترتاد البيوت، ثم تجهز على التقاليد السليمة التي كانت متأصلة.

فأخذت هذه «الموضات» تجهز على هذه التقاليد، وتستبدلها «بتقاليد جوفاء» لا معنى لها، فهي خاوية من المعنى «الأخلاقي والاجتماعي».

فموضة السهرات الليلية مع الغناء الفاحش والمتهتّك صارت تأخذ حجماً فاحشاً من بيوتات الكثير، ممّا أدّى إلى اختفاء «الكلام الطيب»، والسهرات المفيدة، التي تتخللها الأحاديث الشيّقة والمفيدة، فتلاشت «السهرات الطيبة» التي كانت مفعمة بالأحاديث المفيدة وفيها الكثير من معاني الحياة.

لقد راعني وأنا أطالع المجلات والجرائد كثرة السهرات الليلية الفاحشة، فما من «جريدة»، باستثناء القليل إلا وتجد الدعوة إلى حفلة «راقصة» مع مغنية متهتكة، وفي بعض الأحيان تفصح الجريدة بشكل يثير الاشمئزاز عن فقرات هذه السهرات. وقد سيطرت «ثقافة السهرات الليلية» على أجواء الكثير من البيوت حتى باتت هذه البيوت تئنّ من ظاهرة «الفلتان».

---

(١) كتاب الطائفية.

لقد فقد الأب السيطرة، وبات لا يدري كيف يعالج الموقف، ويتعامل مع هذه الظاهرة الخطيرة، فإن هو أغلق التلفزيون، فهناك الإنترنيت، وإن أغلق الإنترنيت فهناك الـ«CD»، والكثير من البدائل المتاحة للشباب، فماذا يصنع الأب وهو الرائد والقيّم؟!.

إنها ظاهرة خطيرة تنذر بأوخم العواقب.

لقد كنّا سابقاً نشكو من «ملهى»، والآن من عدّة «ملاهي» أخذت تقتحم بيوتنا، ولا نستطيع لها دفعاً أو تغييراً، الأمر الذي أدّى إلى يأس بعض الآباء، والابتعاد عن البيت وتركه نهائياً، ولكن هجران البيت لا يعدّ حلاً، فالأمر يتطلّب معالجة موضوعية تشترك فيها جميع المؤسسات الاجتماعية بما فيها المراكز والحسينيات والمساجد والهيئات الاجتماعية، فضلاً عن البيت.

إنّ الخطر المحدق والداهم يتطلب جهداً مشتركاً، ونصيحتي للمراكز الإسلامية والحسينيات والمساجد الاهتمام بالشباب والشابات، ووضعهم على جدول أعمالهم، وفي سلم الأولويات.

إنّ الكثير من المراكز والحسينيات تفتقر إلى المنهج الجذّاب، وإلى الأسلوب الحيوي في جذب الشباب.

فليست هناك برامج شبابية من قبيل «الحوار»، وتشكيل فرق للرياضة والخطابة، ثم إيجاد «مسابقات علمية» مثل إعطاء كتاب وتلخيصه بمدّة قياسية، أو طرح أسئلة، وإيجاد أفضل الحلول، أو اقتناص آخر الاختراعات والابتكارات.

فأيّهم يأتي باختراع من الإنترنيت فله جائزة ثمينة، وإن شاء المركز «يشجع على ابتكار طريقة علمية»، إنّ تحريك العقل عند الشاب يعدّ من الوسائل المهمة في جذبه،

وكذلك مشاعره، وإثارة أحاسيسه عن طريق اللغة والأسلوب الليّن، وهو الأمثل في جذب الشباب وشدّهم إلى المراكز والبيوت.

فعلى القائمين استعمال «اللين»، واللين مفردة تحمل عدّة أوجه، منها:

مخاطبة عقلية الشاب، فهذه الشريحة التي في سن (١٦ ــ ٢٥) تحمل عقلية «متزمّتة» حيث يكون عقله «في أول انبثاقه»، فيسعى إلى الاعتداد بعقله ورفض كل «ألوان النصيحة» حتى لو كانت الوسائل بليغة، وهذه قاعدة عامة، فالمطلوب اختراق «عقله»، وذلك يعتمد على «كيفية مخاطبته».

مثلاً: إذا كان الشاب يريد أن يشقّ طريقه، ويبتغي هدفاً، بغضّ النظر عن آثاره، فتأتي المحاكاة، وتتجسّد في إبراز النتائج المترتبة على عمله، وطرح أمثلة قريبة منه.

نقول: إذا أنت أقدمت بدون أن تستشير فهناك شباب وقعوا في أخطاء من جرّاء التزمّت والتعصب، فنطرح هذه النماذج.

بالتأكيد أنّ الشاب يرعوي، أو على الأقل «يتأمل» ويتردد في خوض لجج المشاريع المستعجلة إن صحّ التعبير، وهذه من أهم الوسائل التي ننتهجها مع الشريحة الشبابية.

وطرح الأساليب المعقولة والمنسجمة مع عقلية الشاب تعتمد على تجربة الأب وعلى سعة اطلاعه.

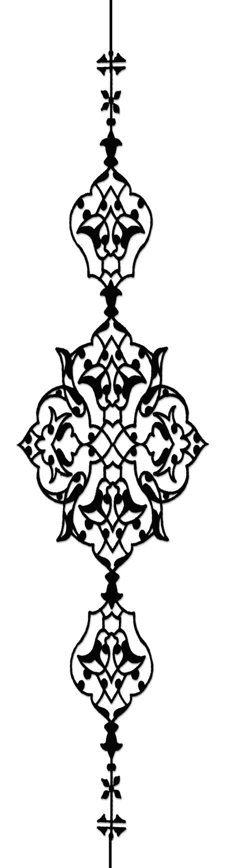
نعود إلى الحديث عن حياة الإمام الحسين عليه السلام مع أبيه الإمام سيد الوصيين عليه السلام، ونقول: إن الإمام الحسين عليه السلام عاش «فترة حاسمة» مع سيد الوصيين عليه السلام، إذ تنفّست الفتن، واشرأبّت الأعناق الضالة، فكانت خطيرة للغاية، استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «احتواءها»، والقضاء على بؤر الفتن التي كوّنتها الأهواء الشخصية، والمصالح الذاتية.

ولولا «حكمة الإمام أمير المؤمنين »عليه السلام لأخذت هذه البؤر مساحة واسعة من المجتمع، وأوجعت القيم الإلهية كثيراً، فالذي أوقدها فئات يعتدّ بها ولها تاريخ مع الإسلام، مثل الزبير وطلحة.

وقد أحدثت هذه الفتن اهتزازاً في العقائد، وتصدعاً في جدار المجتمع الإسلامي لاسيما وأنه خرج توًا من «فتنة» أرقتهم وأوقعتهم في متاهات، ممّا حدا بالإمام إلى انتهاج الحكمة، وابتغاء أروع الأساليب في إزالتها وتطويق الظلام الذي لفّ العقول من جراء الفتن، فقد وضع القواعد الأساسية لدرء الفتن والشبهات.

ومن القواعد: «اعرف الحق تعرف أهله»، وإن الحق لا يقاس بالرجال، وهكذا وضع الميزان وثبته على أسس متينة لم تستطع الفئات المناوئة زحزحته، أو تغيير مساره.

ففتنة «الجمل» كادت أن تغيّر ميزان القوى، وتربك «أهل الحق»، ولكن حكمة الإمام (صلوات الله عليه) أرجعت الكثير إلى الحق، وثبتته في قلوبهم، بعد أن كاد يزيغ فريق منهم.



الفصل الرابع

دور الإمام في معارك أبيه صلوات الله وسلامه عليهما

معركة الجمل

إنها معركة مزّقت صفوف المسلمين، وجعلتهم شيعاً، وأحدثت فجوة واسعة في جدار المجتمع الإسلامي.

وإن تسأل عن السبب في حدوثها فلا تجد إلا الأحقاد والضغائن والأهواء التي استبدت في النفوس، فأوقدوا ناراً أتت على الأخضر واليابس، وفتحت باباً من الفتن لم يغلق لحد الآن.

وأقول (لحد كتابة هذه السطور): لن أجد مبرراً واحداً لوقوعها، وكل ما قيل في أسبابها أن «عائشة خرجت للإصلاح»، لكن ما هو الإصلاح؟ وما هي معالمه؟ فلن تحصل على الجواب.

ثم لماذا خرج الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وهما قد بايعا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟!.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، فميتته جاهلية»[1]... فلن تحصل على الجواب.

(١) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج٧/ص٢٦٣. المجموع: محي الدين النووي، ج١٩/ص١٩٠. روضة الطالبين: محي الدين النووي، ج٧/ص٢٧١. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج٤/ص١٢٤. المغني: عبد الله بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. سبل السلام: محمد ابن إسماعيل الكحلاني، ج٣/ص٢٥٨. نيل الأوطار: الشوكاني، ج٧/ص٣٥٨.

فعليه فالذين يبرّرون قيامها لابدّ وأن يضعوا في حسابهم هذه الملاحظات:

١ ـ لقد وضعوا الأشخاص فوق القانون، وهذه إهانة للقانون، وخرقاً فاضحاً له، وكما هو ثابت في سنن المجتمعات الراقية أن لا أحد يعلو القانون، فله السيادة المطلقة.

ثم إذا وضعنا الأشخاص فوق القانون فلا قيمة تبقى له، ثم لا تصبح له هيبة وسطوة، فيضحى لعبة بيد المنتفعين، كما حدث لحكام بني أمية وبني العباس.

٢ ـ ثم إذا تكلموا في الإصلاح، فماذا جنت السيدة عائشة، والزبير، وطلحة، من معركة الجمل حتى يمكن أن نقول «أنهما خرجا للإصلاح»؟.

وأيّ إصلاح؟ وقد تمزق المجتمع الإسلامي شيعاً، وتقطّعت أوصاله، ودبّ فيه داءٌ لم يبرأ منه بالرغم من المحاولات الحثيثة التي بذلها أمير المؤمنين عليه السلام.

يقول الشاعر:

أرى ألفَ بان لا يقوم لها دم   فكيف ببان خلفه ألف هادمِ

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾[1].

٣ ـ إن الدماء التي أريقت كانت عزيزة، وكان الأجدر بها أن تُراق على «مذبح العقيدة والحق» لا أن تُراق لمصالح ضيّقة وأهواء مستبدة، فهذا حرام ولم يقبل به الشرع.

٤ ـ ثم إنّ المعركة العسكرية كما في عرف الدول والقانون الدولي تشكّل آخر الحلول، فلابدّ أن يسبق الحل العسكري حوارات وزيارات، وإيجاد مناخ لحلحلة الأزمة بالطرق السلمية، فإن عزت وفشلت الحلول يأتي الحل العسكري.

---

(١) الأنعام: ١٥٩.

ثم إنّ الحوار دائماً يؤدي إلى نتيجة، ومنها تقريب وجهات النظر، وأما المعركة العسكرية فهي تباعد بين الطرفين، وتصنع حاجزاً بينهما قد لا يلتقيان، وهذا ما حدث في معركة الجمل.

٥ ـ وثمّة ملاحظة مهمة، فمن أفتى بخروج «نساء النبي»ﷺ؟! فليست هناك فتوى أو حديث يدعو إلى خروج النساء، بالذات نساء النبي محمد ﷺ، فإنّ الله عز وجل أمرهنّ بالتزام البيوت في آية واضحة.

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1].

فالآية صريحة في «الإقرار»، وقد جاءت كلمة ﴿ وَقَرْنَ ﴾ في الآية لتثبت المفهوم الواقعي لنساء النبي ﷺ. ومعنى وقرن من الوقار، وكأنّ بقاء نساء النبي محمد ﷺ يجلبن الوقار، فالآية واضحة في «عدم الخروج» لاسيّما وأنّ نساء النبي ﷺ يمثّلن القدوة والأسوة للنساء، وما تسمية نساء النبي ﷺ بـ «أمهات المؤمنين» إلا لأجل هذا المقام السامي، فأيّ خروج أو عصيان من قبلهنّ يعدّ كبيراً وخطيراً.

وإن تسأل عن الطلب بدم عثمان، فإنّ السيدة عائشة هي التي ألّبت على الخليفة «عثمان بن عفان»، وكانت تمشي في الأسواق وترفع «قميص» رسول الله ﷺ، وتقول:

«هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبلَ، وعثمان قد أبلى سنّته»[2].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي، ص٥١٧. المسترشد: محمد بن جرير الطبري، هامش ص١٦٥. الأمالي: الشيخ الطوسي، ص٧١٤. كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي، ص٣٢٥. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٢٠/ص٢٢. الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٢٨. النصائح الكافية: محمد بن عقيل، ص١٧٣.

ويذكر الطبري وغيره:

أنّ السيدة عائشة، كانت تقول: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[1]، وكانت ترفع هذا الشعار في مكة المكرمة، وقد أباحتها السيدة عائشة بعد أن حرمها الله عز وجل.

وكما جاء في (تاريخ الطبري): «ولما انتهت إلى «سرف» راجعة لقيها «عبد بن أم كلاب» وهو عبد بن أبي سلمة (ينسب إلى أمه).

فقالت له: مهيم؟.

قال: قتلوا عثمان رضي الله عنه، فمكثوا ثمانياً.

قالت: ثم صنعوا ماذا؟.

قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على «علي بن أبي طالب» عليه السلام.

فقالت: والله ليت أنّ هذه (السماء) انطبقت على هذه (الأرض) إن تمّ الأمر لصاحبك!! ردّوني ردّوني. فانصرفت إلى مكة، وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه.

---

(١) الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي، ص٥١٦. الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي، ج٣/ص١٦٤. اثنا عشر رسالة: المحقق الداماد، ج٣/ص١٠٦. الجمل: ضامن بن شدقم المدني، هامش ص٢٤. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣١/ص٤٨٤. الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي، ص١١٥. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦/ص٢١٥. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج٢٢/ص١١. المحصول: الرازي، ج٤/ص٣٤٣. تاريخ الطبري: الطبري، ج٣/ص٤٧٧. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣/ص٢٠٦. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني، ج١/ص٥١. كتاب الفتوح: أحمد ابن أعثم الكوفي، ج٢/ص٤٢١. النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج٥/ص٨٠. لسان العرب: ابن منظور، ج١١/ص٦٧٠. تاج العروس: الزبيدي، ج١٥/ص٧٤٥. تقريب المعارف: أبو الصلاح الحلبي، ص٢٨٦.

فقال لها: ولم؟ فوالله إنّ أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[(١)].

فقالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول.

فقال:

فمنــك البــداء ومنــك الغــيرْ	**ومنــك الريــاح ومنــك المطــرْ**
وأنــت أمــرت بقتــل الإمــام	**وقلــت لنــا إنّــه قــد كفــرْ**
فهبنــا أطعنــاك في قتلــه	**وقاتلــه عنــدنا مَــن أمــرْ**
ولم يسقط السقف من فوقنا	**ولم ينكسف شمسنا والقمرْ**
وقــد بــايع النــاس ذا تــدر	**يزيــل الــشّبا ويقــيم الــصّعرْ**
ويلـبس للحـرب أثوابَهـا ومـا	**مـن وفـى مثـل مـن قـد غـدرْ**[(٢)]

وقد حذّرها رسول الله ﷺ من الفتنة، ومن الخروج، بعد أن بيّن لها بالتفصيل: «أيّتكنّ صاحبة الجمل الأدبب (الوبر)، التي تنبحها كلاب الحوأب، لا تكونيها يا حميراء»[(٣)].

---

(١) المصادر السّابقة.

(٢) الجمل: ضامن بن شدقم المدني، هامش ص٢٤. النص والاجتهاد: السيد شرف الدين، هامش ص٣٩٣. أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص١٧٧. مواقف الشيعة: الأحمدي الميانجي، ج٢/ص٣٧. الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي، ص١١٥. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج٢٢/ص١١. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣/ص٢٠٦.

(٣) معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، ص٣٠٥. الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي، ص٧٦. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، ج١/ص٦٨. فتح الباري: ابن حجر، ج١٣/ص٤٥. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٨/ص٧١١. مسند ابن راهويه: إسحاق بن راهويه، ج٢/ص٣٢. الاستيعاب: ابن ←

وجاء في (تاريخ الطبري)، عن الزهري، قال:

فسمعت عائشة رضي الله عنها نباح الكلاب، فقالت: أيّ ماء هذا؟.

فقالوا: الحوأب.

فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهي، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وعنده نساؤه: «ليت شعري أيتكنّ تنبحها كلاب الحوأب».

وروى ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال يوماً لنسائه، وهنّ جميعاً عنده: «أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب، تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم في النار، وتبحوا بعدما كادت»[1].

وجاء في (تاريخ الطبري): عن الزهري قال: فسمعت عائشة رضي الله عنها نباح الكلاب، فقالت: أيّ ماء هذا؟.

فقالوا: الحوأب.

فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهي، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكنّ تنبحها كلاب الحوأب»[2].

وقد كذبوا عليها بعد أن كذبوا على «عثمان» إذ جاؤوا بدم كذب، وألصقوه بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مثلما فعل إخوة يوسف عليه السلام.

→

عبد البر، ج٤/ص١٨٨٥. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩/ص٣١١. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٢/ص١٩٨. سبل الهدى والإرشاد: الصالحي الشامي، ج١٠/ص١٦٥. معجم ما استعجم: البكري الأندلسي، ج٢/ص٤٧٢. النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج٢/ص٩٦. لسان العرب: ابن منظور، ج١/ص٣٧٣. تاج العروس: الزبيدي، ج١/ص٤٧٩.

(١) المصادر السابقة.

(٢) المصادر السابقة.

وقد فتحوا جرحاً في جسد الإسلام ظلّ ينزف، وتركوه بعد أن عرفوا «أن الجرح لا يندمل»، وقد يفتح جروحاً عديدة، لذلك أجمع الكثير من الفقهاء «العامة» بتحميل السيدة عائشة، وطلحة، والزبير، ومروان، جريرة ما حدث في الجمل.

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني في (كتاب الإمامة):

«أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريق الحديث والرأي، منهم مالك، والشافعي، وأبو حنيفة، والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين: أنّ «علياً» مصيبٌ في قتاله لأهل صفين، كما هو مصيب في أهل الجمل، وأنّ الذين قاتلوه بغاة ظالمون له»[١].

وقد أبلى الإمام الحسين بن علي عليه السلام في هذه المعركة بلاءً حسناً، فقد ساهم بشكل فعّال في إطفاء الفتنة، والقضاء على بؤر الفساد قبل المعركة، وفي أثنائها.

فقد ذكّر الناس من مغبّة الانجرار وراءها بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تنصّ على ولاية أبيه الإمام أمير المؤمنين سيد الوصيين عليه السلام، ثم كشف عن آثار الفتنة.

والمؤسف أنّ الكثير من الناس لا يسمعون للكبير مثلما يسمعون للصغير، جاء في (موسوعة الإمام الحسين عليه السلام):

«وقد أسند الإمام عليه السلام قيادة ميمنة جيشه إلى الإمام الحسن عليه السلام وقيادة ميسرته إلى الإمام الحسين عليه السلام، كما كانت جيوشه مزوّدة بأحسن السلاح، ويقول المؤرّخون أنّ الحسين عليه السلام كان قد ركب فرس جده صلى الله عليه وآله وسلم المسمى بالمرتجز»[٢].

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أحمد الرحماني الهمداني، ص٦٥٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ج٦/ص٤٧٤. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج١/ص٤٢٠، الإمام علي عليه السلام إمام لكل العصور: الأستاذ كمال شاكر، ص٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٤٠.

وجاء فيه أيضاً: «والتحم الجيشان التحاماً رهيباً، ويقول بعض المؤرخين: أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد تولى قيادة فرقة فرقة من فرق الجيش، وأنه كان على الميسرة، وخاض المعركة ببسالة وصمود، وكان جمل عائشة فيما يقول بعض من شهد المعركة هو راية أهل البصرة، يلوذون به كما يلوذ المقاتلون براياتهم، وقد حمل الإمام عليه السلام عليهم، وقد رفع العلم بيسراه، وشهر في يمينه «ذا الفقار» الذي طالما ذبّ به عن دين الله، وحارب به المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله».

وجاء فيه أيضاً: «واشتدّ القتال كأشد وأعنف ما يكون القتال، وكثرت الجرحى، وملئت أشلاء القتلى وجه الأرض، ورأى الإمام أنّ الحرب لا تنتهي ما دام الجمل موجوداً، فصاح بأصحابه: اعقروا الجمل فإنّ في بقائه فناء العرب.

وانعطف عليه الإمام الحسن عليه السلام فقطع يده اليمنى، وشدّ عليه الإمام الحسين عليه السلام فقطع يده اليسرى، فهوى إلى جنبه، وله عجيج منكر لم يسمع مثله، وفرّ حماة الجمل في البيداء، فقد تحطّم صنمهم»[(١)].

لقد خاض الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام هذه المعركة، واستطاع مع أخيه الإمام الحسن عليهما السلام إنهاء الفتنة.

إنّ المواقف البطولية التي ترجمها المولى أبو عبد الله عليه السلام عملياً، إنما تدلّ على تأثّره بشخصية والده العظيم سيد الوصيين عليه السلام، ومدى التصاقه به، الأمر الذي جعل من الإمام أبي عبد الله عليه السلام «صورة حيّة» لسيد الوصيين عليه السلام، فقد تمثّل مواقف أبيه في كل مراحل حياته عليه السلام، وجسّدها بشكل جعل الكثير يرى صورة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واضحة على قسمات الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٤٨.

من الحقائق الثّابتة في قوانين الحياة

من يغرف من العين الصافية والنبع الزلال لا تهجم عليه اللوابس فهو يختلف كثيراً عمّن يأخذ من فروعه، بالذات إذا كانت الفروع تعترضها ممرات يشوبها الكدر.

فالإمام أبو عبد الله عليه السلام صَدَر من عين صافية، وكانت بحقْ تشكّل «النبع الثّر» الذي أغنى الإمام كثيراً بحيث جعلته عيناً ثانيةً، تحمل مميّزات تلك «العين» نفسها.

ومن القوانين الثابتة: أنّ الابن إذا تمسّك بمدار أبيه، وظلّ يدور حوله فإنه يتقمّص شخصيته، أو على الأقل يتأثّر بخصائصه مهما بلغت من القوة والسمو، ويظلّ يتأثّر بها إلى أن يتقمّصها تماماً.

وقد تجسّد هذا القانون في واقع الإمام الحسين عليه السلام، فقد تمسّك بأبيه، فأخذ شخصية أبيه المباركة، تساهم في ذلك الأرضية الطيبة التي صنعها التوجيه الفذّ من قبل جدّه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمه الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد أودعا فيه ينابيع ثرّة أثّرت فيه تباعاً، فبرزت ملامحها بأمثل ما يكون، وقد ظهرت ملامح هذا التأثير في كربلاء عندما رفض الإمام عليه السلام الذلّ:

«يأبى الله لنا ذلك ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[1].

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، هامش ص٥٨. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٥/ص٨٣. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣/ص٢٥٠. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٤/ص٢١٩. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ص٥٩. أخلاق أهل البيت عليهم السلام ـ : السيد محمد مهدي الصدر، ص٢٨٩.

إنّ الأب يستطيع أن يصنع من ولده عملاقاً تعنو له الوجوه، وكأنّ الأب يمثّل القوة أو النّبع الذي يثري ولده بمزايا وأخلاق سامية، وبالطبع نحن نتكلم عن الآباء الطيّبين، وذوي الأخلاق الحميدة الذين يشكّلون إحدى القوى المهمّة في صياغة الأولاد، لذلك فإنّ العلاقة معهم تعدّ مهمة وحيوية.

جاء في كتاب (مقتطفات سيكلوجية):

«يوجد الإنسان في العالم فتتأثر شخصيته من شخصية آبائه وأجداده، إخوته وأخواته، أقاربه وذويه، فيلتفّ بها ويمزجها بجوهر حياته، ثم يعود فيصوغها من جديد هدية يطوّق بها أعناق الذين يخلفونه، فما أغرب الإنسان وما أعجبه؟! فهو مؤثّر بشخصيته ومؤثّر فيه في آن واحد، فبينما تتكوّن شخصيته من شخصيات القريبين إليه إذا به يحيك شخصية فريدة وذاتية خاصة به يتأثر بها سواه، وقد جعلت حلقة اتصال تربط بها الأجيال، فما أعظم المسؤولية الملقاة علينا لأننا ننقل بحياتنا إلى العائشين في أحياء المستقبل مؤثّرات يكوّنون منها شخصياتهم، فإما أن نكون يداً للبناء أو معولاً للهدم، فأيّ الأمرين نختار؟.

إنّ حياتك التي تحياها إنما هي بذرة تتكوّن منها شجرة الأجيال، وأنت لست منفصلاً عن العالم بل متصلاً به، فهل ترغب بأن يكون اتصالك هذا سبباً لرفع شخصيات أفراد مجتمعك أو لخفضها؟»[1].

وتلك حقيقة، فإننا نؤسس لأجيال متعاقبة، وهي تبني عندما تلمس أسساً متينة، وقواعد سليمة، وكما هو ثابت في علم «هندسة البناء» أنّ البناء يعلو إذا وجد أسساً قوية، وبقدر تماسك الأسس ينهض البناء.

---

(١) مقتطفات سيكلوجية: محمد سليم باقي، ص٢٥ ـ ٢٦.

ولكن يؤسفني أن أقول:

إنّ الأمة الإسلامية باتت تفتقر إلى البناء السليم، لأنها فقدت القواعد المتينة، فذهبت يميناً وشمالاً تستجدي المفاهيم والقيم ولكنها أوغلت في التيه فهي تطلب الدواء ولكن فيه الداء.

وكمؤشر على فقدان القواعد بروز ظاهرة التطرف الديني والقومي الشوفيني الذي ينطلق من النظرة الضيّقة، وقد تكون ظاهرة التطرف الديني هي الأبرز والأكثر دموية.

وقد استنزفت هذه الظاهرة الكثير من «جهد الأمة»، وليس الحكام، حيث أتت على أخلاقهم وعقولهم وطاقاتهم الخلاقة.

فمشهد الدماء، وقطع الرؤوس، وتفجير «الأطفال» للتمويه مثلما حدث في الكرّادة الشرقية ببغداد، أخذ يهزّ كيان الإنسان من الأعماق، ويجعله يفكّر طويلاً في بشاعة هذه الجرائم البشعة مما أظهر ردّات فعل عنيفة، وهي متوقعة، فأخذت طابعاً خطيراً.

فبعض الشباب تنكّر لإسلامه، وأخذ «يكفر» بكلّ ما يمتّ إلى الإسلام بصلة، ومن ثمّ يضع «اللوم» على كاهل الإسلام.

والبعض راح يشنّ حملات مسعورة على الفكر الإسلامي معتبراً إياه السبب في بروز ظاهرة التطرف الديني بهذا الشكل البشع.

وقد تكون «هذه الخطة» محبوكة من دوائر مشبوهة لها باع طويل في مجال «التحريف والتزييف»، فالصهيونية والإمبريالية ضليعان في هذا المخطط الإجرامي، ولهم خبرة طويلة.

منها: اضرب عدوك من الداخل، وازرع الشقاق تحصد الفتن الطائفية، وأفضل طريقة للسيطرة ضرب شرائح المجتمع بعضها ببعض، ثم اصطناع تيار متزمّت لا يسمع حتى لو كان من يحدّثه نبيٌّ.

إننا أمام واقع خطير ينذر بأوخم العواقب، منها تشتّت الأمة وضياعها، وبروز حواجز نفسية قاسية عبرت عن نفسها بسلوك أهوج يعدّ من الصعب بمكان علاجها فضلاً عن إزالتها، فالدماء التي جعلت الأمة شيعاً لا يمكن لملمة شتاتها بسهولة، فالحواجز النفسية تبقى آثارها لسنين طويلة، وقد تأخذ جهداً كبيراً من طاقة الأمة.

وحتى إذا نجحت الجهود فتبقى الآثار، وتظلّ تتفاعل في عمق الإنسان، وهي قابلة للتأجيج كلّما لاقت مناخاً ملائماً لها.

وقد حاول الكثير، وفي مقدمتهم «المراجع» تطويق «ظاهرة التطرف»، وبذلوا جهوداً جبّارة من قبل ومن بعد، ولا زلت أتذكّر مقولة الشيخ الكبير «محمد حسين آل كاشف الغطاء قدس سره» عندما سألوه عن الإسلام.

فقال: «الإسلام كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة».

ولا أجانب الواقع عندما أقول: أنّ «مراجع الشيعة» هم أول الداعين إلى طرح الإسلام الحقيقي الذي ينسجم مع الواقع الإنساني، فقد طرح المرجع الكبير السيد محمد حسين البروجردي قدس سره مشروع «التقريب بين المذاهب الإسلامية»، ومشروع الوفاق الإنساني، ثم أوجد آلية واقعية لتطبيق المشروع، فآتت الفكرة أكلها، وأثمرت عن نتائج جيدة، فكانت لقاءات صادقة وشفّافة أثمرت عن أفكار قيّمة على صعيد توحيد المواقف، ورصّ الصفوف، ولا ننسى جهود المرجع الكبير السيد أبي الحسن الأصفهاني قدس سره الذي بلغ القمّة في توحيد الكلمة.

الإمام الحسين عليه السلام في معركة صفين

عندما انتصر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الناكثين في معركة الجمل، قامت قيامة معاوية، فأخذ يهيّأ الأسباب، ويعدّ العدّة لخوض المعركة ضدّ سيد الوصيين عليه السلام، وكان يظنّ أنّ المعركة بقيادة «السيدة عائشة» سوف تحقق أهدافها، ولكن جاءت النتائج بعكس ما تشتهي «سفن معاوية».

وفي نظري فإنّ معاوية هو الذي أذكى نار الحرب، ومدّ السيدة عائشة بالمال والسلاح، وهو الذي ألّب الناس على أمير المؤمنين عليه السلام، حيث اقتطع جزءاً من جسد الدولة الإسلامية، فأطمع الكثير في الدولة الإسلامية، كلّ ذلك حتى يوهن الدولة، ويفت في عضدها.

ومنهم «زياد بن أبيه»، فقد أطمعه بالدنيا وزيّنها له، حتى قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ معاوية كالشيطان يأتيك من بين يديك ومن خلفك ومن أمامك فاحذره».

وقد استعمل معاوية خططاً دنيئة في تمزيق أوصال الدولة الإسلامية، وما تشبثه بـ«الشام» إلا دليل على خططه في إضعاف الدولة الإسلامية.

وقد أرسل الرسائل لولاة الإمام عليه السلام كي يطمعهم في الدنيا، ويوغلهم في المغريات، كلّ ذلك حتى يهيأ المقدمات لـ «معركة الجمل»، وقد توفّرت الأسباب عندها تحرك الثلاثي: «السيدة عائشة، والزبير بن العوام، وطلحة ابن عبيد الله».

فمعاوية قد شارك فعلياً في معركة الجمل، ويعدّ هذا رد على المتقوّلين الذين يطعنون بسياسة الإمام عليه السلام عندما أصرّ على عزل معاوية، فمعاوية حوّل الشام إلى بؤرة لتصدير المؤامرات، ولأشكال الإرهاب كافة، فكان نقطة ضعف خطيرة في جسد الدولة الإسلامية، وبقاؤهُ في الشام يعني استغلال مواردها لمؤامرات خطرة.

جاء في (تاريخ الإسلام):

«فالأمويون لم يعتنقوا الإسلام إلا سعياً وراء مصالحهم الشخصية»[(١)].

يقول الشيخ الغزالي:

«فإنّ أعمال معاوية بن أبي سفيان ـ من قبل ومن بعد ـ كانت لتحطيم الديمقراطية الإسلامية في ميدان السياسة، وتنصيب أسرة عبد شمس على ملك عريض كملك «دي بوربون» أو«هابسيورغ» في أوروبا، وإعادة الأمر كسروية وهرقلية، كما عرف صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخيراً، وبعد فوات الأوان»[(٢)].

وجاء في كتاب (علي إمام لكل العصور) في الفصل التاسع، وهي عبارة لروجيه غارودي:

«وكانت الدولة الأموية وخلافة معاوية من القروح الآكلة في جسم الدولة الإسلامية»[(٣)].

يمكن أن نقول:

«أنّ معركة صفين هي نتيجة طبيعية لمعركة الجمل»، فمعاوية كان يعوّل على السيدة عائشة، وكان يأمل أن تنتصر على الخليفة بحق الإمام علي عليه السلام، حتى يتسنى له الانقضاض على «طلحة، والزبير»، بواسطة «مروان بن الحكم» الذي كان المنظّر والساعد الأيمن لمعاوية في أحداث الجمل.

---

(١) تاريخ الإسلام: الدكتور حسن إبراهيم، ص٢٧٨. جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني العاملي، ج٣/ ص١١٦.

(٢) الإسلام المفترى عليه: الشيخ محمد الغزالي المصري، ص٨٥.

(٣) علي عليه السلام إمام لكل العصور: الأستاذ كمال شاكر، ص٢٩٥، نقلاً عن: كتاب كيف ننشر الإسلام: لروجيه غارودي.

إنّ مروان بن الحكم كان أحد القادة الذين سعوا كثيراً في تحريك الجبهة، وتمويل الجيش، فكان يشكّل القناة الواصلة بين معاوية والسيدة عائشة، وقد سيّر الجيش بشكل أطمع «الزبير وطلحة» في النصر، فقد أخذه إلى البصرة حتى يتسنّى لهم جمع المال والرجال، بسبب وجود قبائل تميل إلى «الخليفة عثمان» مثل بني ضبة، والأزد، الذين كانوا يأخذون «بعر الجمل» فيشمونه، ويقولون: «بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك»[1].

وبعد أن هوى الصنم على الأرض، وقد نال من القرابين ما لم ينله أكبر ملوك الأرض أسقط في يدي معاوية، ففكّر في معركة صفين التي هي امتداد لمعركة الجمل هذا ويمكن أن نعدّها «الخط الدفاعي الثاني».

وقد اعتمد معاوية بن أبي سفيان كثيراً عليها، ﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾[2].

وقد حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يئد الفتنة في مهدها، وينزع فتيل الحرب، إلا أنّ معاوية «أصرّ واستكبر استكباراً». يقول الطبري، وابن الأثير:

«فإنّ الرسائل التي بعثها الإمام علي عليه السلام إلى معاوية كادت أن تقلب عليه الشام، لأنها دحضت حجج معاوية في قتل عثمان، وتشبّثه في الإمام».

فإدّارك معاوية الأمر، وتهيّأ وعبّأ قواه الشيطانية، عندها تهيّأ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للحرب، وهو كاره لها، فأرسل الخطباء والوفود، ومن جملتهم سيد شباب أهل الجنة الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام إلى الكوفة.

---

(١) النص والاجتهاد: السيد شرف الدين، ص٤٤٨. الغدير: الشيخ الأميني، ج٩/ص٣٧٠. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص٢٣٤. تاريخ الطبري: الطبري، ج٣/ص٥٣٠. الكامل في تاريخ: ابن الأثير، ج٣/ص٢٤٧. إمتاع الأسماع: المقريزي، ج١٣/ص٢٤٥. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج١/ص٣٧٤.

(٢) طه: ٦٠.

جاء في كتاب (حياة الإمام الحسين عليه السلام):

«وتهيّأ الإمام للحرب، وقام الخطباء في الكوفة يحفّزون الناس للجهاد، ويحثّونهم على مناجزة معاوية بعدما أحرزوه من النصر الكبير في معركة الجمل، وقد خطب فيهم الإمام الحسين عليه السلام خطاباً رائعاً ومثيراً، قال فيه بعد حمد الله والثناء عليه:

«يا أهل الكوفة: أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار، جدّوا في إطفاء ما دثر بينكم، وتسهيل ما توعّر عليكم، إلا أنّ الحرب شرّها ذريع، وطعمها فظيع، فمن أخذ لها أهبّتها، واستعدّ لها عدّتها، ولم يألم كلومها قبل حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك قمن ألا ينفع قومه، وأن يهلك نفسه، نسأل الله بقوته أن يدعكم بالفيئة»[١].

والتقت الفئتان فئة تقاتل في سبيل الله، ونصرة الحق، وأخرى تقاتل في سبيل الشيطان ونصرة الباطل، وقد تنبّأ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في (مستدرك الحاكم) للنيسابوري، بسند لا يقلّ عن سند البخاري، ومسلم، قال: «شهد مع علي في صفين ثمانون بدرياً، ومائتان وخمسون ممن بايع تحت الشجرة»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية، وآخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»[٣].

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ص٥٧ ـ ٥٨.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي، ج٢/ص٥٨٠. شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج٢/ص٩. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص١٠٤. أنساب الأشراف: البلاذري، ص٢٦٨. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧/ص٢٨٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٥/ص١٧٧. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص٣٨٦. الإصابة: ابن حجر، ج١/ص٣٧١. الاستيعاب: ابن عبد البر، ج٣/ص١١٣٩.

وقال القاضي في (شرح المصابيح):

«وهذا صريح في بغي طائفة معاوية الذين قتلوا عماراً في وقعة صفين، وأنّ الحق مع علي، وهو من الإخبار بالمغيبات، يدعوهم (أي عمار) يدعو الفئة الباغية ــ وهم أصحاب معاوية ـ الذين قتلوه بوقعة صفين في الزمان المستقبل إلى الجنة أي إلى سببها، وهو طاعة الإمام الحق، ويدعونه إلى سبب النار وهو عصيانه ومقاتلته.

قالوا: وقد وقع ذلك في يوم صفين، دعاهم فيه إلى الإمام الحق، ودعوه إلى النار، وقتلوه.

فهو معجزة للمصطفى ﷺ، وعلم من أعلام نبوته.

وقال القرطبي: وهذا الحديث من أثبت الأحاديث وأصحّها، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره، قال: إنما قتله من أخرجه[(١)].

فأجابه «علي»: بأنّ رسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه.

قال ابن دحية: وهذا من (علي) إلزام مفحم لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها[(٢)].

وقد انتصر الحق في صفين، وتلاشت معالم الفئة الباغية بقيادة معاوية ابن أبي سفيان، ولولا صفين لما كانت هناك ملامح واضحة لهذه الفتنة العمياء التي أطلّت «بقرن الشيطان»، وكادت أن تضلّ خلقاً كثيراً.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٨/ص٢٦. الأحكام: ابن حزم، ج٧/ص١٠٢٢. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧/ص٢٩٨. وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري، ص٣٤٣. السيرة الحلبية: الحلبي، ج٢/ ص٢٦٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ج٦/ص٤٧٤. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج١/هامش ص٤٢٠.

وقد أبدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خلقاً رفيعاً رجّح كفّة الحق، وجعلها واضحة المعالم. منها واقعة كشف «نهر الفرات»، ففي بداية المعركة (كما جاء في تاريخ الطبري) استولى جند معاوية على شاطئ الفرات، ثمّ منعوا الماء عن جيش الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى أخذ العطش منهم مأخذاً ضجّ جيش الإمام عليه السلام، وقالوا: يا أمير المؤمنين نوشك أن نهلك من العطش. فأرسل الإمام عليه السلام مبعوثاً إلى معاوية يطلب منه تقسيم المياه، فرفض معاوية، قائلاً: «لا والله حتى تموتوا عطشاً».

عندها أمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بإرسال كتيبة بقيادة الإمام الحسن، والإمام أبي عبد الله الحسين، ومحمد بن الحنفية، وأبي الفضل العباس عليهم السلام في رواية، فاتجهوا نحو الفرات، وخاضوا معركة «شرسة» هزموا فيها جيش معاوية بن أبي سفيان شرّ هزيمة مخلفين وراءهم قتلاهم.

وعندما استولى جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقيادة أولاده الأبرار (صلوات الله عليهم أجمعين) استبدّ الذعر في جيش معاوية، وخافوا العطش، ولكن كما قال الشاعر ابن الصيفي في آل البيت عليهم السلام:

ملكنا وكان العفو منا سجيّة ... فلما ملكتم سال بالدّم أبطحُ

وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرى نعفّ ونصفحُ

وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضحُ[1]

فأباح الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام الماء لجيش معاوية، وأفرد لهم جانباً من نهر الفرات، والمفروض من جيش معاوية بعد هذا الموقف الرفيع أن يرعوي وينسحب من جيش الباطل، ولكن ماذا نفعل إذا كانت القلوب جرداء والبصيرة عمياء.

---

(١) شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي، ج٢٧/ص٥٠٦.

قـال تعـالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[1]. وقـال تعـالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[2].

لقد أبلى الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام كما تقول الروايات بلاءً حسناً.

جاء في (أنساب الأشراف): وسئم الفريقان هذه الحرب المتقطّعة، وتعجّلوا الحرب العامة، فعبأ الإمام جيوشه تعبئةً عامة، وكذلك فعل معاوية، والتحم الجيشان التحاماً رهيباً، واقتتلوا أبرح قتال وأعنفه، وانكشفت ميمنة جيش الإمام انكشافاً بلغ الهزيمة، فقاتل الإمام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، وانحاز الإمام إلى ميسرة جيشه من ربيعة، فاستماتت ربيعة دون الإمام، وكان قائلهم يقول: لا عذر لكم بعد اليوم عند العرب إن أصيب أمير المؤمنين وهو فيكم.

وتحالفت ربيعة على الموت، وصمدت في الحرب، ورجعت ميمنة الإمام إلى حالها بفضل الإمام أمير المؤمنين علي وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهم السلام[3].

والبطل الهمام مالك الأشتر الذي تقول الروايات كانت له صولات تذكر مع سيدي شباب أهل الجنة حتى ثبتت ميمنة الإمام عليه السلام بعد أن بان الانكسار عليها.

وجاء في المصدر نفسه: «واستمرت الحرب بأعنف ما يتصوّر، وقد ظهر الضعف، وبان الانكسار في جيش معاوية، وهمّ معاوية بالفرار لولا أنه تذكّر قول ابن الأطنابة:

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) الأنفال: ٢٣.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٦٠. نقلاً عن أنساب الأشراف للبلاذري.

أبـت لـي همـتي وأبـى بلائـي وإقـدامي علـى البطـل المـشيحِ
وإعطـائي علـى المكـروه مـالي وأخـذي الحمـد بـالثمن الـربيحِ
وقـولي كلّمـا جـشأت وجاشـت مكانـك تحمـدي أو تـستريحي[1]

تقول الروايات: أنّ معاوية بن أبي سفيان لم ينـزل إلى ساحة المعركة، وما كان يستطيع ذلك والإمام أمير المؤمنين عليه السلام موجود لكنه خدع عمرو بن العاص فنـزل، وفي جعبته مكيدة، لأنه لن يقدر أن يجابه الإمام علي عليه السلام، وقد رأى بأمّ عينيه كيف يجندل صناديد قريش، حتى ضجّت قريش، وجعلت تأنّ من ضربات قاصم الشرك والنفاق، ومبيد أهل الفسوق والعصيان، فبرز عمرو بن العاص.

جاء في كتاب (علي إمام لكل العصور):

«وضحكت الأقدار وسخرت البطولة وانتشى العار، فقد طمع ابن النابغة أن ينال من علي عليه السلام غرّة، فكان أن حمل عليه الإمام، فلما كاد أن يخالط (يصاب) رفع ثوبه، وشغر برجله لتبدو سوأته، فصرف عنه الإمام وجهه تكرماً وشمماً، لم يعرّ العار ثوب عمرو بن العاص لأنه بنفسه نزع إهابه لتظهر سوأته فهي جزء من باطنه، وكانت وصمة عار لهذا الصحابي الذي أخزى أسوة الصحبة أمامه عفّة الإمام مرتمياً مكشوف السوأة، بادي العار، بعد أن ألقى درعه وحسامه خوفاً من أن يورده الإمام حِمامه.

وعجب الناس من إفلات ابن النابغة من القتل، فقال لهم علي عليه السلام: «فإنه عمرو بن العاص تلقّاني بعورته، فصرفت وجهي عنه».

ويسأل معاوية ابن النابغة عن صنيعه، فيقول وعلى وجهه غبرة ترهقها قترة: لقيني علي فصرعني.

---

(١) المصدر السابق: ج٢/ص٦١.

فيسخر معاوية مستهزئاً بضعة نظيره، ويقول له: احمد الله وعورتك[1].

لقد سمعنا بمقولة «الغاية تبرّر الوسيلة» لميكافلي في كتابه الخطير (الأمير)، ولكن يبدو أنّ ميكافلي أخذ الخطوط العريضة من معاوية وعمرو ابن العاص، وميكافلي وضع حدوداً وسقفاً لوسائله، وثبّت شيئاً من القيم حيث جعل الهدف الحفاظ على الدولة حتى تخدم الناس، ولكن معاوية وعمرو بن العاص لم يجعلا لها حدوداً أو معايير.

فكانت الغاية عندهم تبرّر الوسيلة حتى في أحقر الوسائل وأكثرها قذارةً، فمعاوية جرّد هذه «الوسيلة» من كلّ القيم والمعايير فهو عنده الغاية تبرّر الحقير والدنيء حتى لو جمع قذارات الأولين والآخرين ووساختهم.

قال الحسن البصري: «ثلاث عملها معاوية، لو كانت واحدة لكانت موبقة: استلحاقه زياداً، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[2]، وقتله حجراً مع أصحابه، وكان صحابياً جليلاً حتى سمّي بحجر الخير، وتوليه يزيد، وهو فاسق قاتل، وشارب للخمر، وناكح للأمهات والعمات»[3].

ولكن فات الحسن البصري عمّا فعله بسيد الوصيين وسيد شباب أهل الجنة عليهما السلام[4].

---

(1) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج8/ص60. وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري، ص407. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج1/ص461. علي عليه السلام إمام لكل العصور: الأستاذ كمال شاكر، ص332.

(2) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج5/ص210. السرائر: ابن إدريس الحلي، ج2/ص659. كتاب الأم: الإمام الشافعي، ج6/ص273. مختصر المزني: المزني، ص114. المجموع: محيي الدين النووي، ج15/ص310. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج2/ص261.

(3) قاموس الرجال: الشيخ محمد تقي التستري، ج10/ص123. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: محمد بن عقيل، ص35.

(4) تاريخ الطبري: الطبري، ج3/ص358.

وقتله الآلاف من المسلمين في الأنبار وهيت والمدينة، فقد أرسل بسر بن أرطاة فأحدث مقتلة عظيمة، ثم أوغل في قتل الأطفال «وعمد إلى طفلين لعبيد الله فقتلهما، ولما انتهى خبرهما إلى أمهما فقدت وعيها، وراحت ترثيهما بذوب روحها بأبياتها المشهورة»[١].

ثم عمد إلى تحريف الإسلام، وهي أخطر خطّة اعتمدها في إطار «الغاية تبرّر الوسيلة»، فقد أجهز على أحاديث الرسول الأعظم ﷺ، فحرّف الكثير عن مواضعها.

جاء في كتاب (هموم داعية) للشيخ محمد الغزالي المصري:

«إنّ الفقه الدستوري في أمتنا يجب أن تنحسر عنه ظلال الحجاج، وعبيد الله بن زياد، وبعض ملوك بني العباس، وبعض سلاطين بني عثمان».

ويؤسفني أن أقول: أنّ الشيخ محمد الغزالي لا يريد أن يسمّي الأشياء بأسمائها، فهو لا يريد أن يحمل معاوية جريرة ما حدث للفقه الدستوري، وعبد الملك بن مروان، فيلقي تبعاتها على ولاتهم، وهذه خطة باتت مفضوحة، فعلى الشيخ أن يفصح لأنّ ما حدث لا يمكن السكوت عنه، ولا يتحمل التغطية، والستائر القاتمة، فما لم نشخص الداء لا يمكن لنا أن نصف الدواء، ثم لماذا نجعل الملوك فوق الأخطاء والهفوات؟.

ولماذا هذا التقديس الذي يأتي في معظمه على حساب المقدسات والقيم الإلهية؟ معتبرين الإشارة إلى الخليفة أو السلطان إهانة وإساءة إلى السلطان، ولكن لا ضير إذا كانت تمسّ الدين وتطعنه بالصميم، ثم الويل إذا كانت علامة الاستفهام ترتفع أمام صحابي، أو أحد وعّاظ السلاطين، فإنّ الفتوى حاضرة بكفرك.

فإذا تحدّثنا أو اعترضنا على تصرف سيء، وقلنا: إنّ هذا الحديث يهين الإسلام ويطعنه في قلبه، تعدّ تلك إهانة لهذا الصحابي.

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣/ص١٩٣.

خذ مثلاً هذا الحديث:

عن عائشة، أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرّمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهي مما يقرأ من القرآن»[١].

وهذا الحديث طعنة نجلاء في قلب القرآن الكريم، حيث ينسب إليه النقصان فهو تجاوز صريح على كلام الله عز وجل، لكن أنّى لك أن تقول ذلك، فعليك أن تسكت، ثم تطبق فمك، وإلا فأنت مشرك أو كافر تستحقّ الذبح لأنك تسبّ الصحابة، لكن لا ضير إذا كنت تسبّ الإسلام، وتسبّ كرامته عبر أحاديث مصنوعة في معامل السلاطين، وطلاب الملك.

وأيضاً هذا الحديث الخطير:

«جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني أرى في وجه أبي حُذيفة من دخول سالم وهو حليفُه.

فقال النبي ﷺ: أرضعيه.

قالت: وكيف أُرضعه وهو رجلٌ كبير.

فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال: قد علمتُ أنه رجل كبير».

وزاد عمرو في حديثه، وكان قد شهد بدراً، ومن الثابت عند العلماء أنّ الرضاعة تحدّد بسنتين، وتكون السنتين الحد الأقصى للرضاعة، كما نص عليه كتاب الله عزوجل.

---

(١) الخلاف: الشيخ الطوسي، ج٥/ص٩٧. الحدائق النّاضرة: المحقق البحراني، ج٢٣/ص٣٤٨. جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ص٢٩/ص٢٨١.

قــــال تعــــالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[١].

فالحديث الذي يرويه (مسلم) ينافي القرآن الكريم ويناقضه صراحة، ولكن أنّى لك أن تقول أنّ الحديث مفترى على رسول الله ﷺ، فسوف تواجه شلالات من التهم، ليس أقلّها الكفر والفسوق والعصيان.

إننا نجابه التحريف الواضح، لكن لا أحد يستطيع أن يقول ذلك، وهذا التحريف الظاهر أدّى إلى تحريف الكثير من الأحاديث ومعاني الآيات، ثم إنّ هذا التحريف صار يثني عليه الكثير، وها نحن أولاء نسمع بعض علماء الأزهر يفتون بهذا الحديث مما أثار السخرية والسخط عند عامة المسلمين، وأصبح مادة للتندر والاستهزاء.

وأيضاً جاء في (صحيح مسلم):

«لولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها الدهر»[٢].

وهذا الحديث يثبت أنّ الخيانة شيء طبيعي وغريزي عند المرأة، فلا تلام على خيانتها، ثم على اعوجاجها، وبعد فإنّ أمُّنا «حواء» تتحمّل كلّ سيئات النساء اللائي سلكن طريق الانحراف، لأنّ حواء هي الأساس!.

يا لها من مهزلة!.

وهذا الحديث يناقض القرآن الكريم الذي يشيد بالمرأة، ثم يشيد باستواء الإنسان منذ خلقته.

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج٤/ص١٧٩. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٢/ص٣١٥. صحيح البخاري: البخاري، ج٤/ص١٢٦.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[١]، فهذه الآية مطلقة فتشمل النساء والرجال.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]، فالآية تشير إلى أهم الصفات التي توفّرها العلاقة الزوجية السكن والمودة والرحمة، وهي من أهمّ العوامل في استواء الحياة، وبناء المجتمع المستقيم.

فكيف نرمي «حواء» بهذه التهمة الخطيرة؟!.

وأيضاً جاء:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقطع الصلاة المرأة، والحمار، والكلب، ويقي ذلك مثل مؤخّرة الرجل»[٣].

وهكذا يأتينا أبو هريرة، ويطلّ علينا بحديث يهين الشقّ الثاني للإنسان.

وقال رسول الله ﷺ: «النساء شقائق الرجال»[٤].

---

(١) التين: ٤.

(٢) الروم: ٢١.

(٣) المجموع: محي الدين النووي، ج٣/ص٢٥٠. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج١/ص٢٠١. شرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة، ج١/ص٦٣١. المحلى: ابن حزم، ج٤/ص٩. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ابن رشد الحفيد، ج١/ص١٤٤. نيل الأوطار: الشوكاني، ج٣/ص١١. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٦/ص١٣٤. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ج١/ص٣٠٦. سنن أبي داود: ابن الأشعث السجستاني، ج١/ص١٦٤. صحيح ابن حبان: ابن حبان، ج٦/ص١٤٩. نصب الراية: الزيلعي، ج٢/ص٩٢.

(٤) الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة، ج١/ص١٩٨. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، ج١/ص٣٩٢. كنز العمال: المتقي الهندي، ج١٦/ص٤٠٧. كشف الخفاء: العجلوني، ج١/ص٢١٤. تمام المنة: محمد ناصر الألباني، ص١٥٥.

ولكن الويل لك إذا قلت أنّ أبا هريرة يهين النساء، ويأتي بحديث يحكي مما في داخله من بغض للنساء، ثم إنّ هذا التحامل على النساء من قبل الصحابي أبي هريرة له أسبابه المعروفة لسنا في صددها.

وأيضاً: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض»[1].

وأيضاً: عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى في كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى من ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعو فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[2].

تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

---

(١) صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج٨/ص١٥١. صحيح البخاري: البخاري، ج٦/ص٤٧. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٢/ص٢٧٦. سنن الترمذي: الترمذي، ج٤/ص٩٦. فتح الباري: ابن حجر، ج٨/ص٤٥٦. عمدة القاري: العيني، ج١٩/ص١٨٦. الديباج على مسلم: جلال الدين السيوطي، ج٦/ص١٨٩. تحفة الأحوذي: المباركفوري، ج٩/ص١١٢. صحيفة همام بن منبه: همام بن منبه، ص٢٩. المصنف: عبد الرزاق الصنعاني، ج١١/ص٤٢٣. مسند ابن راهويه: إسحاق بن راهويه، ج١/ص١٩٤. منتخب مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر الكسي، ص٣٥٦. كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم، ص٢٣١. السنن الكبرى: النسائي، ج٤/ص٤١٥. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٥/ ص٤٣٩. المعجم الأوسط: الطبراني، ج٧/ص٥٧.

(٢) صحيح البخاري: البخاري، ج٢/ص٤٧. المجموع: محي الدين النووي: النووي، ج٤/ص٤٧. كتاب الموطأ: الإمام مالك، ج١/ص٢١٤. الثمر الداني: الآبي الأزهري، ص١٤٢. حاشية رد المحتار: ابن عابدين، ج٢/ص٢٦. كشف القناع: البهوتي، ج١/ص٥٢٩. فقه السنة: الشيخ سيد سابق، ج١/ص٢٠٥. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٢/ص٢٦٤. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ج١/ ص٤٣٥.

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[١].

إنّ أبا هريرة كان يفتري حتى ضجّ منه عمر بن الخطاب وعزله عن إمارة البحرين[٢].

وقد أكثر الحديث وهو لم يصاحب النبي ﷺ إلا سنتين، راجع كتاب (أبو هريرة شيخ المضيرة) للشيخ محمود أبو رية أحد علماء الأزهر، والحديث الذي ينقله البخاري يناقض القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣].

فهذا نصٌّ جليٌّ، ولا يقبل التأويل في أنّ الله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٤]، فهو ليس بجسم حتى يمكن أن نصفه ونقول ينزل في الثلث الأخير من الليل، ثم يضع رجله في نار جهنم، فتقول: قط قط.

وكيف يضع الباري عزّ وجل رجله في جهنم، وقد أعدها للكافرين، ثم كيف تكون الرجل حتى لا تحرقها النار؟! وهل هي من مادة أم من غيرها؟!! وكلاهما لا يصح، نحن في ورطة كبيرة!!.

---

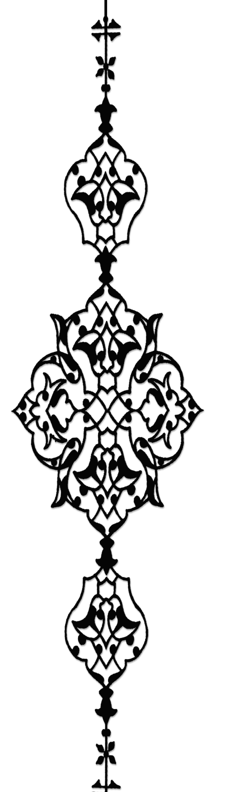
(١) البقرة: ٧٩.

(٢) اغتيال أبي بكر: الشيخ نجاح الطائي، ص٨٧.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) الشورى: ١١.

الفصل الخامس



الإمام الحسين مع أخيه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليهما

تمهيد

تقلّد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام خلافة المسلمين بنص من سيد الوصيين عليه السلام ، وبإجماع المسلمين، وهو الإجماع الثاني بعد إجماع المسلمين على خلافة سيد الوصيين الإمام علي عليه السلام.

وقد تسلّم الخلافة والأمة الإسلامية «تموج بالفتن» التي افتعلها معاوية ابن أبي سفيان بالتنسيق مع رأس المنافقين «الأشعث بن قيس الكندي».

وقد حاول المنافق الأشعث بن قيس صرف الخلافة إلى معاوية إلا أنه فشل، وبعدها أخذ ينسج المؤامرات لإفشال حكومة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

وقد شكّل الإمام الحسن مع أخيه الإمام الحسين عليهما السلام وثلّة من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، منهم حجر بن عدي، وقيس بن سعد بن عبادة «غرفة عمليات» لإدارة الأزمة المتفاقمة.

وقد أمر الإمام الحسن عليه السلام بعقد اجتماع طارئ وعام في جامع الكوفة لتدارك الأزمة، وإيجاد السبل الكفيلة في الخروج منها، وألقى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام خطاباً رائعاً وبليغاً جعل الأسماع تصغي إليه برمّتها.

فدعا إلى وحدة الصف، وتلاحم القوى، ومعرفة الواقع الذي يلفّ المسلمين، وحذّر من معاوية ومن دعاياته وأعوانه الذين انتشروا في الحواضر الإسلامية.

ودعا الإمام (صلوات الله عليه) إلى حرب معاوية المفسد.

جاء في (موسوعة الإمام الحسين عليه السلام): «ثم ندب الناس لحرب معاوية، فلمّا سمعوا ذلك وجلت قلوبهم، وكمّت أفواههم، ولم يستجب منهم أحد سوى البطل الملهم عدي بن حاتم، فانبرى يعلن دعمه الكامل للإمام، ووجّه أعنف اللوم والتقريع لأهل الكوفة على موقفهم الانهزامي، واستبان للإمام وغيره أنّ جيشه لا يريد الحرب، فقد خلع يد الطاعة، وانساب في ميادين العصيان والتمرد.

وبعد جهود مكثّفة قام بها بعض المخلصين للإمام نفر للحرب أخلاط من الناس ـ على حدّ تعبير الشيخ المفيد قدس سره ــ كان أكثرهم من الخوارج والشكاكين وذوي الأطماع»[1].

ولنا وقفة مع سماحة الشيخ القرشي:

أولاً: ليس مع المعقول بعد خطاب الإمام التاريخي أن يستجيب نفر واحد وهو «عدي بن حاتم الطائي»، علماً أنّ أهل الكوفة كانوا قريبي عهد بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفيهم ثلّة من الصحابة والحواريين، منهم حجر بن عدي، وقيس بن سعد بن عبادة، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وبرير بن خضير، وسليمان بن صرد الخزاعي، وغيرهم.

ثانياً: مع استجابة «عدي بن حاتم»، ونفر قليل، كيف يَطْمَئنّ الإمام (صلوات الله عليه) إلى جماعة، وفيها ـ كما يذكر الشيخ المقدس العلامة المفيد قدس سره ــ الخوارج والشكاكون وذوو الأطماع، علماً أنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان يروم خوض المعركة الفاصلة مع معاوية، فلولا علم الإمام الحسن عليه السلام أنّ هناك من ينصره لما أقدم

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص١١٢.

على هذه الخطوة، فالحرب مع معاوية كانت تشكّل أهمية خاصة للإمام الحسن عليه السلام حتى يكسر هيبة معاوية التي استولت على قلوب أهل الشام، ويثبّت أعمدة الإسلام التي اهتزت كثيراً بفعل الممارسات الجاهلية.

ويعيد الإسلام إلى الشام بعد أن لفظته واستبدلته بـ«قيم معاوية الجاهلية»، فالشام تشكّل موقعاً استراتيجياً لدولة الإسلام.

ثالثاً: إنّ خروج الأعداد الغفيرة لنصرة الإمام الحسن عليه السلام يشكّل دليلاً واضحاً في تأثير الإمام (صلوات الله عليه) بالرغم من الظروف القاسية التي لفت العراقيين من جراء استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واستغلال الفئة المنافقة لفقيد الأمة في بثّ الإشاعات المغرضة وتجييرها لمعاوية بن أبي سفيان.

موقف الإمام الحسين عليه السلام من الصلح

إنّ أهمّ حدث ظهر في زمن الإمام الحسن عليه السلام يكمن في الصلح، ويعتبر الصلح من الأحداث القاسية التي ألمت بالأمة الإسلامية، فقد أزاحت الإمام الحسن عليه السلام عن منصبه الذي أجمعت الأمة عليه واعتبرته امتداداً لمنصب أبيه سيد الوصيين الإمام علي عليه السلام.

إنّ اختيار الإمام الحسن عليه السلام ومبايعته بكلّ طواعية، بما فيهم المنافقون الذين تربّصوا بالإمام يعتبر حدثاً مهماً حيث أكسب الإمام مع الوصية موقعاً استثنائياً.

وقد جاء الصلح مع معاوية بن أبي سفيان لضرورات اقتضتها مصلحة الإسلام والأمة، كما اقتضت الضرورة أن يصالح رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً.

وقد صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية أسوة بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله حفاظاً على الإسلام وعلى أمته، وقد أظهر الصلح شدّة حرص الإمام الحسن عليه السلام على الإسلام

وأمة جده ﷺ، وحرص معاوية على الملك والسلطان، وفشله في إخفاء نهمه للسلطة والتسلط، فبعد أن صالح الإمام الحسن عليه السلام على وفق الشروط الدينية والأخلاقية وأشهد عليها ثلّة من المؤمنين نكث معاوية، فجاء إلى الكوفة، وخطب فيها:

«يا أهل الكوفة، إني ما قاتلتكم لتصلّوا وتصوموا، وإني أعلم أنكم تصلون وتزكون، ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وهذه شروط «الحسن» الذي أعطيتها فهي تحت قدميّ هاتين»[1].

وفي نظري لولا الصلح والخلافة لما انكشف معاوية وظهرت حقيقته، فالسلطان والمال تكشفان حقيقة الإنسان مهما طال به الزمن، وسوف نعرج على ملابسات الصلح ونتائجه في كتاب (قبس من نور الإمام الحسن المجتبى عليه السلام).

لقد كان موقف الإمام الحسين عليه السلام واضحاً، فقد تجاوب مع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، لاسيّما وهو يعرف قبل غيره أنّ أخاه إمام مفترض الطاعة، وأنّ طاعته طاعة الرسول الأعظم ﷺ، وطاعة الرسول ﷺ طاعة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[2].

فالإمام عليه السلام هو ولي الأمر، وطاعته واجبة بنصّ الآية، ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام وقف عن قرب على الأسباب التي دعت الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح، منها خذلان أقرب المقرّبين «عبيد الله بن العباس» القائد الميداني الذي كان يحسب له حساب.

ثم إنّ معاوية كاد أن يهلك الحرث والنسل في سبيل الوصول إلى «مطامعه الدنيوية» التي حولّته إلى جيفة وكتل من التراب المهين.

---

(١) الغدير: الشيخ الأميني، ج١/ص٧. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١/ص٤٦.

(٢) النساء: ٥٩.

يقول الشاعر الشامي محمد مجذوب:

أيـن القـصور أبـا يزيـد ولهوهـا — **والـصافنات وزهوهـا والـسؤددُ؟**

أيـــن الـــدّهاء نحـــرت عزّتـــه — **على أعتاب دنيا سحرها لا ينفدُ؟**

هـذا ضـريحك لـو بـصرت ببؤسـه — **لأسـال مـدمعك المـصير الأسـودُ**

كتــل مــن الــترب المهــين بخربــة — **سكر الـذّباب عليهـا فـراح يعربـدُ**

تقـول بعـض الروايـات أنّ الإمـام الحـسين عليه السلام اعـترض عـلى أخيـه الإمـام الحسن عليه السلام، وهي لم تصح ولم يثبت وثاقة الناقل لها، فهـي مـن صـنع العباسـيين نكاية بأبناء الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الذين أكثروا الثورات ضـدهم، فـاتهموهم ونسبوا إليهم الكثير من الأباطيل، وبجـدّهم الإمـام الحـسن المجتبـى عليه السلام كـما هـو ثابـت في التـاريخ، وللمزيـد راجـع كتـاب (صـلح الإمـام الحـسن عليه السلام) للـشيخ آل ياسين قدس سره.

إنّ الإمـام الحـسين عليه السلام وافـق أخـاه الإمـام الحـسن عليه السلام، بعـد أن وافـق الإمـام الحسن عليه السلام على الصلح، وضمَّنه بنوداً، منها إرجاع الخلافـة إلى الإمـام الحـسين عليه السلام بعد موت معاوية، ورفع السبّ عـن الإمـام أمير المؤمنين علـي عليه السلام، ووقـف حمـلات القتل والإبادة الجماعية لأصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولكن معاوية نقض بنود الصلح وضربها عرض الحـائط، ولم يكتـفِ بـذلك، بـل دسّ الـسمّ إلى الإمـام الحـسن المجتبـى عليه السلام، فمـضى شـهيداً (بـأبي وأمـي) متـأثّراً بالـسمّ الذي اشتراه معاوية من ملك الروم.

وبعد استشهاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام تـسلّم معاويـة زمـام الـسلطة، فعـاث في الأرض فساداً، وأهلك الحرث والنسل.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾[1].

وقد تولّى معاوية وقلبه يغلي حقداً على الإسلام الذي قضى على أحلام «أبي سفيان في القضاء على الإسلام»، فجاء معاوية كي يحقق أحلام أبيه، وقد استبدّ معاوية بالحكم ليساعده على ذلك «عمرو بن العاص» الذي باع دينه لدنيا حقيرة، فكانت الصفقة مع معاوية «ولاية مصر»، فاستولى عمرو ابن العاص على مصر «وأحرق الولد البار للإسلام محمد بن أبي بكر في جلد حمار»، وهي طريقة منكرة، وفي الوقت نفسه دنيئة تبيّن الحقد والتفنن في إرعاب الناس.

وعندما تولى معاوية حاول تزيين صورته كي يتسنّى له إحكام السيطرة، ثم القضاء على الرموز العالية التي كانت تقف أمام مخططاته الدنيئة.

إنّ خطة معاوية كانت تستهدف التخلص أولاً من صحابة أمير المؤمنين علي عليه السلام أمثال حجر بن عدي، وميثم التمّار، ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ومن ثمّ يجهز على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إنّ أسلوب «قصقصة الأجنحة» كانت من الأساليب المهمّة لدى معاوية، وقد اتبعها في زمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حين استهدف مالك الأشتر الذي كان رمزاً مهماً، وأحد أعمدة الدولة الإسلامية ثم محمد بن أبي بكر.

وقد استهدف جلّ الصحابة في معركة صفين، فقتل عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وابن التيهان، كلّ ذلك حتى «يستفرد بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام».

---

(١) البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

إنّ استهداف الرموز الكبيرة تعدّ من الخطط التي اعتمدها العدو، وتعدّ هذه الخطة من أخطر ما يتعرّض له الكيان الإسلامي، فالرموز الكبيرة هي السور الواقي والخندق الأول الذي تتهاوى عنده الهجمات والمؤامرات، والخندق الأول يعدّ من الناحية الإستراتيجية «السدّ المنيع»، لذا يحاول العدو اختراقه وتحطيمه حتى يتسنّى له التقدم بسهولة في عمق الدولة.

والرموز الكبيرة هي القدوة التي تدفع الشبهات وتدحض الأباطيل، ثم تعطي الصورة الواضحة للقيم، وهي العمق الإستراتيجي للقيادة في ساعة المحنة، والرمز يشكّل «الخزين الإستراتيجي» للقيادة، من هنا فإنّ القيادة الناجحة هي التي تصنع الكوادر التي تستطيع من خلالها نشر الفكر والقيم، ثم إنّ نجاح القائد مرهون ببقاء الكوادر إلى جنبها في كلّ مراحل العمل حتى في أدقّ التفاصيل.

إنّ بقاء الكوادر والرموز إلى جانب القيادة يعدّ انتصاراً للقائد حتى لو لم يحقق الانتصار، فالنصر ليس محصوراً في سحق العدو، بل في الحفاظ على مستوى الرموز، وعلى استقامتهم، وتمسكهم بالمبادئ فأيّ تفريط بهم يشكّل منعطفاً خطيراً، لذلك فإنّ بعض القادة فقدوا الانتصار بعد أن فقدوا الأنصار.

إنّ بقاء الكوادر إلى جانب القيادة يعطي زخماً معنوياً للقائد وللكوادر، ثم تعطي مصداقية للقيم التي تعتمدها القيادة، من هنا فإنّ الأنبياء عليهم السلام اعتمدوا على الكوادر الكفوءة من لدن بعثتهم كلّ ذلك حتى تثبت مصداقية الرسالة.

إنّ الناس تنظر إلى الرموز مثلما تنظر إلى القيادة، فالرمز في نظر الناس يشكّل الصورة الحية للقائد، ثم إنّ الناس تهوي «المثال»، وتشتدّ علاقتها بالقيم كلما وجدت «رمزاً عالياً»، وهذه نقطة جديرة بالملاحظة.

ثم إنّ القيادة الناجحة التي تمثّل المصداق الحقيقي للانتصار تكمن في حفاظها على الرموز وعلى الكوادر، فالقائد الحقيقي الذي يمثّل قمّة القيادة هو الذي يصنع «القادة»، وبهذه الخطوة فإنه يسجّل انتصاراً حقيقياً.

إنّ انتصار الإسلام بقيادة النبي محمد ﷺ لم يكن محصوراً في سحق العدو، وإنما في صنع القادة أمثال بطل الإسلام الخالد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعمار، وأبو ذر، وسلمان، وبهذا الانجاز فإنّ النبي ﷺ حافظ على قيم الإسلام الفذّة.

إنّ قيم الإسلام تعرّضت بعد وفاة النبي ﷺ إلى أبشع الهجمات، وإلى حملات تحريف لم يسبق لها مثيل، ولكن الرموز الكبيرة التي تخرجت من مدرسة الرسول الأعظم ﷺ وقفت سداً منيعاً، وحالت دون أن تعمل هذه الهجمات عملها.

إنّ الدور الذي قام به الرمز العالي علي بن أبي طالب عليه السلام لا يقلّ عن دور النبي الأكرم ﷺ، لذلك قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[١]، راجع مصادر هذا الحديث في الهامش.

(١) مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج١/ص١٧٠. صحيح البخاري: البخاري، ج٣/ص٢٠٨. صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج٧/ص١٢١. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ج١/ص٤٣. سنن الترمذي: الترمذي، ج٥/ص٣٠٤. فضائل الصحابة: النسائي، ص١٣. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٢/ص٣٣٧. السنن الكبرى: البيهقي، ج٩/ص٤٠. شرح مسلم: النووي، ج١/ص١٩٥. مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩/ص١٠٩. فتح الباري: ابن حجر، ج٨/ص٨٦. عمدة القاري: العيني، ج١٦/ص٢١٤. الديباج على مسلم: جلال الدين السيوطي، ج٥/ص٣٨٦. تحفة الأحوزي: المباركفوري، ج١٠/ص١٥٧. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي، ص٢٨. المصنف: عبد الرزاق الصنعاني، ج٥/ص٤٠٦. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير، ج١/ص٣٨. المعيار والموازنة: أبو جعفر الإسكافي، ص٧٠. مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد، ص٣٠١. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٤٩٦. مسند ابن راهويه: إسحاق بن راهويه، ج٥/ص٣٧. مسند سعد بن أبي وقاص: أحمد بن إبراهيم الدورقي، ص٥١. تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة، ص١٣. ما روي في الحوض ←

والكوثر: ابن مخلد القرطبي، ص١٢٦. الآحاد والمثاني: الضحاك، ج٥/ص١٧٢. كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم، ص٥٥١. السنن الكبرى: النسائي، ج٥/ص٤٤. خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: النسائي، ص٤٨. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج١/ص٢٨٧. جزء الحميري: علي بن محمد الحميري، ص٢٨. أمالي المحاملي: الحسين بن إسماعيل المحاملي، ص٢٠٩. حديث خيثمة: خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ص١٩٩. صحيح ابن حبان: ابن حبان، ج١٥/ص١٦. المعجم الأوسط: الطبراني، ج٢/ص١٢٦. المعجم الصغير: الطبراني، ج٢/ص٢٢. المعجم الكبير: الطبراني، ج١/ص١٤٦. معرفة علوم الحديث: الحاكم النيسابوري، ص٢٥٢. فوائد العراقيين: ابن عمرو النقاش، ص٩٥. الفوائد المنتقاة: محمد بن الصوري: ص٥٥. الاستيعاب: ابن عبد البر، ج٣/ص١٠٩٧. التمهيد: ابن عبد البر، ج٢٢/ص١٣٢. جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، ج١/ص١١٢. جزء بقي بن مخلد: ابن بشكوال، ص١٢٦. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٢/ص٥٩. درر السمط في خبر السبط: ابن الأبار، ص٧٩. الأذكار النووية: يحيى بن شرف النووي، ص٢٧٧. نظم درر السمطين: الزرندي الحنفي، ص٢٤. المواقف: الإيجي، ج٣/ص٦٠٣. موارد الظمآن: الهيثمي، ج٧/ص٣١٣. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، ج٢/ص١٧٧. كنز العمال: المتقي الهندي، ج٥/ص٧٢٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ج٤/ص٤٧١. كشف الخفاء: العجلوني، ج٢/ص٣٨٢. نظم المتناثر من الحديث المتواتر: الشيخ محمد ابن جعفر الكتاني، ص١٩٥. فتح الملك العلى: أحمد بن صديق المغربي، ص٤٨. إرواء الغليل: محمد ناصر الألباني، ج٥/ص١١. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، ص٤٥٨. شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ج١/ص١٩٠. تفسير الرازي: الرازي، ج١٦/ص٧٦. تفسير القرطبي: القرطبي، ج١/ص٢٦٦. تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج٥/ص١١١. الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، ج٣/ص٢٦٦. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج٤/ص٢٥٨. الثقات: ابن حبان، ج١/ص١٤٢. الكامل: عبد الله بن عدي، ج١/ص٣٠٦. طبقات المحدثين بأصبهان: عبد الله بن حبان، ج٤/ص٢٦٤. علل الدارقطني: الدارقطني، ج٤/ص٣١٣. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج١/ص٣٤٢. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٢/ص٣٤٩. أسد الغابة: ابن الأثير، ج٤/ص٢٦. ذيل تاريخ بغداد: ابن نجار البغدادي، ج٢/ص٧٨. تهذيب الكمال: المزي، ج٥/ص٢٧٧. تذكرة الحفاظ: الذهبي، ج١/ص٢١٧. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج١/ص١٤٢. الكشف الحثيث: سبط ابن العجمي، ص١٨٦. الإصابة: ابن حجر، ج٤/ص٤٦٤. تهذيب التهذيب: ابن حجر،ج٢/ص٢٠٩. لسان الميزان: ابن حجر، ج٢/ص٢٣. تاريخ الطبري: الطبري، ج٢/ص٣٦٨. بلاغات النساء: ابن طيفور، ص٢٨. ذكر أخبار أصبهان: الحافظ الأصبهاني، ج١/ص٨٠. تاريخ الإسلام: الذهبي، ج٢/ص٦٣١. الوافي بالوفيات: الصافي، ج١٢/ص١٧٢.

وهـذا الـدور الـذي تقمّـصه الإمـام عليه السلام يـشابه تمامـاً دور هـارون في زمـن الـنبي موسى عليه السلام، فعليه فإننا بحاجة إلى منهج استراتيجي للحفاظ على الرموز والكوادر، لأننا فقدنا الكثير وبسهولة، وهكذا فإنّ المجتمع الإسلامي بات ينتج الرمز بصعوبة ولكنه يفقده بسهولة.

وتعدّ هذه الظاهرة كما أسلفت من أخطر ما يتعرّض له المجتمع الإسلامي، إنّ مذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام فقد الكثير من الرموز السامية، التي هي عالية ليس على صعيد العالم الإسلامي فحسب، وإنما على صعيد «العالم الإنساني».

وقد فقدنا الكثير بسهولة، وكأنّ هناك مصنعاً ينتج الرموز حتى يمكن تعويض ما خسرناه، وفقدان هذه الرموز يشكّل فراغاً عميقاً أثّر سلباً على المستوى العلمي والثقافي والأخلاقي.

إنّ بناء الإنسان أصعب ما في الحياة فكيف ببناء قائد، لذا فعلينا أن نحافظ على «الرموز» بإيجاد «قوانين» دولية تحرّم التعرّض إلى الرموز، وتجرم من يتعدّى عليهم بأيّ شكل من الأشكال، وتحت أيّ غطاء كان، ولابدّ للمؤسسات الإنسانية والدينية أن تبذل الجهد الحثيث لتشريع «قانون في الأمم المتحدة» يمنع فيه التعرّض إلى الرموز، ثم إلزام الدول العربية والإسلامية وباقي الدول بهذا القانون.

ولابدّ أن توضع وثيقة عهدٍ قانونية ملزمة تحرّم وتجرّم كل من يتعرّض إلى الرموز الدينية وغير الدينية بما فيها الرموز العلمية.

وأيضاً على المؤسسات الإنسانية السعي «لفرض» قانون يلزم الدول في دستورها «حرمة التعرض للرموز»، وبأيّ شكل من الأشكال وتحت أيّ غطاء وذريعة.

إنّ سعي المؤسسات الإنسانية والإسلامية لفرض قانون يجرّم فيه التعرّض إلى الرموز يعدّ خطوة هامة على طريق الحفاظ على «صمامات الأمان للأمة»، كما يضمن حقوق الأمم الأساسية.

ومن جانب فإنّ هذه الخطوة تضمن «تقدم الكوادر»، وتدفعهم إلى العمل بجد.

نعود ونقول: إنّ استلام معاوية الحكم واستبداده شكّل خطراً حقيقياً على الإسلام، وكاد معاوية بن أبي سفيان أن يقضي على الإسلام.

يقول روجيه غارودي:

«وكانت الدولة الأموية وخلافة معاوية من القروح الآكلة في جسم الدولة الإسلامية»(١).

وقد تعرض الإسلام في ظلّ معاوية لأبشع أنواع التشويه، وكادت القيم الإلهية أن تلفظ أنفاسها لولا وجود الأئمة من آل البيت عليهم السلام.

إنّ المحكّ الحقيقي للقيم الأهلية تكمن عندما تقابل الباطل، فإذا برز الباطل لابدّ للحق أن يبرز ويسفر عن وجهه، وهذا ما حدث إبان ثورة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على النّاكثين والمارقين والقاسطين، فقد تجلّى الحق في سلوك الإمام عليه السلام، وظهرت معالمه واضحة، الأمر الذي أدّى إلى تجذّرها، وصارت جزءاً من حياة الأمة، إلا أنّ محاولات معاوية تواصلت وتتابعت فأفرخت فتناً.

إنّ معاوية بن أبي سفيان رسّخ الشجرة التي وضع بذرتها جدّه أمية حين نفي إلى الشام بعد أن نافر هاشماً، وسقيت الشجرة بولاية أخيه يزيد عليها في زمن أبي بكر وعمر، وها هو ثالث بني أمية يفصح عمّا وقر في صدره.

إنه ابن هند التي يقول عنها ابن أبي الحديد: «وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعهر»(٢).

---

(١) علي عليه السلام إمام لكل العصور: الأستاذ السيد كمال شاكر، ص١٨٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١/ص١١.

ويذكر الزمخشري في (ربيع الأبرار):

«كان معاوية يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمر، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح، وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً (أجيراً) لأبي سفيان شاباً وسيماً فدعته هند إلى نفسها فغشيها»[١].

وإذا وضعنا معاوية بن أبي سفيان في الميزان فلا قيمة له، وقد أخطأ العقّاد حين كتب عن معاوية، وأطلق عليه (معاوية في الميزان).

وأيّ شيء عند معاوية حتى نضعه في الميزان، وإنما يوضع في الميزان من له حسنة واحدة؟ ومعاوية صفر اليدين من الحسنات، ولا يمكن أن نتكلم عن معاوية والحسنات.

قال الإمام الحسن عليه السلام في معاوية: «أنا لا أقول أنا خير منك لأنه لا خير فيك»[٢].

وأيّ خير في معاوية؟ وقد أغلق أبواب الخير في وجه أصحابه في الشام حتى باتوا لا يفرّقون بين الناقة والجمل، وقد استخفّ بهم إلى أدنى درجات الحضيض كي يحكم قبضته فيهم، ثم يدخلهم في أتون الحروب التي كرّسها لشهواته وبطنه التي كانت لا تشبع، وقد أعماهم وأصمّهم، واستخفّ بهم.

قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾[٣].

إنّ معاوية بن أبي سفيان هو أول من استخف قومه، وصيّرهم وسيلة رخيصة لمآربه الشخصية وبطنه التي أضحت لا تشبع.

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٣/ص٢٠١. نقلاً عن ربيع الأبرار: الزمخشري.

(٢) الاحتجاج: الطبرسي، فصل احتجاجات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

(٣) الزخرف: ٥٤.

جاء في (تاريخ الطبري):

«إنّ معاوية كان يأكل في اليوم سبع مرات، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا»[١]. وقال علماء النفس الاجتماعي: «إنّ الأكول لا يفكّر طويلاً كما لا يبصر عميقاً».

والأكول «لا يمكنه أن يتألّق ويكون مبدعاً»، ومن طبع الأكول «الاستئثار والعجلة»، وهذه صفات قبيحة ظهرت جلية في سلوك معاوية حتى ضرب بها رقماً قياسياً، فما أن يذكر معاوية حتى يذكر الختل والدوران والدهاء.

جاء في كتاب (معاوية بن أبي سفيان) للعقّاد:

«وأبرع ما برع فيه معاوية من ألوان الدهاء إلقاء الشبهة بين خصومه، وقد احتال بمثل هذه الحيلة على قيس بن سعد حتى أوقع الريبة منه في نفس الإمام».

ومعاوية جيّر كل وسيلة بما فيها التسقيط والحروب.

جاء في كتاب (تاريخ الطبري) كما عن سعيد بن سويد:

قال معاوية لأهل الكوفة: «والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وإنكم تفعلون ذلك، إنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون»[٢].

وهو أول من استعمل سياسة الإطراء له وللخلفاء الثلاثة، وانتحال صفات ومناقب لهم ليس لها واقع أو سند وثيق.

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ج٢/ص٢٣٧. شيخ المضيرة أبو هريرة: محمود أبو رية، ص٢٠٧. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص١٢٨.

(٢) شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج٢/ص١٥٧. الملاحم والفتن: السيد ابن طاووس، ص٢٢٥. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٥٣.

جاء في (تاريخ الخلفاء) للسيوطي، عن الإمام أحمد بن حنبل، أنه سأل أباه عن عليّ ومعاوية؟.

فقال: «اعلم أنّ علياً كان كثير الأعداء، ففتّش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له»[١].

ومما يحزّ في النفس أنّ الكثير من الناس باتوا يصدقون أقوال معاوية ويضعونها في مصاف الأحاديث الصحيحة، كل ذلك لشبهة وردت في كتب الحديث مثل «معاوية كاتب الوحي»، و«خال المؤمنين»، و«أمير المؤمنين».

وإذا كان معاوية كاتب الوحي فكيف يلعنه رسول الله محمد ﷺ عندما رأى أبا سفيان راكباً، ويزيد السائق، ومعاوية القائد، فقال ﷺ: «لعن الله الراكب والقائد والسائق»[٢].

ثم هو من الشجرة الخبيثة (راجع: تفسير الرازي، تفسير آية الشجرة الخبيثة)، وهو من أهل النار، قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «ويح عمار تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»[٣].

وهو السابّ لله ولرسول الله ﷺ، حيث قال ﷺ: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله»[٤].

---

(١) الغدير: الشيخ الأميني، ج١١/ص٧٤.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٠/ص٢٩٦. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٥/ص١٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٥/ص١٧٧. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص٣٨٦. الإصابة: ابن حجر، ج١/ص٣٧١. الاستيعاب: ابن عبد البر، ج٣/ص١١٣٩.

(٤) مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٦/ص٣٢٣. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/١٢١. مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩/ص١٣٠. السنن الكبرى: النسائي، ج٥/ص١٣٣. خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: النسائي، ص٩٩.

وجاء في (صحيح مسلم: باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام):

«قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما لك لا تسبّ علياً؟. قال: ثلاث أذكرهنّ فإنّي لا أسبّه.

وعندما مرّ ابن عباس على جماعة عند الكعبة، فسمعهم يسبّون علياً (صلوات الله عليه). فقال: من منكم يسبّ الله؟. قالوا: وكيف!! نستغفر الله؟.

قال: فمن منكم يسبّ رسول الله؟. قالوا: نستغفر الله؟.

قال: من منكم يسبّ علياً؟. قالوا: أما هذه فنعم.

فقال ابن عباس: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله»[١].

ويكفي معاوية أنه خلع الطاعة لإمام أجمعت الأمة على بيعته، فمات ميتة جاهلية.

جاء في (صحيح مسلم): «من خلع الطاعة وفارق الجماعة ميتته جاهلية»[٢].

ومعاوية هو أول من أشهر سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر، وأضحت منابر المسلمين تزعق بسبّ الإمام عليه السلام، بل زاد بعضهم آل البيت عليهم السلام، فهذا المجرم خالد بن عبد الله القسري والي العراق في خلافة هشام بن عبد الملك يلعن الإمام علياً عليه السلام وأهل بيت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) المناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الحسن، ص٣٨٩. النصائح الكافية: محمد بن عقيل، ص١٠٢.

(٢) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج٧/ص٢٦٣. المجموع: محي الدين النووي، ج١٩/ص١٩٠. روضة الطالبين: محي الدين النووي، ج٧/ص٢٧١. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج٤/ص١٢٤. المغني: عبد الله بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٣/ص٢٥٨. نيل الأوطار: الشوكاني، ج٧/ص٣٥٨.

ذكر ابن الأثير في (الكامل في التاريخ):

إنّ خالد بن عبد الله القسري كان يقول: «اللهم إلعن علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم، صهر رسول الله ﷺ على ابنته، وأبا الحسن والحسين».

ثم يقبل على الناس، فيقول: هل كنيت[1].

وقد استمرت هذه السنّة سبعون سنة إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فألغاها، بسبب ما كان يلحظه من أبيه من ارتجاج عندما يعرج على سبّ وصي رسول الله ﷺ، ولكن ما الحيلة عند الأمويين والدنيا لا تستقيم لحكمهم إلا بإتباع هذه السنّة السيئة، والرعية لا تخضع لهم إلا بالتأكيد عليها، وهذا ما أكّد عليه عبد العزيز لولده عمر: «يا بني إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد»[2].

يقول الغزالي في كتابه (الإسلام المفترى عليه):

«فلما أراد معاوية أن يتجه بشكل الحكم إلى غير ما عرف في دولة الخلافة، لاحظ المعترضون عليه من صحابة رسول الله ﷺ أنّ هذا الاتجاه روماني لا إسلامي، وقالوا في وصفه: كلّما هلك هرقل قام هرقل.

ولكن هذا الأسلوب الروماني كتبت له السيطرة، وبلغ من اجترائه أنه استولى على منابر الجمعة يلعن من فوقها ممثلي الاتجاه الإسلامي الصحيح»[3].

وقد سعى معاوية بن أبي سفيان إلى تثبيت هذه السنّة السيئة حتى:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٤/ص٥٧. النصائح الكافية: محمد بن عقيل، ص١٠٥.

(٢) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أحمد الرحماني الهمداني، ص٧٥٣. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٤/ص٥٩. الإسلام المفترى عليه: الشيخ محمد الغزالي، ص٣٥.

(٣) علي عليه السلام إمام لكل العصور: الأستاذ كمال شاكر، ص٤٢٠.

١ ــ يزرع في أذهان الشاميين «فكرة الخوارج» التي تذهب أن علياً عليه السلام وآل البيت عليهم السلام لا علاقة لهم بالدين، وقد تأكدت هذه الفكرة بدليل أنّ أهل الشام بُعيد استشهاد أبي عبدالله الحسين عليه السلام صدقوا «خروج الحسين عن الإسلام وقد قتل لخروجه منه».

٢ ـ حتى يغطّي على مناقب الإمام عليه السلام، وكادت السنّة السيئة تأتي على مناقب الإمام، لولا ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي مزقت الستار الذي نسجه معاوية.

٣ ـ إنّ فكرة السبّ على سبعين ألف منبر في كل يوم، وفي رواية في كلّ منتدى ومسجد لابدّ وأن تأخذ حيّزاً من نفوس الناس، فهي إن لم تقنعهم فعلى الأقل تتفاعل في نفوسهم (كما هو ثابت في علم النفس التربوي)، فتظل هذه الفكرة تشغلهم عن الأبعد من حدود السبّ.

٤ ـ إنّ فكرة السبّ الشيطانية إنما تؤكد «حرص معاوية» على استعمال الأساليب كافة في سبيل دنياه، وهكذا فإنّ كلّ السبل كانت مفتوحة أمامه، فهو لا يتورّع من استعمال أقذرها لمصالحه الدنيئة.

يقول الدكتور حسن إبراهيم:

«فالأمويون لم يعتنقوا الإسلام إلا سعياً وراء مصالحهم الشخصية»[1].

٥ ــ إنّ فكرة السبّ فتحت الأبواب أمام «الانتهازيين»، والمتملّقين لافتراء الأحاديث، والافتراء على الإسلام بكلّ وقاحة، فشخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تمثّل الإسلام، وتمثّل شخصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا تمّ التجاوز على شخصية الإمام فمن السهولة بمكان التجاوز على الإسلام، ثم إزاحته من واقع المسلمين.

---

(١) تاريخ الإسلام: الدكتور حسن إبراهيم، ص٢٧٨.

وفي نظري فإنّ هذا هو المطلب الأساسي الذي كان يستهدفه معاوية، فإنّ معاوية كان يتميز غيظاً منه، فلابد من عمل شيء حتى يمكنه من استغلال الواقع الإسلامي لمصالحه الدنيئة، لقد عوّدنا معاوية في استعمال كل ما هو قذر حتى لو كان يجمع قذارات الأولين والآخرين.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: قال أبو القاسم البلخي: «وما زال عمرو بن العاص ملحداً ما تردّد في الإلحاد والزندقة، وكان معاوية مثله»[1].

٦ ـ وفي نظري فإنّ استعمال السبّ إنما هو لإيجاد مناخ لأمراء السوء كي يتبؤوا مقعد الخلافة، وهذا ما حصل، فقد جاء يزيد بن معاوية على خلفية الواقع المزري الذي لفّ المسلمين.

الله أيّ دم في كربلا سفكا ... لم يجرِ في الأرض حتى أوقف الفلكا

وقد تحكّم بالإسلام طاغية ... يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا

لم أدرِ أين رجال المسلمين مضوا ... وكيف صار يزيدٌ بينهم ملكا

العاصر الخمر من لؤم بعنصره ... ومن خساسة طبع يعصر الودكا

لئن جرت لفظة التوحيد في ... فمه فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا

قد أصبح الدين منه يشتكي سقماً ... وما إلى أحد غير الحسين شكا

فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً ... إلا إذا دمه في كربلا سفكا

وما سمعت عليلاً لا علاج له ... إلا بنفس مداويه إذا هلكا[2]

٧ ـ حتى يتسع الغدر ليعمل معاوية ما يشاء ويفعل ما يريد، لقد عمل معاوية بما فيه الكفاية في تحريف الإسلام حتى أنسى الكثير الصلاة التي هي أظهر مصاديق الإسلام.

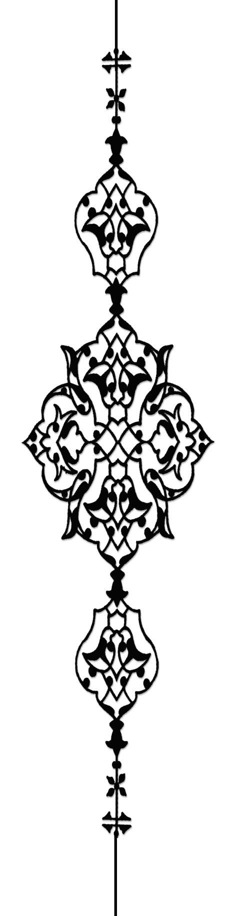
---

(١) الغدير: الشيخ الأميني، ج٢/١٢٧. وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري، ص٣٨. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج١/ص٤٤٣. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١/ص١٣٧.

(٢) الأبيات للمرحوم السيد جعفر الحلي رحمه الله.

الفصل السادس

يزيد بن معاوية والعهد المظلم



لو لم تكن موبقة لمعاوية إلا يزيد لكفاه ذلك، فإنّ هذه السيّئة تظلّ نقطة سوداء لا تنمحي من سجلّ معاوية، وقد تولى يزيد بن معاوية الولاية، وكانت نقطة عطف خطيرة في مسيرة الإسلام، وشكلت بداية العدّ التنازلي للحضارة الإسلامية، وما كان ينبغي أن تكون الولاية ليزيد، لأنّ الإسلام لا زال طرياً لم يشتدّ عوده بسبب السياسات الخاطئة التي انتهجها معاوية بن أبي سفيان، بالذات على صعيد إدارة الحكم.

فقد انتهج طريقة ميكافيلية جعلت المجتمع بعيداً عن الإسلام، وعن قيمه الفذة، والأنكى من ذلك جعل المجتمع يئنّ من الضربات المتلاحقة التي شنّها ولاة معاوية، فقد أوغلوا في غيّهم ممّا جعلوا الواقع الإسلامي غائماً تماماً.

جاء في كتاب (الدولة العربية):

«وعرف زياد كيف يخضع القبائل بأن يضرب إحداها بالأخرى، وكيف يجعلها تعمل من أجله، وأفلح في ذلك»[1].

لقد كانت بداية الاستنارة في عهد الرسول الأعظم ﷺ تبشّر بألف خير، وأضحى الإسلام يفتح الآفاق أمام الأمم، فقد تردّد صداه في أكثر من دولة، وأخذ مساحة واسعة، فأخذ مساحة في أفريقيا، وفي بلاد الروم، والصين، وغيرها من الدول.

وقد تنبّه الروم لانتشاره السريع فتهيأ حكامه لكسر شوكة الإسلام، ولكن خسأت محاولاتهم فارتدوا منكوسين في «معركة تبوك»، حيث انسحبوا وألغوا فكرة

(١) الدولة العربية: فلهاوزن، ص٢٠٧.

الهجوم، إنّ ظهور الإسلام شكّل أهمية استثنائية، فهو الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان، ولكن وفي نظري بدأت الانتكاسة عندما تولى أبو بكر الخلافة، إذ لم يستوعب الخطوات الإستراتيجية التي أقدم عليها رسول الله محمد ﷺ.

فجرّد سيفاً لم يكن في محله، وذهناً لم يستوعب الأحداث الجسام، فجاءت الحلول قاصرة، والعلاج أهوجاً.

يقول الأستاذ سليمان كتاني:

«لقد تجمّدت الزعامات التقليدية في الجزيرة على أمل أن تنام دون أن يعود فيلمّها وعي، مع انتقال النبي الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى هبّت تعلن أنها لم تصدق أن الرسول أسند مهمة الاهتمام بصيانة الرسالة الطرية العود إلى أمتن رجل صدقها وشارك في تمتينها حفراً في النفوس، فليكن اجتماع السقيفة ـ تململاً من هجعة ـ أبعِدَ الرجل المحسوب ركناً من الأركان المعتمدة لمتابعة الخط وترسيخه، إلا أنّ واقع التاريخ، وواقع الرسالة التي لا تزال حتى الآن تنمو وينمو بها عالم الإسلام، يشهد بأنّ لعلي مكانة مجيدة القيمة في ضلوع الرسالة، لا يجهلها الحق، ولا يقدر أن ينكرها المنطق، وما من أحد على الإطلاق تمكن من فصل بيت علي عن بيت الرسول، لا في الحقيقة ولا في المجاز»(١).

لقد تقمّصها أبو بكر وهو يعلم أنّ علياً عليه السلام من الخلافة محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.

وما عساني أقول بعد كلّ الذي حدث في العالم الإسلامي من ويلات ومحن ظلّت تفتك به لحد الآن، وتولى أبو بكر فجرّ الويل والثبور على الأمة الإسلامية، مما اضطرّ

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام: الأستاذ سليمان كتاني، ص١٩.

عمر بن الخطاب أن يوصمها «بالفلتة»: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها»[1]، راجع مصادر الحديث في الهامش.

تقول القوانين الاجتماعية:

«إنّ بداية أيّ حضارة مرهون بالعقول، فكلما كبرت واتسع حجم استيعابها تستطيع أن تفهم أبعادها الحقيقية، ومتطلبات المرحلة، وتستمر في العطاء، فالحضارة الإسلامية كانت تحتاج إلى عقول كبيرة.

ولكن مما يؤسف له أنّ العقول التي استلمت زمام الخلافة بعد الرسول الأعظمﷺ كانت ضيّقة إن لم تكن عديمة الفهم لأبعادها الأساسية، فخلفت تراكمات سيئة أتعبت من جاء بعدها كثيراً، فجاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن صار المجتمع الإسلامي يئنّ من الترسبات السلبية، فطفق يرتق ما فتقه الآخرون، فشحت نفوس، وطفحت القلوب حقداً على سيد الوصيين عليه السلام، فعرقلت مساعيه ممّا أدّى إلى تأخّر المشروع الحضاري الذي كان يرمي إليه الإمام عليه السلام، فجاءت الانتكاسة التي تمثّلت بمعاوية ويزيد.

فيزيد صاحب العقل الصغير كما يصفه المسعودي في (مروج الذهب) لم يملك المؤهلات الكافية لإدارة الحكم، وقد نشأ في بيئة «صحراوية»، وفي ظلّ التعاليم المسيحية المنحرفة.

---

(١) الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي، ج٢/ص٣٠٢. كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي، ص٢٠١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٠/ص٤٤٤. صحيح البخاري: البخاري، ج٨/ ص٢٦. المعيار والموازنة: أبو جعفر الإسكافي، ص٣٨. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٦١٥. الاستذكار: ابن عبد البر، ج٧/ص٢٥٨. التمهيد: ابن عبد البر، ج٢٢/ص١٥٤. الثقات: ابن حبان، ج٢/ ص١٥٦. العثمانية: الجاحظ، ص٢٨٦. تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، ج٢/ص١٥٨.

يقول الأستاذ العلايلي في كتابه (حياة الإمام الحسين عليه السلام):

«الأمر الذي جعل من يزيد شخصية حقيرة وفاقدة تماماً للمقوّمات نشأ يزيد عند أخواله في البادية من بني كلاب الذين كانوا يعتنقون المسيحية قبل الإسلام، وكان مرسل العنان مع شبابهم الماجنين، فتأثّر بسلوكهم إلى حد بعيد فكان يشرب معهم الخمر، ويلعب معهم بالكلاب»[1].

ويقول الشيخ العلايلي:

«إذا كان يقيناً أو يشبه اليقين أنّ تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة أو بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الإسلامية لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها أيّ حساب، ولا يقيم لها وزناً، بل الذي نستغرب أن يكون على غير ذلك»[2].

إن نشأة الإنسان في السنوات الأولى لها أثر عميق في مسيرة الإنسان، فأجواء البيت تعدّ «حجر الزاوية» في بناء الإنسان، فإذا كانت إيجابية ومفعمة بالآداب والأخلاق، فإنها تجعل الإنسان كبيراً في أخلاقه وعقله.

أما إذا كانت خاوية وقفراء من القيم المثلى فإنها تهدم الإنسان، وتجعله صغيراً، لذلك يعدّ البيت تربوياً من أهم المحطات في حياة الإنسان، فهو المدرسة الأولى في إعداده.

فعليه فإنّ يزيد عاش بعيداً عن الأجواء الإيجابية، وحتى لو عاش في كنف أبيه فإنّ الأمر لا يختلف، فبيت معاوية أضحى بؤرة يفوح منها العهر والمجون.

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص١٨٠.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص١٨٠. سمو المعنى في سمو الذات: الشيخ العلايلي، ص٥٩.

جاء في كتاب (روح الإسلام):

«كان يزيد قاسياً غدّاراً كأبيه، ولكنه ليس داهية مثله، كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستار من اللباقة الدبلوماسية الناعمة، وكانت طبيعته المنحلّة، وخلقه المنحطّ لا تتسرب إليهما شفقة ولا عدل، كان يقتل ويعذّب نشداناً للمتعة واللذة التي يشعر بها، وهو ينظر إلى آلام الآخرين، وكان بؤرة لأبشع الرذائل، وها هم ندماؤه من الجنسين خير شاهد على ذلك، لقد كانوا من حثالة المجتمع»[1].

وقد ذكرت في كتاب (قبس من نور الإسلام)، وكتاب (قبس من نور الإمام الجواد عليه السلام) أنّ تصرفات الأب تغوص عميقاً في ولده، وتستقر في قعر كيانه، فإذا كانت طيّبة فإنها تطيب الابن، ومنها يستل الطيب، والعكس هو الصحيح، وقد تمثّل في معاوية، فإنّ تصرفاته شقّت طريقها إلى نفس يزيد واستقرت فيها، الأمر الذي انعكس سلباً على سلوكه، فكان نسخة ثانية، فهو يحمل وجه معاوية لكن بدون الأقنعة المزيّفة، فأماطها يزيد فظهر وجه معاوية وهذا ما كان يترقبه الكثير، لأن الولد يكشف أسراراً كثيرة عن أبيه، فعدّها النقّاد دهاءً على الدهماء وليس على الأذكياء.

ومن مظاهر صفات يزيد ولعه بالصيد، فكان يقضي أغلب أوقاته فيه، وكان مغرماً بالكلاب.

«كان يزيد بن معاوية كلفاً بالصيد لاهياً به، وكان يُلبسُ كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه»[2].

وهنا ملاحظات:

---

(١) روح الإسلام: السيد مير علي الهندي، ص٢٩٦.

(٢) الفخري: ص٤٥.

أولاً: وقد شبّ يزيد بن معاوية على اللهو والمجون، فتشرّب قلبه وأترعت نفسه مما أدّى إلى ولعه وذوبانه في حب اللهو والمجون، والمثل يقول: «من شبَّ على شيء شاب عليه»، فمن يشبّ مع الطيبين يصبح طيباً، ومع العاصين يصبح عاصياً.

ثانياً: لقد نشأ في بيئة صحراوية وبين الكلاب، وهذا مما ساهم كثيراً في انحرافه.

ثالثاً: إنّ من ينشأ في بيئة مفسدة لا يجنح إلى الخير، ولا يميل إلى المثل السامية بسبب جفاف العقل، وضمور المقوّمات النفسية الخلاقة، ومنها الإرادة والشهامة والإقدام.

رابعاً: يعدّ اللعب مع الكلاب في عرف العرب نشازاً وخارجاً عن المألوف والأعراف العريقة، فمن عادة العرب أن يربّوا أولادهم الركوب على الجواد، وعلى الرمي، والمبارزة، وهذه كلها من أسباب الشجاعة، ومن دواعي الفخر. فمن المستهجن والقبيح عندهم تربية الأولاد على الكلاب لاسيّما وأنّ العرب كانوا يمتازون بالفخر والاعتزاز والاعتداد بالنفس، وهذه تأتي من ممارسة الرمي، وركوب الجواد، والمبارزة.

خامساً: إنّ ولع يزيد بالكلاب والقرود يدلّ على حقارة الآباء والأجداد، وقد أُثبتَ ذلك في كتاب (قبس من نور الإمام الجواد عليه السلام) فليراجع، فإنّ أمية كان لصيقاً بعبد شمس حيث جاشت به البحر وألقته على مائدة «عبد شمس»، ومن ثم تبناه.

سادساً: إنّ ولع يزيد بن معاوية بالكلاب والقرود إنما كان يستهدف تحقير الأمة، فالذي يعيش بين الصغار لا يكبر، وهذه من البديهيات.

فمن الطبيعي أن لا تكبر عند يزيد الهمّة، والنظرة السامية للإنسان، لذا يحسب كل من يلتقيه صغيراً وبحجمه، فالإنسان ينظر إلى الناس «بحجمه»، فإذا كان كبيراً وعظيماً ينظر بإكبار، أمّا إذا كان صغيراً ينظر إليهم بحقارة.

وصدق المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام الكرائمُ

وتصغر في عين الكبير كبيرها وتعظم في عين الصغير العظائمُ

يقول العلامة القرشي :

«وكان يزيد ـ فيما أجمع عليه المؤرخون ـ ولعاً بالقرود، فكان له قرد يجعله بين يديه، ويكنّيه بأبي قيس، ويسقيه فضل كأسه، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصابته خطيئة فمسخ».

وذاع بين الناس هيامه وشغفه بالقرود حتى لقّبوه بها، ويقول رجل من تنوخ هاجياً له :

يزيد صديق القرد ملّ جوارنا فحنّ إلى الأرض القرود يزيدُ

فتباً لمن أمسى علينا خليفة صحابته الأدنون منه قرودُ[(١)]

تقول القوانين التربوية: إنّ من يصاحب الصغير لا يكبر، ومن ثَمّ لا يقيم اعتباراً لأحد، وهكذا هو يزيد.

يقول فيه بولس سلامة :

رافع الصوت داعياً للفلاح اخفض الصوت في أذان الصباحِ

وترفق بصاحب العرش مشغولاً عن الله بالقيان الملاحِ

ألف «الله أكبر» لا يساوي بين كفّي يزيد نهلة راحِ

تتلظى في الدنان بكراً فلم تدنس بلثم ولا بماء قراحِ[(٢)]

---

(١) معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج٣/ص٢٢. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص١٨٣.

(٢) الغدير: الشيخ الأميني، ج١٠/ص٣٢.

وقد صغرت القيم عند يزيد فراح يعبث بها، ويستغلّها طريقاً لشهواته، وصغرت حتى أصبحت لديه مادةً للتندر، وتبقى القيم عند الصغار صغيرة، ولكن عند الكبار عظيمة، لذا فإنهم يجودون بأنفس ما يملكون.

وهكذا ضحّى من أجلها المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام لأنه كان يحمل عقلاً كبيراً، ونفساً عظيمةً، ترعرعت في حجر الإسلام، وفطمت من ثدي الإيمان.

قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام رداً على رسالة «الصغير» عبيد الله بن زياد:

«ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعي قد ركز بين اثنتين:

بين الذلة والسلة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوفٌ حميةٌ، ونفوسٌ أبيّةٌ، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»(١).

إنّ من يتربّى في حجر النبيين والصدّيقين يأبى الخضوع والاستسلام لأنه يعرف معناهما، ثم هو يعرف حجم السيئات والحسنات، فيعطي كلاً حسب حجمه وقيمته.

لقد علمتنا كربلاء الحسين عليه السلام.

أنّ الإسلام والقيم الإلهية أكبر من كل كبير، وأجلّ من كلّ جليل، فهي تستحق التضحيات مهما بلغت.

وعلمتنا كربلاء الحسين عليه السلام..

أنّ التضحيات تزداد قيمتها، إذا كانت على طريق الحق، ويزداد الحق قيمة إذا كانت التضحيات بحجم الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٥٨. الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج٢/ص٢٤. مثير الأحزان: ابن نما الحلي، ص٤٠.

معاوية يدلي إلى يزيد

ومثلما أسلفت يكفي معاوية موبقةً حين أدلى بالخلافة إلى يزيد، وبذلك فهو:

أولاً: خرق الاتفاق مع الإمام الحسن عليه السلام لأنّ من بنود الاتفاق إرجاع الخلافة إلى الإمام الحسين عليه السلام.

وبهذا الخرق فإنّ بيعة يزيد باطلة، ولا تملك الشرعية إطلاقاً، فضلاً عن أنّها محرّمة على بني أمية بنص من رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة»[1].

ومعاوية بن أبي سفيان آذى الإمام علياً عليه السلام بسبّه على منابر المسلمين ولمدة سبعين سنة.

ثانياً: لا يحقّ لمعاوية أن يدلي بالخلافة إلى يزيد، فهو خطر على الإسلام وولايته ثلمة في الإسلام.

جاء في (البداية والنهاية) لابن كثير:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد»[2].

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار: الزيلعي، ج٣/ص٣٣٦. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشري، ج٣/ص٤٦٧. تفسير الثّعلبي: الثّعلبي، ج٨/ص٣١٢. تفسير ابن عربي: ابن العربي، ج٢/ ص٢١٩. تفسير القرطبي: القرطبي، ج١٦/ص٢٢. تفسير أبي السعود: أبي السعود، ج٨/ص٣٠. ينابيع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج٣/ص١٣٩.

(٢) العمدة: ابن البطريق، ص٤٥٧. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ص١٧٦. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٦٣/ص٣٣٦. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٤/ص٣٩. البداية والنهاية: ابن ←

يقول الأستاذ محمد نعمة السماوي:

«فلو لم يكن لمعاوية من مثلبة إلا استخلافه يزيد لكفاه بذلك إثماً إلى الأبد، كيف ينصبه خليفة رغم علمه بحديث رسول الله ﷺ، وكيف اجتهد أمام النص الصريح؟ وكيف برّر ذلك؟ لنستمع إليه نفسه، وهو يقول: «ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي.

لم يتوقع معاوية أن تستجيب الأمة لمسعاه في تنصيب يزيد خليفة من بعده لو لم تدغدغ أمانيه بعض همسات المنتفعين والمنافقين، أمثال المغيرة ابن شعبة الذي طمأنه بالعراق، وذلك هو مركز المعارضة الأول الذي كان يخشاه معاوية، وكان عمله الدؤوب المنتظم طيلة حوالي عشر سنين وإخراجه لمسرحيات ضخمة مهّد فيها الجوّ لقبول يزيد رغم علمه بوجود من هو أكثر كفاءة منه يدلّل على تعمّده إسقاط الأمة وحزنها إلى الأبد»[1].

ثالثاً: إنّ تولية يزيد انتهاك صارخ لإرادة الأمة، وتجاوز وقح على كل حقوقها، ومنها حق الإرادة والاحترام، فقد سحق معاوية كلّ الحقوق والقوانين تحت قدميه، فقد ولّى على الأمة من يُصغّر شأنها، ويستحقر مكانتها، ولست أشكّ في أنّ معاوية كان يقصد ذلك حتى يستمر خطّه المنحرف إزاء الإسلام، وسنته السيئة التي طالت سيد الكائنات محمد ﷺ.

إنّ من القوانين الثّابتة في علم الاجتماع قانون التابع والمتبوع، وقد حاول معاوية إخضاع المجتمع بقتل شخصيته حتى يمكنه إتباع أرذل من يزيد، أنا لا أؤمن بمقولة جوّع كلبك يتبعك، بقدر إيماني أقتل شخصية صاحبك يتبعك، وهذا ما حصل إبان حكم

كثير الدمشقي، ج٨/ص٢٥٣. إمتاع الأسماع: المقريزي، ج١٢/ص٢٣٣. السيرة الحلبية: الحلبي، ج١/ ص٢٦٩.

(١) موسوعة الثورة الحسينية عليه السلام: الأستاذ محمد نعمة السماوي، ج٣/ص٧٦.

معاوية، فقد اغتال معاوية شخصية المجتمع، فصار يدور في فلك الصعاليك بالرغم من مرارة الاتباع وقساوة النتائج.

وقد تحمّل وعّاظ السلاطين قسطاً كبيراً من مسؤولية الاتباع للظلمة من أمثال سمرة بن جندب، وعمرو بن العاص، وعروة بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، فهؤلاء ساهموا في قتل شخصية المجتمع، ونسف كل مقوّماته الحضارية بما فيها الأخلاق.

فالمجتمع الإسلامي بات لا يملك أخلاقاً، وصار بعيداً عن القيم المحمّدية التي كانت تساهم بشكل فعّال في إذكاء الروح الإيمانية، وتقويم الشخصية.

إنّ الانحدار الذي وصل إليه المجتمع في زمن معاوية يعدّ نقطة ضعف خطيرة، فشاع الفساد في كلّ حواضر الدولة الإسلامية، وانتشر العهر والمجون في ربوع أقدس المدن مكة والمدينة ممّا شكّل خطراً حقيقياً على القيم، وعلى كيان المجتمع، إذ بات يتنفّس المجون فأثّر سلباً على أخلاقه، فأخذ ينسلخ عنها تباعاً.

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مآتماً وعويلا

وبعد تولي يزيد أصبح المجتمع الإسلامي سهل الانقياد إلى درجة لم يكن يزيد نفسهُ يتصوّر ذلك، فأمعن في الفجور، وأوغل في التهتك، الأمر الذي أدّى بيزيد إلى التمادي بشكل لا يوصف، فأقدم على نسف كلّ ما يمتّ إلى الإسلام.

جاء في كتاب (مقتطفات سيكولوجية) في أهمية الشخصية:

«هذا من جهة تأثير شخصية الإنسان على المستقبل، فما هو تأثيرها في الحاضر؟.

الناس في هذا نوعان: نوع وجد ليكون تابعاً وآخر ليكون متبوعاً، واحد يرضى بأن يكون جندياً بسيطاً وآخر لا يرضى إلا بأن يكون قائداً عظيماً، شخصيته باردة ولو رفعتها إلى أعلى مقام، وشخصيته بارزة ولو حجبتها في الظلام، ضع الأولى على

أعظم عرش وأحطها بكلّ أنواع العظمة تجدها عبدة متوجبة، ثم ضع في يد الشخصية الثانية قصبة مرضوضة تجدها قد تحوّلت إلى صولجان من العاج ألبسها قميصاً إرجوانياً تجده عليها حلّة ملكية، ضع على رأسها إكليلاً من الشوك تجده قد استحال إلى تاج مرصّع باللآلئ، ارفعها على صليب العار تراها جالسة على أعظم عرش تحيطها المهابة والوقار، فالشخصية منفصلة عمّا يحيط بالإنسان من جلال القوة ومظاهر الضعف.

كان بولس في روما في أعماق السجون، وكان نيرون مرتفعاً على عرش روما العظيم، وبعد قليل ماتا كلاهما، فاحتقر الرومان اسم نيرون لشخصيته الحيوانية التي تسرّ وتبتهج برؤية تمزيق الأجسام، وبولس لشخصيته المحبة التي كانت تسعى لخلاص البشرية من كبوتها وعجرفتها.

كذلك في عالم السياسة نقرأ عن بسمارك، ونعجب مما كان عليه من قيادة وسيادة وحنكة واختبار في الأمور السياسية، ولكن كم منا يذهب إلى أبعد من هذا الحد، وكم من الناس يدركون أنّ شخصية بسمارك كانت تستمد من شخصية «زوجته» التي كانت له تعزية في وقت الحزن، ورجاء في اليأس، وقوة في الضعف، ونوراً في الظلام»[١].

من هنا فإنّ معاوية أراد للأمة أن تصغر بتولية يزيد حتى تتبع الصغار، وهذا ما كان، فالأمة أخذت تتبع الصغار وتترك الكبار، وبذلك اتجهت إلى الهاوية، وتحمّلت نتائج مرة ظلّت تعاني منها قروناً طويلة.

وفي قوانين الأمم: «إنّ السلطان الجائر يكلّف الأمة كثيراً قد يمتدّ أثره لأجيال ما لم يأتِ سلطان صالح يمحو سيئات ما قبله.

وإذا تسلط عليها من يحيف بها وهي خانعة فلا يرجى منها الخير، ومن العوامل المهمة في سقوط الحضارات يكمن في السلطان الجائر، وتقاعس الأمم، والأمة التي

(١) مقتطفات سيكلوجية: محمد سليم باقي، ص٢٦ ـ ٢٧.

تستكين وتغفو في ظلّ حاكم جائر قد تكون هي الضحية الأولى، وهذا ما كان في عهد يزيد، وما بعد يزيد.

فقد استكانت الأمة، وتركت الحبل على الغارب، وكأنها اطمأنّت تماماً على حياتها، فأجهز عليها الحكام فأخذوا «يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع»[1].

«فاتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، والظالمين عوناً، والصالحين حرباً».

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[2].

إنّ من يطمئن إلى الحاكم الجائر لا يحصد إلا الذلّ، وسيم الخسف، وشمل الصغار.

وكم كان بودي لو تكون صورة يزيد ماثلة في أذهان الخانعين والمتخاذلين، ومنهم وعّاظ السلاطين، فليتهم تصفحوا تاريخ من سبقهم، واستقرؤا ما آلت إليهم حياتهم، لقد شملهم الذلّ والصغار، وظلّت تتلاحقهم اللعنات، فيا لها من ذلّة وخسارة.

لقد عاشوا أياماً معدودات مع الظلمة، فأورثوا عاراً أبدياً وخزياً سرمدياً، ناهيك عن النّار الأبدية، يا لها من خسارة لا يمكن أن تستوعبها الكلمات.

قد تكون هناك خسارة يمكن تعويضها وتدارك آثارها، فتارك الصلاة والصيام والخمس وغيرها من العبادات يمكن للإنسان تداركها بالتوبة والإنابة والقضاء، طالما هو في الدنيا، ولكن ماذا لو مات وهو تارك للعبادة فحسابه يختلف تماماً، فلا يمكن إجبار ما ترك في الدنيا، إلا في حالة واحدة إذا أدركه ولد صالح كما في الروايات، ولكنَّ هذا أهون بكثير من يترك سنّة سيّئة تحفر في قلوب الأجيال بؤر الرذيلة والفساد.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١/ص١٩٧.

(٢) هود: ١١٣.

شبهة ورد

وصية معاوية بن أبي سفيان إلى ولده يزيد

«يا بني: إنّي قد كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك الأمور، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد، فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، وأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل كلّ يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيّرت أخلاقهم، وإنّي لست أخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما ابن عمر فإنّه رجل قد وقذته العبادة، فإذا لم يبق واحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فهو رجل (خفيف) ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإنّ له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابة من محمد، وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فظفرت به فقطّعه إرباً إرباً، واحقن دماء قومك ما استطعت»[1].

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير: ج٤/ص٦. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص١٢٣. تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ج٣/ص١٨.

أولاً

هذه الرسالة يبدو عليها آثار الوضع، وهي كذلك ففيها ما يبيّض وجه معاوية بن أبي سفيان الأسود، حيث تنعته بالرحمة والرأفة، وصلة الرحم بالإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهو بالأمس قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وتآمر على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قتل من أهل البيت عليهم السلام الكثير، ومن الصحابة ما لا يحصى.

ثانياً

وكيف يرقّ معاوية ويرحم وقد ولّى يزيد العهر والجريمة والمجون، ومعاوية يعلم بنوايا يزيد وسلوكه المتهتّك، وهو القائل:

«لولا هواي في يزيد لأبصرت فيه رشدي»[١].

فإذن كيف يترقّب من ولده العاهر الرحم الماسّة، والحق العظيم لأبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ويحزّ في نفسي أنّ بعض خطباء المنبر الحسيني يورد هذه الوصية، وهذا خطأ فاحش، فمعاوية تواطأ مع يزيد في القضاء على المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى لو لم يخرج على يزيد، وسوف نثبت ذلك.

ثالثاً

إنّ في الوصية مغالطات، فمعاوية ينبّه يزيد من عبد الرحمن بن أبي بكر، وقد نصّ المؤرّخون أنه توفي في حياة معاوية[٢].

---

(١) الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي، ج٣/ص٥٠. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص١٩٧.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٣٨.

رابعاً

لم يكن معاوية يرقب في رسول الله ﷺ إلاً ولا ذمّة ولو راعى ذلك لوفّى بعهده، وطبّق الشروط التي تحفظ ذمة رسول الله محمد ﷺ في ولده الإمام الحسن عليه السلام فقد اشترط مع الإمام الحسن عليه السلام إرجاع الخلافة إلى أصحابها الحقيقيين، وهم أهل البيت عليهم السلام، لأنّ من الشروط إرجاع الخلافة إلى الإمام الحسين عليه السلام[(١)].

خامساً

وكيف ترقب من إنسان إلاً وذمة، وهو قد قتل الآلاف من الأبرياء في سبيل الحكم، وكان مستعداً لقتل الملايين، إنه معاوية بن أبي سفيان الذي بلغ حبّ السلطة عنده ما لم يبلغ عند أحد من حكام الجور، فمن الطبيعي أن يرى ولده يزيد وهو متسلّط على رقاب الأمة يسومهما الخسف، ويلبسها الذلّة والصغار.

سادساً

لو كان معاوية يوصي بالإمام الحسين عليه السلام خيراً لما أقدم يزيد على أخذ البيعة من الإمام عليه السلام حتى لو كلفته حياته، وهذا ما أفصح عنه «مروان بن الحكم»[(٢)].

سابعاً

ثم أين الرأفة والرحم؟ ومعاوية يلهج، وعلى رؤوس الأشهاد: «وهذا ابن أبي كبشة يصاح به في اليوم خمس مرات، لا والله إلا دفناً، لا والله إلا دفناً دفناً»[(٣)].

فهذه الرسالة لا تصحّ، ولا يمكن نسبتها إلى معاوية بن أبي سفيان، وأرجو من الكتّاب والخطباء ملاحظة ذلك.

---

(١) صلح الإمام الحسن عليه السلام: الشيخ آل ياسين.

(٢) الطبري: أحداث البيعة.

(٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٣/ص١٧٠. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: محمد بن عقيل، ص١٢٤.

استدعاء الإمام الحسين عليه السلام

بعد تسلم يزيد بن معاوية زمام الأمور أقدم على خطوة مشينة حيث أرسل إلى والي المدينة «الوليد بن عتبة» بأخذ البيعة من الشخصيات، وفي مقدمتهم الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، وفي رواية عبد الله بن عمر.

وهذه نصّ الرسالة كما يرويها (الطبري): «أما بعد، فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام»[(١)].

وهذه الرسالة هي الأشهر والأوفق لأنها تنسجم وعنجهية يزيد واستهتاره، ومن الطبيعي أن تكون الرسالة بهذه اللهجة القاسية، وبهذا الأسلوب الفج لأنّ يزيد لا يفهم لغة الحوار ولا يحمل عقلاً يستوعب آراء المعارضين لأنه كما أسلفت نشأ في بيئة قاحلة من أيّ مفاهيم حضارية فبدأ طريقه السلطوي بالقوة والقساوة، ويعدّ هذا الأسلوب في عرف السياسيين خطأً استراتيجياً، فالحاكم عليه أن يكوّن مناخاً إيجابياً حتى يستطيع من خلاله التحرك ومسك الأمور ثم إيجاد الفرص لتمكين لغة الحوار على أكثر من صعيد بالذات على صعيد جمع الكلمة، ورصّ الصفوف، وتثبيت أسس العدل، ولكن أنّى ليزيد أن يفكّر وعقله مشبع بالقيم الجاهلية؟!.

ومثلما أسلفت فإنّه نشأ في بيئة قاحلة من القيم السامية فنشأ صعلوكاً، وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه نظر إلى معاوية يتبختر في بردة حبرة، وينظر إلى عطفيه، فقال صلى الله عليه وآله: «أيّ يوم لأمتي منك، وأيّ يوم سوء لذريتي منك من جرو يخرج من صلبك، يتّخذ آيات الله هزواً، ويستحل من حرمتي ما حرم الله عز وجل»[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري: الطبري، ج٤/ص٢٥٠. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٤/ص١٤. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص١٥٧. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الشيري، ج١/ص٢٢٥.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص١٨٠. نقلاً عن المناقب والمثالب: القاضي نعمان المصري، ص٧١.

فيزيد «جرو» كما وصفه سيد الكائنات ﷺ لأنه نشأ وترعرع بين الكلاب النابحة، وظلّ يزيد جرواً يلهث وراء كلّ عمل حقير، وهذا هو طبع الدنيء.

على كل حال، فإنّ يزيداً طلب من الإمام الحسين عليه السلام البيعة، ولا يحق له ذلك، ونحن نقول:

١ ـ من أين له الحق؟ وقد جاء خلسة وقهراً بحدّ السيف، وأنّى لمعاوية وأصحابه أن يدلوا بدلوهم في أحقية يزيد.

٢ ـ أليست بيعة يزيد إكراهاً؟ وأئمة المذاهب الإسلامية تعدّ البيعة عن إكراه لا قيمة لها، ولا تصح، كما هو واضح في فتوى الإمام أبي حنيفة عندما سألوه عن بيعة أبي جعفر المنصور، فقال: لا تصح.

فمن الأولى أن لا تصح بيعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وهو قد أكره الناس كرهاً لا حدّ له، كما هو واضح في رسالته التي بعثها إلى الوليد بن عتبة.

٣ ـ ما الذي صدر من الإمام الحسين عليه السلام حتى يأخذ البيعة من الإمام أخذاً لا رخصة فيها؟.

٤ ـ ماذا لو ترك يزيد الإمام الحسين عليه السلام، وبعدها يتم التحكيم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ لاسيّما وأنّ الشروط التي اشترطها معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام تنصّ على إرجاع الخلافة بعد موته إلى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

٥ ـ وإذا ظنّ يزيد أنّ الإمام عليه السلام يرفض البيعة، فليس من حقّه إجبار الإمام عليه السلام على البيعة، إذا علمنا أنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام هو إمام المسلمين.

قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

---

(١) علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج١/ص٢١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص١٥٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج٢/ص٧١٧.

وإذا تمعنّا في حديث رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1]، وهو من أشهر الأحاديث بعد حديث الثقلين وأثبتها سنداً.

فأيّ مقام بلغه الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا حتى صيّره الرسول الأعظم محمد ﷺ سيد أهل الجنة، لا شكّ أنه بلغ القمة في أعماله وأخلاقه ومناقبه.

على ضوء هذا الحديث الشريف فإنّ المولى أبا عبد الله الحسين عليه السلام يعدّ الشخصية المثالية، وهو الحجة البالغة على كل من عاش في زمانه بما فيهم يزيد وأبو يزيد، وهذا يكفي في رفض البيعة.

٦ ـ قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»[2].

(١) مسند زيد بن علي: زيد بن علي، ص٤٦١. الأحكام: الإمام يحيى بن الحسين، ج١/ص٤٠. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٤/ص١٢٥. فقه السنة: الشيخ سيد سابق، ج٣/ص٤١٧. نضد القواعد الفقهية: المقداد السيوري، ص٩٨.

(٢) نيل الأوطار: الشوكاني، ج٢/ص٣٢٩. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٦. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٣/ص١٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص١٤٨. مجمع الزوائد الهيثمي، ج٩/ص١٦٣. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص١٧٦. كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم، ص٦٢٩. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ص٣٠٣. المعجم الأوسط: الطبراني، ج٣/ص٣٧٤، وج٤/ص٣٣. المعجم الصغير: الطبراني، ج١/ص١٣١، وج١/ص١٣٥. المعجم الكبير: الطبراني، ج٥/ص١٥٤، وج٥/ص١٦٦، وج٥/ص١٧٠. دستور معالم الحكم: ابن سلامة، ص١٤٦. كنز العمال: المتقي الهندي، ج١/ص١٨٧. تفسير الثعلبي: الثعلبي، ج٩/ص١٨٦. شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ج٢/ص٤١. تفسير البغوي: البغوي، ج٤/ص١٢٥، وج٤/ص٢٧١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج١/ص٣٦. تفسير الرازي: الرازي، ج٨/ص١٣٧. تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي، ج١/ص١١٧. تفسير ابن كثير: ابن كثير، ج٤/ص١٢٢. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج٢٢/ص١٩٥. الأحكام: الآمدي، ج١/ص٢٤٦. الكامل: عبد الله بن عدي، ج٦/ص٦٧. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٥٤/ص٩٢. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٩/ص٣٦٥. معجم المطبوعات العربية: أريسان سركيس، ج٢/ص١٨٤٠. سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج١١/ص٦. السيرة الحلبية:
←

وكما هو ثابت فإنّ هذا الحديث من الأحاديث المتواترة الذي لا يتطرّق إليه أدنى شك، وقد أطبق المسلمون على ذلك، وقد أورده مسلم في (صحيحه)، والكثير من المحدثين[1].

وعلى ضوء هذا الحديث فإنّ الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام يعدّ ميزاناً تقاس على ضوئه جميع أعمال البشر في زمانه.

وهذا ما يوضح معنى الآية: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾[2].

كما وأنّ المقارنة بينهم وبين كتاب الله عز وجل يدلّ على طهارتهم وعصمتهم من كل خطأ، هذا هو مذهب العقلاء والحكماء، فإذا كانوا بهذه المنزلة ويا لها من منزلة، فهم المرجع وإليهم يفيء الجميع بدون استثناء.

٧ ـ إنّ رسالةً تحتوي التهديد والوعيد تدلّ على أن يزيد لا ينوي خيراً، بل هو يبطن الشر بكل معانيه مما أفصحت عنه الأيام.

٨ ـ إنّ السكون المطبق الذي أطل على أهل المدينة يدلل على أن خطب معاوية وأقواله أخذت الكثير من الناس بالذات الذين استظلوا بحكمه الغاشم، وقد عرف معاوية (من أين تؤكل الكتف)، فجاءهم عن طريق اللحية، والجبة، وخطب الجمعة.

والروايات تقول: «أنه كان يبكي في الصلاة حتى تخضلّ لحيته، وكان يخطب بخشوع حتى يظنّ السّامع أنه من أولياء الله الصالحين».

الحلبي، ج٣/ص٣٣٦. ينابيع المودى لذوي القربى: القندوزي، ج١/ص١٠٣. النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج١/ص٢١٧. لسان العرب: ابن منظور، ج٤/ص٥٣٨. القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ج٣/ص٣٤٢. تاج العروس: الزبيدي، ج١٤/ص٨٥.

(١) قبس من نور الإمام الجواد عليه السلام: للمؤلف.

(٢) الإسراء: ٧١.

يقول كنفوشيوس: «إني أكره جعجعة الخطب».

ويقول: «قلّما يكون الشخص ذو الخطب المؤثّرة في المظهر رجلاً فاضلاً»[١].

٩ ـ ثم كيف يطلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، وهو لم يؤمن بها وبكل قيمها، فقد تربّع على العرش وهو لا يتقن حرفاً من كتاب الله العزيز، فقد قضى شطراً من عمره بين الكلاب والقرود، والشطر الثاني بين الغانيات، وفي ليال فاحشة، وكان يلهو.

يقول عنه الشيخ عبد الله العلايلي:

«إذا كان يقيناً أو يشبه اليقين أنّ تربيه يزيد لم تكن إسلامية خالصة، أو بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفاً لما عليه الجماعة الإسلامية، لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها أيّ حساب، ولا يقيم له وزناً، بل الذي نستغرب أن يكون على غير ذلك»[٢].

ويقول عنه الحسن البصري:

«أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة: ابتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلاف ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»[٣]، وقتله حجراً وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه»[٤].

---

(١) عالم الأديان: فوزي محمد حميد، ص٢٣٦.

(٢) سمو المعنى في سمو الذات: الدكتور الشيخ عبد الله العلايلي، ص٥٩.

(٣) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج٥/ص٢١٠. السرائر: ابن إدريس الحلي، ج٢/ص٦٥٩. كتاب الأم: الإمام الشافعي، ج٦/ص٢٧٣. مختصر المزني: المزني، ص١١٤. المجموع: محيي الدين النووي، ج١٥/ ص٣١٠. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج٢/ص٢٦١.

(٤) ينابيع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج٢/ص٢٧. تاريخ الطبري: ج٦/ص٢٥٧.

شبهة ورد

قد يقول قائل: ماذا لو بايع الإمام الحسين عليه السلام يزيد وكفى المؤمنين شرَّ القتال؟.

أقول:

١ ـ لو أنّ الحسين عليه السلام بايع يزيد (والعياذ بالله) لاكتسب الشرعية، وَقَتَلَ المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالبيعة نفسها.

وحتى لو اعترض الإمام عليه السلام لاحقاً على تصرفات يزيد، فإنّ اعتراضه لن يلقي الصدى الكافي، بل ينقلب عليه، باعتبار أنّ الإمام عليه السلام هو أول من بايع فكيف يعترض على «خليفة شرعي»، وليس من حق الإمام ذلك.

٢ ـ لو أنّ يزيداً اكتسب الشّرعية من الإمام عليه السلام لأجهز عليه في زمن قياسي، إذ أنّ يزيد كان يبيّت خطة خبيثة لقتل الإمام عليه السلام في كل الأحوال، وأفضل الأحوال عندما يأخذ البيعة من الإمام (صلوات الله عليه).

٣ ـ أنّ يزيد أراد من البيعة مبرراً لقتل كلّ الشخصيات بما فيهم «عبد الله ابن عمر» الذي «نصح» الإمام من مغبّة الخروج، وفات عبد الله بن عمر أنّ يزيد إنما أراد من البيعة الإجهاز على كلّ الشخصيات في المدينة ومكة والكوفة والبصرة، وكل الأمصار الإسلامية.

وكان ينبغي لعبد الله بن عمر أن يشدّ على يد الإمام عليه السلام ويعاضده في كل مواقفه بما فيها «رفض البيعة»، ولكنّه ألحّ على الإمام عليه السلام، وفات عبد الله بن عمر أنّ قوة الإمام عليه السلام، وقوة عبد الله بن عمر، وغيره من الشخصيات تكمن في رفض البيعة التي تشكّل أقوى سد أمام يزيد.

٤ ـ ويزيد إنما أراد البيعة حتى يمضي قدماً في غيّه واستهتاره ويسحق كل من يعترض عليه.

ونحن نعلم أنه قبل البيعة كان مستهتراً وسادراً في غيّه، فكيف إذا حصل على البيعة، ومن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي أطبقت الأمة على تبجيله واحترامه.

٥ ـ إنّ البيعة من الإمام عليه السلام كانت تشكّل مأزقاً للأمة، فكيف يبايع الإمام عليه السلام «إنساناً» عرف باستهزائه للمقدسات، وانتهاكه للحرمات. فلا شكّ أنّ الناس كانت تحمل «سيئات يزيد» على الإمام عليه السلام، وهذه هي الطامّة الكبرى.

٦ ـ ثم إنّ الذين اعترضوا على الإمام الحسين عليه السلام بعدم البيعة، مثل عبد الله بن عمر، والقاضي ابن العربي في (العواصم من القواصم)، وابن خلدون في (المقدمة)، وأبو حامد الغزالي، وغيرهم، وقالوا: «إن الحسين قتل بسيف جَدِّهِ»، وفي رأي: بـ«شريعة جدّه» كما يقول القاضي في (العواصم).

فإذا كان الإمام عليه السلام قد بايع يزيد، ثم عدا على الإمام عليه السلام فقتله، فإنهم يقولون: «قتل بسيف جده»، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطى صفة الإمام للإمامين عليهما السلام سواءً قاما أو قعدا، فلِمَ قعد «الحسين عليه السلام» وخالف أمر جده رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

فإذن النتيجة عند هؤلاء هو أنّ الحسين عليه السلام قتل بشريعة جده صلى الله عليه وآله بالتأكيد سوف يلقون اللوم على الإمام عليه السلام ما حلّ بالأمة، ويقولون لا ينبغي مثل «الحسين عليه السلام» أن يجلس ويسلم القيادة إلى يزيد، إذن لا يمكن للإمام أن يتخلص من «زعيق» هؤلاء، فهو في كلا الحالتين «قتل بشريعة جده».

وهكذا فهم يبررون عمل الظالم مهما كان غاشماً وقاسياً، ويحمّلون المظلوم الذي نهض في سبيل الحق مهما كان مخلصاً وعالياً.

---

(١) علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج١/ص٢١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص١٥٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج٢/ص٧١٧.

وفي نظري فإنّ هؤلاء يعرفون الظالم حقّ المعرفة.

قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾(١).

ويعرفون أنّ يزيد لا يملك أدنى درجات الشرعية، ومع ذلك يأتي هؤلاء ويطبعون حكمه بالشرعية، ثم يضعون له الأساس القانوني كي يبرّروا ما أقدم عليه، مهما كان ظالماً، إننا إزاء واقع مزري للغاية.

ولكن لماذا هذا التبرير والنكوص من هؤلاء؟:

١ ــ بسبب هنات، قال عمر بن سعد رداً على المولى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «إنما نقاتلك بغضاً منا لأبيك»(٢).

فقد تزاحم البغض والحقد في قلوبهم على أهل البيت عليهم السلام، بالذات على أمير المؤمنين عليه السلام الذي وترهم، وقطع دابرهم، وهدم بنيانهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم.

ويمكن أن نقول أنّ ما قام به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من جهود لإركاس الجاهلين، ونسف مؤامراتهم الدنيئة إزاء الإسلام تظاهي ما قام به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ الكمّ الهائل الذي أودعه الله عز وجل في عقل الإمام، واليقين في قلبه، والصفات السامية في نفسه هي التي جعلته بهذه المنزلة، ويقف بقوة أمام قريش وحلفائها من اليهود. ولا أجافي الحقيقة عندما أقول: إنّ المؤامرات التي تعرّض لها الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعدّ الأولى في حجمها من حيث العدّة والعدد. ولعلّ الحديث النبوي: «ما أوذي نبيٌّ بمثل ما أوذيتُ»(٣)، يشير إلى ما يتعرّض إليه الإسلام.

---

(١) النمل: ١٤.

(٢) مواقف الشيعة: الأحمدي الميانجي، ص١٢٦.

(٣) تدوين القرآن: الشيخ علي الكوراني العاملي، ص٤٢٢. موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام: الحاج حسين الشاكري، ج١٣/ص٩.

إنّ سلسلة الإخفاقات التي مني بها الإسلام، وكثرة الاغتيالات التي طالت الشخصيات العظيمة، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، والإمام أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، والصّحابة المخلصين، لهي أوضح دليل على ذلك.

ونقول: لولا قوة الإسلام، وأصالة قيمه لانتهى وعفى عليه الزمن، لأنّ بقاء المبادئ مرهون بوجود القيادات المخلصة.

٢ ـ إنّ بعض الشخصيات التي أرادت البيعة من الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ليزيد بن معاوية، كانت ضعيفة وتعاني الهزال والخور من الداخل، ووسوسة الهزيمة كانت تنخر في داخلهم، فمن الطبيعي أن لا يتحملوا المواقف الشجاعة، أمثال عبد الله بن الحر الجعفي، وعبد الله بن مطيع، وغيرهم الذين لا يطيقون مواقف تتّسم بالصّلابة والشجاعة، ففاقد الشيء لا يعطيه. وكيف تترقب من إنسان يعاني الهزيمة والخور الشجاعة والصلابة، وتريد منه أن يقف شامخاً وسامياً.

٣ ـ إنّ البعض يريد أن يغطي على ضعفه وهزيمته، فيأتي ويطلب من الآخرين النكوص والهزيمة والركوع، مبرّراً هزيمته بشتى الصور التي لا واقع لها، وهذا ما حدث في المدينة المنورة إبان رفض أبي عبد الله الحسين عليه السلام البيعة ليزيد بن معاوية، فالبعض ممن قعد به الضعف واستمر واضمحلت عنده القوة الكافية لمجابهة الباطل يتحرى المبررات ويتشبث بها، كي يتحرّر من أيّ مسؤولية تأخذ منه جهداً، ثم يحاول أن يوصم من له القوة والشجاعة بالقصور، وشقّ عصا المسلمين، وما شابه من هذه التهم، ونريد أن نذكّر هؤلاء أن الإنسان إذا جابه الباطل ثم وقف أمامه بكلّ جرأة، فسوف ينبجس في كيانه ينبوع البطولة والشهامة، فهناك علاقة جدلية أو قل علاقة طردية بين «المواقف الشجاعة وتدفق البطولة»، ومن ثم يزداد علواً وشموخاً حتى في نظر أعدائِه.

فكلما كانت المواقف عالية ظهرت البطولة وعظم الإنسان، وهكذا إلى أن تظهر البطولة بأعلى صورها.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[1].

والعكس هو الصحيح، فكلما كانت المواقف ضعيفة وهزيلة، فإنّ «عوامل البطولة» تأخذ بالانكفاء والانحسار، ثم تنتهي فيصبح الإنسان في أدنى درجات الضعف[2].

٤ ـ قد يكون سبب تخاذل هؤلاء وتبريرهم شغفهم بـ«المال والرشوة»، فقد عظمت رشوتهم، وتكاثرت أموالهم.

وكما هو ثابت فإنّ المال الكثير يجفّف منابع القوة المعنوية في الإنسان بالذات المعنوية، لذلك فإنّك لا تجد من أتخم بالمال ينفق.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾[3].

والبعض منهم إذا أنفق (لا يرحم) فهو يتبع إنفاقه بالمنّ والأذى باستثناء القليل، فعليه فالحكام السابقون أمدّوا الناس بالمال، فأضحى الثّراء الفاحش ظاهرة طاغية وسبباً من أسباب النقمة على الحكام، مثل ما حدث بين السيدة عائشة والخليفة عثمان بن عفان، وأما ثالث الأثافي فيكمن في تلكأ الكثير عن مجابهة الباطل، وهذا ما حدث إبان حكم معاوية ويزيد، فقد أدخل المال الكثير الترهّل في نفوس أهل المدينة وغيرها فاجتاح منابع القوة وطمرها بالمرة، الأمر الذي أدّى إلى النكول والتخاذل.

---

(١) محمد: ١٧.

(٢) قبس من نور الإسلام: للمؤلف، فصل الشجاعة والاستقامة.

(٣) المعارج: ١٩ ـ ٢٣.

طلب البيعة من الإمام عليه السلام

«وأرسل الوليد في منتصف الليل عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو غلام حدث خلّف «الحسين »عليه السلام و«ابن الزبير»، وإنما بعثه في هذا الوقت لعلّه يحصل على الوفاق من الحسين عليه السلام، ولو سراً على البيعة ليزيد، وهو يعلم أنه إذا أعطاه ذلك فلن يخيس بعهده، ولن يتخلف عن قوله.

ومضى الفتى يدعو «المولى» الحسين عليه السلام وابن الزبير للحضور عنده، فوجدهما في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فدعاهما إلى ذلك، فاستجابا له، وأمراه بالانصراف، وذعر ابن الزبير.

فقال للإمام عليه السلام: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ أظن أنّ طاغيتهم (يعني معاوية) قد هلك، فبعث إلينا بالبيعة قبل أن يفشو بالناس الخبر، فقال: وأنا ما أظنّ غيره فما تريد أن تصنع؟.

فقال عليه السلام: أجمع فتياني الساعة، ثم أسير إليه، وأجلسهم على الباب، إني أخاف عليك إذا دخلت، لا آتيه إلا وأنا قادر على الامتناع.

وانصرف أبيُّ الضيم إلى منزله فاغتسل، وصلى ودعا الله، وأمر أهل بيته بلبس السلاح والخروج معه، فخفوا محدقين به، فأمرهم بالجلوس على باب الدار، وقال لهم: إني داخل، فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليّ بأجمعكم.

ودخل الإمام على الوليد، فرأى مروان عنده، وكانت بينهما قطيعة، فأمرهما الإمام عليه السلام بالتّقارب والإصلاح، وترك الأحقاد، وكانت سجية الإمام عليه السلام التي طبع عليها الإصلاح حتى مع أعدائه وخصومه.

فقال عليه السلام: «الصلة خير من القطيعة، والصلح خير من الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما»[١]، ولم يجيباه بشيء، فقد علاهما صمت رهيب.

ثم إنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام قال للوليد: لماذا دعوتني؟.

قال: دعوتك للبيعة. فقال عليه السلام: «إن مثلي لا يبايع سراً، ولا يجتزئ بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة، دعوتنا معهم كان الأمر واحداً.

وكان الوليد بن عتبة لا يرغب في إجبار الإمام عليه السلام، كما يقول المؤرخون: كان يحب العافية.

فسمح للإمام بالانصراف إلى داره.

فانبرى مروان بن الحكم، فصاح بالوليد: لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبسه فإن بايع وإلا ضربت عنقه.

فردّ الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام على مروان قائلاً: يا ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولؤمت[٢].

ثم أقبل على الوليد، وقال: «أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٤/ص١٥. مقتل الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي، ص٥. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٥٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٤/ص٣٠٠. البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص١٥٧. مقتل الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي، ص٦. كتاب الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي، ج٥/ص١٤.

(٣) كتاب الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي، ج٥/ص١٤. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ص١٧. كربلاء، الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب، ص١٤٩.

وهنا ملاحظات:

١ ـ يؤخذ على الوليد بن عتبة إرساله غلاماً حدثاً لاستدعاء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، وكان ينبغي للوليد الذهاب بنفسه إلى الإمام عليه السلام ، ثم استعراض ما حدث لمعاوية ويزيد بن معاوية.

أما أن يرسل غلاماً حدثاً فهو خطأ، ويجانب الحكمة والصواب.

٢ ـ وكان على الوليد بن عتبة أن يؤجل استدعاء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام لبضعة أيام، ولكن يبدو أنّ الأوامر الصّارمة من يزيد لم تضع هامشاً من الوقت، وقد أخطأ يزيد وحسب أنّ السلطة والقوة تحسم الموقف بهذه السرعة، ومع شخصيات لامعة وكبيرة.

وقد ظنّ يزيد أنّ سكوت الإمام عليه السلام في زمن أبيه، إنما هو لضعف، وعليه أن يسرع في أخذ البيعة، ولكن فات يزيد أنّ بنود الاتفاق المبرم بين أبيه والإمام الحسن عليه السلام ، اضطرت الإمام إلى السكوت وعلى مضض، ولكن يبدو من ظواهر الأحداث أن يزيد لم يطلع على بنود الاتفاق، وحتى لو اطلع عليها فإنه لم يحترمها، كما فعل أبوه من قبل.

٣ ــ إنّ يزيد إنّما أسرع في طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام حتى يستبق الأحداث، ومن ثمّ يقلّص فرص تحرك الإمام عليه السلام على صعيد العمل بالاتفاقات المبرمة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، وكما أسلفنا فإنّ من بنود الاتفاق إرجاع الخلافة إلى الإمام الحسين عليه السلام .

٤ ـ إنّ طلب البيعة بهذه السرعة يدخل في إطار «فرض الهيبة»، وكما هو ثابت في عرف الحكّام المستبدين إنهم «يخلقون الأجواء لفرض الهيبة والسطوة»، وخياراتهم تظلّ

مفتوحة على الوسائل كافة بما فيها «الاغتيالات» لفرض السلطة، وليس القانون، لأنّ السلطان عندهم فوق القانون.

٥ ـ إنّ من يستقرئ واقع السلطة في زمن معاوية يستشف أمراً غاية في الخطورة يكمن في إسقاط المقدسات كلّ ذلك حتى يمكن السيطرة على الناس.

وهذه الخطّة يعمل بها اليهود كما جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون).

وعلى خلفية هذا الواقع الخطير، فإنّ طلب البيعة بهذه الكيفية إنما تستهدف إسقاط المقدسات، والتي أوضح مصاديقها الشخصيات لذلك:

فإنّ البيعة ليزيد عنوان واضح للذلّ، فكان لابدّ للإمام أن يرفض مهما كلّف الأمر، ثم إنّ مروان لام الوليد، وقال: والله لئن فارقك الحسين عليه السلام الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، أحبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام، وقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت. وخرج عليه السلام يمشي ومعه مواليه حتى أتى منزله، فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً.

فقال الوليد: ويح غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحبّ أن لي ما طلعت عليه الشمس، وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وإني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً لما أن قال: لا أبايع، والله إني لأظن أن امرءاً يحاسب بدم الحسين عليه السلام خفيف الميزان عند الله يوم القيامة[1].

---

(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص٣٤. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/٣٢٦. إعلام الورى بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ج١/ص٤٣٥. نفس المهموم: المحقق الشيخ القمي قدس سره، ص٦٤.

توطئة

أجمعت الأمة الإسلامية أنّ الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، نزلت بحق رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام[2].

نقل الثعلبي رواية أم سلمة رضي الله عنها في (تفسيره): «وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها إذ أتته فاطمة عليها السلام بقطعة حرير. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أدعي لي زوجك وابنيك الحسن والحسين. فأتت بهم، فطعموا، ثم ألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كساءً له خيبرياً، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». فنزلت آية التطهير، فقلت: يا رسول الله وأنا معهم؟. قال: إنك إلى خير، ولكنك لست منهم[3].

وقد أثبتُ في كتاب (قبس من نور فاطمة عليها السلام) أنّ آية التطهير تخصّ أهل البيت عليهم السلام، ومن جملة الأدلّة التي أوردتها امتناع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما فيها السيدة عائشة من القول أنها

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) راجع تفاسير: تفسير الثعلبي. الدر المنثور. الزمخشري. تفسير ابن كثير. القرطبي. والكثير من التفاسير، وكتب الحديث.

(٣) مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٦/ص٢٩٢. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج١٢/ ص٤٥١. نظم درر السمطين: الزرندي الحنفي، ص١٣٣. معاني القرآن: النحاس، ج٥/ص٣٤٩. تفسير الثعلبي: الثعلبي، ج٨/ص٤٢. أسباب نزول الآيات: الواحدي النيسابوري، ص٢٣٩. تفسير السمعاني: السمعاني، ج٤/ص٢٨١. شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ج٢/ص٦١. تفسير ابن كثير: ابن كثير، ج٣/ص٤٩٢. الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، ج٥/ص١٩٨. فتح القدير: الشوكاني، ج٤/ص٢٧٩. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج٢٢/ص١٤. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٣/ص٢٠٤. أسد الغابة: ابن الأثير، ج٤/ص٢٩. تهذيب الكمال: المزي، ج٦/ص٢٢٩. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٣/ص٢٨٣. فضل آل البيت: المقريزي، ص٣٠. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج١/ص١٣٦. ينابيع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج٢/ص٢٢٧.

نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله، وكانت هي بأمسّ الحاجة إليها لاسيما وأنها خاضت حرب «الجمل»، وكانت تحتاج إلى دليل يقوي موقفها، كما وأنّ الصحابة برمّتهم أطبقوا على أنّ الآية نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله والسيدة فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، وأوردت دليل زيد بن أرقم كما في (صحيح مسلم) أنّ أهل البيت هم الأولاد وليست الزوجة[(١)].

أسباب رفض البيعة

رسالة الإمام الحسين عليه السلام

«أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرّحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، مثلي لا يبايع مثله»[(٢)].

في هذه الرسالة وضع الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام الأسس المتينة التي على ضوئها رفض كل ألوان الباطل:

«إنّا أهل بيت النبوة»

١ ـ ابتدأ الإمام عليه السلام بأول ميزة سامية، فبيت النبوة يشكّل المركز الفكري والعلمي الذي يبثّ كلّ أنواع المعرفة والعلم، والدليل:

قال تعالى:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم: تفسير آية التطهير.

(٢) كتاب الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي، ج٥/ص١٤. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ص١٧. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج٢/ص٧٨١.

(٣) النور: ٣٦.

وقد اتسم بيت النبوة بالرفعة والسمو لينير الطريق، ويكشف كلّ ألوان الباطل.

وكما هو ثابت في سنن المجتمعات فإنّ أهل المصالح الضيّقة يكيدون للأمم بالذات التي انتهجت طريق الخير، فألف شيطان يتربّص بها ويريد أن يغويها.

وقد تربّص (بيت أبي سفيان الذي هو مأوى الشياطين) بالأمة الفتية، وأراد أن يركسها في الفتنة وكادت لولا بيت النبوة الذي رفعه الله عز وجل حتى يفضح البيوت الفاسدة.

وقد ضمّ بيت النبوة سيد الكائنات، وسيد الوصيين، وسيدة نساء العالمين، وسيدي شباب أهل الجنة.

ويبقى بيت النبوة رفيعاً على مرّ الدهور، ليكشف زيف الباطل، ويمزق سُدفَ البغي كيما يهبط بالأمة في مستنقع الرذيلة.

ثم إنّ بيت النبوة يتسامى ويحلّق ليتحدى طغيان الباطل، فلابدّ من مثال وقدوة ونموذج يكشف ما تحيكه شياطين الإنس والجن.

وبيت النبوة الذي أشار إليه المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام كان مهبط الملائكة في مقدمتهم جبرائيل عليه السلام وكفاه فخراً وسمواً، وممّا لا شكّ فيه فإنّ نزول الملائكة وباستمرار يكمن فيه معانٍ كبيرة وعظيمة، منها القيم المثلى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[1].

(١) فصلت: ٣٠ ـ ٣١.

فالملائكة تتنزّل بقيم الشجاعة والطمأنينة والاستقرار ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[١]، ثم القيمة الكبرى: البشارة بالجنة ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢].

فهذه المعاني الكبيرة ترفع البيت وتسمو به إلى مدارج الكمال الأخلاقي والعبادي، وكلما يرتفع البيت يسمو الإنسان، ويعدّ البيت أفضل مدرسة تهيّأ الإنسان للمجتمع، ويبقى البيت المدرسة الأولى التي تبني شخصية الإنسان بجوانبه كافة، بالذات الجانب الأخلاقي والاجتماعي.

إنّ البيت يساهم في بناء الأسس الأخلاقية والمعنوية فهو يدخل في صميم المشاريع الأخلاقية، ونحن بحاجة إليه بالذات في هذا الوقت الذي شحت المؤسسات، ومنها المدارس من القيم الأخلاقية.

وكان بيت النبوة مفعماً بالمعاني السامية، فالزهراء (عليها السلام) كانت تعلّم الإمامين منذ الصغر «صلاة الليل»، وكيفية التعامل مع الناس، والجلوس مع الكبار، لاسيّما مع سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله، وهذه المعاني الجليلة حفرت موقعاً في قلب الإمامين عليهما السلام فكانا يصدران عنه في كل حين، ويظلّ التوجيه في السنوات الأولى الحجر الأساس في استقامة الإنسان، وتربّى المولى أبو عبد الله عليه السلام في أحضان النبوة والإمامة، وتشبع قلبه بعبقهما، فكيف يهادن ويسلم القيادة إلى الأذلاء من بني أمية، وقد حاول بنو أمية أن ينالوا من بيت النبوة، وإذا كنا نعتبر وقلما نعتبر، فدولة بني أمية، وبني العباس أتوا بكيدهم، وألقوا بحبالهم وعصيهم، فسحروا أعين الناس واسترهبوهم.

ولكن خسئت محاولاتهم، وارتدّوا صاغرين.

---

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) فصلت: ٣٠.

لقد حاول حكام بني أمية وبني العباس النيل من البناء الشّامخ الذي قام على أسس التقوى.

وفي نظري فإنّ محاولات حكام بني أمية وبني العباس هي الأخطر من نوعها في تاريخ الأمم، فقد أرجعوا الأمة إلى الجاهلية الأولى.

يقول طه حسين: «وعاد العرب في عهد بني أمية إلى شر مما كانوا فيه في جاهليتهم من التنافس والتناحر القبلي»[1].

إذ لم يتعرّض دين مثلما تعرض الإسلام إلى محاولات تحريفية وتخريبية جرت على أيدي من يدّعي الإسلام وهو منهم براء.

إن أخطر وسيلة يمكن أن تنطلي على الناس هي «الدين»، فإنّ من يتلبّس بالدين يمكن أن ينفذ ويحقق مآربه حتى إذا نفذ يترك أثراً سيئاً للغاية لأنّه يمسّ المقدسات، والناس بطبيعتها تحترم المقدسات، وتؤمن من يأتي عبرها، لذا فهي تصدق من يحمل مسوح الإيمان.

ولكن الويل إذا انكشف الواقع، فإنّ أول الضحايا هو الدين.

على كل حال فإنّ بيت النبوة الذي أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام يعدّ العامل الأول في رفض كلّ ألوان الباطل.

والإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام عندما يورد عبارة «إنا أهل بيت النبوة» فهو الأولى في تحمّل مسؤولية الحفاظ على الدين (فصاحب الحمل أحق بحمله).

٢ ـ ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الثمرة من الشجرة الطيبة الثّابت أصلها، فمن الطبيعي أنها تحمل خصائص الثبات والأصالة والطيب، فلا يمكن أن تشذ قيد أنملة.

---

(١) الأدب الجاهلي: طه حسين، ص١٣٥.

٣ ـ وطالما الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيت النبوة، فليس هناك من يدانيه في هذه المرتبة فهو الأحق والأجدر في الدفاع عنها وتَحمّل ما يخصّ الرسالة المحمدية، وعليه تقع مسؤولية الدفاع عن هذا البيت الرفيع الذي خصّه الله عز وجل بمزايا فريدة.

٤ ـ والإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام عندما ينسب نفسه إلى بيت النبوة إنما يريد أن يثبت حقيقة واضحة أنّ هذا البيت يأبى الذلّ والخضوع لأنه حلقة الوصل بين السماء والأرض، فهو الأمين في نقل وصايا السماء إلى الأرض، فكيف يهادن الباطل، ويساوم الظالم.

ثم إنّ هذا البيت هو الحلقة الأخيرة في سلسلة الأنبياء والأوصياء، فلابدّ أن يكون جامعاً للقيم الإلهية حتى يمكن أن يوصلها ويتواصل بها، وفي أقصى درجات الكمال.

٥ ـ ثم من هو يزيد حتى يمكن أن يتواصل أهل البيت النبوي معه، ويمدّ جسور التفاهم، إنّ بيت أبي سفيان لا يفقه معاني العزّة والكرامة والشهامة، فهو استمرأ الخسّة والضّعة واللؤم حتى عشعش في كل زواياه، الأمر الذي أدّى به إلى أن يكون نموذج الخسة والضعة.

لذلك فهو يريد للإمام أبي عبد الله عليه السلام أن يكون كما يريد، ويأبى الله ذلك للإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام لأنه تخرّج من بيت النبوة الذي جمع كلّ مزايا الشهامة والبطولة والرجولة.

قال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[1].

---

(١) النور: ٣٧.

إنهم رجال، ونعم الرجال، فتأبى شهامتهم الخضوع حتى لو أتت الدنيا بأجمعها، والشياطين بخيلهم ورجلهم، وهؤلاء الرجال إنما انطلقوا في تحديهم لأنهم وجدوا الأساس المكين في البداية، وهي تؤثّر كثيراً في النتائج لأنّ النتائج تتبع أخس المقدمات.

وقد تلعب البداية في بعض الأحيان دوراً حاسماً في حجم النتائج، وكلما كانت البداية قوية تكون النتائج كبيرة وباهرة، وفي بعض الأحيان تفوق «التصور».

وهكذا ربط الباري عز وجل بين البداية السليمة والنتائج.

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾[1].

٦ ـ إنّ بيت النبوة لا يخرج إلا الرجال، قال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[2].

ومن سنن الحياة أنّ الكبير يبقى كبيراً، وذلك حتى يتسنى للآخرين اقتفاء أثره، ويملك القدرة على اجتياز العقبات، وكما هو ثابت فإنّ الحياة مطبوعة على الكدر ومفعمة بالصعاب، وما لم يجد الإنسان رجالاً أقوياء فلا يمكنه اجتيازها لاسيّما وأنّ هناك من يحاول استنساخ نهج أبي سفيان، ومعاوية، ويزيد.

فلابدّ من وجود الكبار حتى نعرف حجم «الصغار»، إننا لا نعرف الجمل إلا عندما نرى ضدّه، ومن ثمّ لا نرى حجم الكبير إلا إذا عرفنا مقياس الكبر والصغر، ولا

---

(١) الإسراء: ٨٠.

(٢) النور: ٣٦ ـ ٣٧.

نعرفها ما لم نتطلع إلى «قيم الشهامة والبطولة والشجاعة»، وهذه الخصال ارتسمت تماماً في سلوك أبي الضيم الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فالإمام أعطى دروساً في «جامعة كربلاء» ظلّت تشعّ رواءً، وتلألأ في سماء البطولة والفداء والشهامة.

وهكذا تزينت سماء البطولة بهذه الدروس العملاقة التي رفعتها كربلاء.

«معدن الرسالة»

هو الموضع الأصيل للرسالة المحمدية، فالمعدن هو الأصل.

وبحق فإنّ بيت النبوة هو الموضع الأصيل للرسالة المحمدية التي اكتملت به جميع الأديان من لدن آدم عليه السلام، وإلى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ الموضع الذي تنطلق منه رسالة السماء لهو من أشرف وأطهر المواضع، فقد تعاهدها جبرائيل، وظلّلها ميكائيل، وعطّرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبق النبوة، فجاءت الرسالة بأرفع صورها وأسمى معانيها لأنها قامت على أسس متينة.

ومن معدن الرسالة ينطلق الحق ليدحر الباطل، وما لم ينطلق الحق من معدنه لا يستطيع أن يجابه قوى الشر، ثم إنّ الحق لا يكتسب قوته الحقيقية إلا من معدنه، فلكل معدن صفة به يتميز ومنه يأخذ صورته الحقيقية كشجر الزنور، فما لم ينبت في أرضه لن يعطي ثماره الحقيقية.

ولن تنبت الرسالة المحمدية إلا في معدن بلغ القمة في السمو والشموخ، حتى تعطي ثمارها الحقيقية، والمعدن تجسد في الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فاتسع ليتواصل مع أهل البيت عليهم السلام، ومن قبل اتصل مع الأنبياء عليهم السلام.

قـال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(١)].

وهكذا اتصلت الحلقات من آدم عليه السلام ، وإلى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، وهي أرفع وأقوى الحلقات ، ثم اتصلت الحلقات لتتسلسل في الأئمة من آل البيت عليهم السلام ، فكان المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام الذي أشرقت فيه ، فكانت الحلقة التي أوثقت سلسلة الأنبياء وأحكمتها ، ثم أوصلتها بالأئمة عليهم السلام .

جاء في (المراجعات) وبسند رفيع :

عن سلمان المحمدي ، قال :

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فإذا الحسين بن علي على فخذه ، وهو يلثم فاه ، ويقول : «أنت سيد ابن سيد ، أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو الأئمة ، وأنت حجة الله وابن حجته وأبو حجج ، تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم»[(٢)].

وقد يتأكّد المعنى في قول رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله في ولده الإمام الحسين عليه السلام : «حسين مني وأنا من حسين»[(٣)].

---

(١) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) الإمامة والتبصرة: ابن بابويه القمي، ص١١٠. المراجعات: العلامة المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين، ص٢٢٧.

(٣) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٢٧. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٣٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٧/٧٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨/ص٢٣٣. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٤/ص١٧٢. سنن الترمذي: الترمذي، ج٥/ص٣٢٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ ص١٧٧. تحفة الأحوذي: المباركفوري، ج١٠/ص١٩. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٥٧٥.

وقد ثبّت المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام «المعدن»، وأعطاه المعنى الحقيقي عندما رفض بيعة يزيد بن معاوية، والتي أراد يزيد من خلالها «قتل الإسلام والإجهاز على قيمه»، ومن ثم إرجاع القيم الجاهلية التي قبرها رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد تهيأت أسباب الرفض للإمام الحسين عليه السلام، ومنها «معدن الرسالة» التي تمكنه من الوقوف بحزم وثبات، لذلك لا يمكن للإمام عليه السلام أن يستجيب ليزيد «القرود والكلاب».

إنّ مهادنة يزيد كانت تشكّل خرقاً فاضحاً لكلّ القيم الأصيلة، ومنها «معدن الرسالة»، وهكذا فإنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما رفض البيعة دلّل بشكل قاطع على أصالة «المعدن»، وسموّ الرسالة.

وكما هو ثابت في علم الحضارة أنّ رفض الباطل والوقوف أمامه بقوة يُصغّره، وكلما يتسامى الرفض ويقوى يتصاغر الباطل ويندحر.

من هنا فإنّ رفض الإمام أبو عبد الله عليه السلام جعل باطل يزيد يتصاغر وينكفئ وينحسر عن ربوع الدولة الإسلامية ليعيش في أضيق مساحة، حتى كاد أن ينهزم في عقر داره «الشام».

لذلك دبّر «يزيد» مؤامرة التخلص من الإمام بأسرع وقت، وبشتى الأساليب، فأوفد الكثير، وأعطى المزيد، عسى أن يقمع الرفض، أو على الأقل «يوقفه». ولكن ظلّ الإمام الحسين عليه السلام «يصدح بالحق، ويرفض بيعة يزيد»، مما أعطى زخماً متواصلاً للأمة لتستعيد عافيتها، وتثيب إلى رشدها.

ولعلّ انتقال الإمام عليه السلام إلى مكة يأتي في إطار «الرفض الواسع» الذي توخّاه الإمام عليه السلام، لأنّ مساحة الرفض كانت تشكّل أهمية استثنائية، ومن ثمّ تهيأ الأجواء لإسقاط العرش السفياني قبل أن يقدم على مجزرة كربلاء، وهكذا استبق الإمام الحسين عليه السلام

وأخذ يصعد من وتيرة الرفض بعد أن أرسل مسلم بن عقيل (صلوات الله عليه)، وسوف نأتي إلى أحداثها. إنّ رفض البيعة من قبل الإمام عليه السلام وانتقاله إلى مكة بثلّة قليلة من أهل بيته يدلّل بوضوح إسقاط «هيبة الحكم السفياني»، فإن الإمام عليه السلام كان يتحاشى «السيف».

ولم تكن عند الإمام عليه السلام «النية» لرفع السيف في وجه يزيد، وإن كان من حقّه ذلك لأنّ يزيد كان يتربّص به، وينوي القضاء عليه في كلّ حين، وليس أدلّ على ذلك من الرسالة التي وجّهها إلى ولاته في المدينة ومكة.

فيزيد عقد العزم في مواجهة الإمام عليه السلام عاجلاً أم آجلاً، وكان ينوي القضاء عليه في كلّ الأحوال حتى لو بايعه كما ذكرنا، فإنّ يزيد كان مشبعاً بروح الانتقام، وكانت وصية معاوية بن أبي سفيان مكتوبة على صفحة «قلبه» قبل أن تكون مكتوبة على الورق.

وكان أيضاً مدفوعاً «بسكرة الملك» التي أعمت بصيرته، فكان لا يرى إلا ملك أبي سفيان حتى لو أراق دماء جميع الأنبياء والأوصياء فالذي يجرأ على قتل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام لا يتورّع من قتل جميع الأنبياء والمرسلين، وقد قتلهم عندما أقدم على قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وفي نظري فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما يذكّر السلاطين والأمة الإسلامية بقتل الإمام الحسين عليه السلام إنما يؤكد على حقيقة واضحة تكمن في انتهاك السلسلة النبوية، ومن جانب إذا كان الباري عز وجل يعدّ قتل الإنسان هو قتل الناس جميعاً.

قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، فكيف بقتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام؟! أنا أضع هذه الملاحظة أمام العالم.

---

(١) المائدة: ٣٢.

«ومختلف الملائكة»

وهذه ميّزة أخرى اختصّ بها أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم أجمعين)، فاختلاف الملائكة على بيت الرحمة يجعله رفيعاً بمعنى الكلمة.

وفي مقدمة من اختلفوا إليه «جبرائيل وميكائيل وإسرافيل»، والروايات تثبت أنّ جبرائيل نزل وبشّر النبي محمد صلى الله عليه وآله بسموّ بيته.

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾[١].

وكان جبرائيل يختلف إليه مراراً وحينما ولد المولى الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام نزل جبرائيل باسمه من بارئ الكون، ومرّ على «الملك فطرس» الذي عطّل جناحيه، فتعلّق بين السماء والأرض، وعندما إلتقاه جبرائيل عليه السلام، قال له فطرس: أرى السماء تزينت ما الذي حدث؟.

قال جبرائيل: الآن ولد لمحمد المصطفى ذكر. قال: ما اسمه؟.

فقال جبرائيل: «الحسين».

فقال فطرس: لقد وقع في قلبي، أسألك بالله أن تطلب الشفاعة لي بحقه.

فنزل جبرائيل، وقصّ على رسول الله صلى الله عليه وآله، فتوسّل رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمام أبي عبد الله عليه السلام أن يرد عليه جناحيه، فرجعت[٢].

---

(١) النور: ٣٦.

(٢) دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري، ص١٩٠. تفسير نور الثقلين: الشيخ الحويزي، ج٤/ص٣٤٨. الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي، ص٣٣٩. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، ج١/ ص٢٥٢. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٣/ص٢٢٩. مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني، ج٣/ص٤٣٧. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٢٦/ص٣٤١. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١٨. الأنوار البهية: الشيخ عباس القمي، ص٩٩. شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري، ج٢/ص٢٦٠. جامع أحاديث الشيعة: السيد ←

قال الشاعر:

لمهـدك آيـات ظهـرن لفطـرس وآيـة عيـسى أن تكلـم في المهـد

فإن ساد في أم فأنت ابن فاطمة وإن ساد في مهد فأنت أبو المهدي(١)

إنّ بيتاً تختلف إليه الملائكة لخليق أن يتألق في كل حين، ويسمو بقدر سمو المعاني التي كان ينزل بها جبرائيل وميكائيل.

ثم إنّ نزول جبرائيل عليه السلام وهو مَلَك قد أكتنز قوة هائلة.

قال تعالى في جبرائيل: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾(٢)، فأيّ قوة كان يضخّها في بيت النبوة لاسيّما وأنّ جبرائيل كان ينقل ما يحدث للنبي صلى الله عليه وآله في حياته وبعد مماته (صلوات الله عليه)، وثبت أنّ حديث القوي يزرع القوة، ويلهم الإنسان، ويفجر فيه ينابيع «القوى الروحية».

وجبرائيل عليه السلام هو الملك الذي وكل بالأنبياء من لدن آدم عليه السلام وإلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وهذه الميّزة وفّرت لجبرائيل عليه السلام قوة إضافية، وهذه أسباب معنوية شكّلت روافد شقّت طريقها إلى بيت النبوة.

ومع مكانة جبرائيل عليه السلام وعلو منزلته كان ينزل ويهزّ مهد الإمام أبي عبدالله عليه السلام، ويخدمه حتى قال أبو نواس شاعر أهل البيت المفترى عليه كذباً وزوراً، قال وهو يمدح الإمام الرضا عليه السلام، وقد تقلّد ولاية العهد:

البروجردي، ج١٢/ص٤٥٣. مسند الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ عزيز الله العطاردي، ج١/ص١٤٥. معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ج١٧/ص١٦٧. بشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري، ص٣٣٨.

(١) لأحد شعراء كربلاء.

(٢) التكوير: ٢٠ ـ ٢١.

قيل لي: أنت أشعر الناس طراً في فنـــون الكـــلام البديـــهِ
لـك مـن جـوهر الكـلام بـديعٌ يثمـــر الـــدرّ في يـــدي مجتنيـــهِ
فعلام تركت مدح ابن موسى والخـصال الـتي تجمّعـن فيـهِ؟
قلت: لا أستطيع مدح إمامٍ كـان جبريـل خادمـاً لأبيـهِ(١)

وإذا كان البعض يضيق ذرعاً من نزول الملائكة على أهل بيت النبوة والرسالة عليهم السلام، والبعض يستعظم ذلك ويستكثرها، فإنّ الملائكة نزلت على مريم أم عيسى عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(٢)، والسيدة مريم عليها السلام كانت من النساء العابدات.

والملائكة عليهم السلام تنزل على الذين استقاموا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾(٣) فالملائكة بنصّ الآية وليُّ المؤمن في الدنيا والآخرة.

والسؤال هو: لماذا ذكر المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام «الملائكة» واختلافها؟.

لا شكّ أن نزول الملائكة وفي مقدمتهم جبرائيل عليه السلام يدلّ على أنّ بيت النبوة يجسّد العلاقة الوثيقة بين السماء، وبين بيت النبوة عليهم السلام. ثم إن نزول الملائكة واختلافها إنما يؤكّد حقيقة لا مراء فيها خلو البيت الطاهر من رجس الشيطان.

---

(١) أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج٥/ص٣٤٧. بشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري، ص١٣٣. موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام ـ : الحاج حسين الشاكري، ج١٣/ص٥٢٤. تاريخ الإسلام: الذهبي، ج١٣/ ص٥١٣.

(٢) آل عمران: ٤٢.

(٣) فصلت: ٣٠ ـ ٣١.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وإذا كانت أجواء البيت النبوي الذي ترعرع فيه الإمام (صلوات الله عليه) مفعمة بقوة جبرائيل عليه السلام وعبيره وقد استنشقه الإمام عليه السلام منذ الصغر فتشرب قلبه بحب الله عز وجل منذ الولادة، فكيف يجنح إلى المهادنة والمساومة؟.

وقد ثبت في علم النفس التربوي: إنّ الذي يتربّى طويلاً في أحضان الفضيلة والمثل السّامية لا يستمرئ القبائح، بل يستوحش منها ويظلّ يعشق كل ما هو حسن وجميل.

وثبت أيضاً: أنّ الذي يحتضن القيم المثلى في سنيّه الأولى يعشقها كبيراً، وتظلّ تكبر في عينيه كلّما تقدّم به العمر حتى إذا بلغ أشدّه يكون أشدّ ميلاً ليصبح مثالاً في تجسيدها.

وثبت أيضاً: أنّ الصفات الحسنة عندما يعشقها الإنسان إنما تنسجم مع الفطرة التي جُبلت على حب الخير، فبقدر عشقه تظهر الفطرة بأجلى صورها. ثم إنّ العشق ينشر الصفات في مساحات واسعة في كيان الإنسان، فتضحى كلّ خلية تنطق بالصفات، لذلك فإنّ الخالق جلّ وعلا يستنطق جلد الإنسان في يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[2].

ممّا يدلّ على اكتناز خلايا الجسم، كل ما هو قبيح وحسن، ولكن يبقى عشق الإنسان للصفات الطيّبة أعمق وأوسع لأنّ الإنسان جُبِلَ على حب الخير والفضيلة.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[3].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) فصلت: ٢١.

(٣) الحجر: ٢٩.

فالنفخة الإلهية فيها ما لا يحصى من الخير، ومن جانب تشكّل دليلاً على «فطرة الإنسان السليمة».

ثم ذكر اختلاف الملائكة على بيت النبوة، ومعدن الرسالة، إنما يضع حداً لمن يتقوّل على أهل البيت عليهم السلام، فالبعض يريد من الإمام عليه السلام الدخول في بيت «الوضيع» يزيد بن معاوية.

عجباً لهؤلاء كيف يستسيغون الحديث ومهادنة «يزيد القرود والفهود»، ويترعونه حديثهم بالتبريرات الواهية لبيعة من حرمت عليه الخلافة بنصّ الحديث النبوي صلى الله عليه وآله وسلم.

أخرج ابن مردويه، عن عائشة، أنها قالت لمروان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأبيك وجدك (أبي العاص بن أمية): «إنكم الشجرة الملعونة في القرآن»[(١)]، ومعاوية بن أبي سفيان منها.

جاء في تفسير الآية: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾[(٢)]، كما في تاريخ الطبري وشرح النهج: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى أبا سفيان مقبلاً على حمار، ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به، قال: «لعن الله الراكب والقائد والسائق»[(٣)].

وروى العلاء بن حريز القشيري، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاوية: «لتتخذنّ يا معاوية: البدعة سنة، والقبيح حسناً، أكلك كثير، وظلمك عظيم»[(٤)].

---

(١) عمدة القاري: العيني، ج١٩/ص٣٠. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩/ص٢٢٠. النزاع والتخاصم: المقريزي، / ص٢١. السيرة الحلبية: الحلبي، ج١/ص٥١٠. الدرّ المنثور: جلال الدين السيوطي، ج٤/ص١٩١.

(٢) الإسراء: ٦٠.

(٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٠/ص٢٩٦. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٥/ص١٧٥. تاريخ الطبري: الطبري، ج١١/ص٣٥٧.

(٤) تاريخ الطبري: الطبري، ج١١/ص٣٥٧. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٤/ص٧٩.

وجاء في (تاريخ الطبري): إنّ رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي. فطلع معاوية»[(١)].

ويكفي الحديث الذي نقله مسلم في (صحيحه): «من خلع الطاعة وفارق الجماعة ميتته جاهلية»[(٢)].

ومعاوية خلع طاعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم فارق الجماعة، فهو مات ميتة جاهلية، وعلى غير ملة رسول الله ﷺ.

جاء في (صحيح مسلم): عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة شبراً ومات، مات ميتة جاهلية»[(٣)].

وجاء أيضاً: «ليس أحد خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»[(٤)].

وعن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»[(٥)].

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٣/ص٢٠٩. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٥/ص١٧٦. تاريخ الطبري: الطبري، ج٨/ص١٨٦.

(٢) المبسوط: الشيخ الطوسي، ج٧/ص٢٦٣. المجموع: محي الدين النووي، ج١٩/ص١٩٠. روضة الطالبين: محي الدين النووي، ج٧/ص٢٧١. مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني، ج٤/ص١٢٤. المغني: عبد الله بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة، ج١٠/ص٤٩. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٣/ص٢٥٨. نيل الأوطار: الشوكاني، ج٧/ص٣٥٨.

(٣) صحيح البخاري: البخاري، ج٨/ص٨٧. صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج٦/ص٢١. عمدة القاري: العيني، ج٢٤/ص١٧٨. إرواء الغليل: محمد ناصر الألباني، ج٨/ص١٠٥. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، ص٤٢٩.

(٤) معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص١٥٠. الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: أحمد حسين يعقوب، ص٤١٣. الشيعة هم أهل السنة: الدكتور محمد التيجاني، ص١٨.

(٥) مواهب الجليل: الحطاب الرعيني، ج٨/ص٣٦٧. حاشية الدسوقي، ج٤/ص٢٩٨. المحلى: ابن ←

«بنا فتح الله، وبنا ختم»

وهذه ميّزة أخرى يثبتها الإمام (صلوات الله عليه)، فقد فتح الله عزّ وجل برسول الله محمد ﷺ أبواب الرحمة التي كانت موصدة أمام الأمم، فجاءت الرحمة، ونزلت البركات على الأمم التي عانت الجدب العلمي والفكري والأخلاقي ردحاً طويلاً، وغفت على الذلّ والمهانة، حيث كانت «مذقة الشارب ونهزة الطامع، أذلة خاسئين، يتخطفهم الناس من كل جانب، فأنقذهم برسول الله محمد ﷺ»[١]، وجعل منهم أمة تتنفس عبير الكرامة والشموخ فصارت تفهم معاني الحياة وتستوعب أصولها الحقيقية تاركة وراءها الأحقاد والإحن الجاهلية.

ثم إن النبي ﷺ فتح باب العلم والحكمة والآداب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

ومن قبل فإنّ الأبواب كانت موصدة، والسبل غائمة، والحياة يلفّها الظلام، حتى بات الإنسان لا يبصر أبعد من قدميه، ومما يؤسف له أن الأمة الإسلامية بعد رحيل النبي الكريم ﷺ أصيبت بقحط علمي مروع، بعد أن ضربها زلزال الانقلابات المتتالية بعد رسول الله ﷺ الذي استطاع بكل قوة أن يفجّر أنهار المعرفة في كل واد،

حزم، ج١/ص٤٦، وج٩/ص٣٥٩. نيل الأوطار: الشوكاني، ج٧/ص٣٥٦. السنن الكبرى: البيهقي، ج٨/ ص١٥٦. فتح الباري: ابن حجر، ج١٣/ص٥. تحفة الأحوزي: المباركفوري، ج٨/ص١٣٢. رياض الصالحين: يحيى ابن شرف النووي، ص٣٣٦. تفسير ابن كثير: ابن كثير، ج١/ص٥٣٠. أضواء البيان: الشنقيطي، ج١/ ص٢٩.

(١) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج١/ص١٣٦. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٢٩/ص٢٢٤.

(٢) الجمعة: ٢.

وأن ينعش العقل الإسلامي الذي اعتراه الإعياء، وإلى تسميد التربة الإسلامية بما يساعدها على الإخصاب والازدهار، وذلك بإمداد لا ينقطع من المعرفة الشاملة، والثّقافة المتعدّدة الأنواع.

قال العلماء وأصحاب الفكر:

«إنّ الفتح الذي حقّقه رسول الله ﷺ أزاح الستار عن العقول، فكبرت كي تستوعب القيم التي جاء بها رسول الله ﷺ، وبهذا الفتح والإنجاز أحدث نقلة نوعية في مسيرة الأمم، بعكس الكثير من القادة، فديدنهم الاستحواذ وتصغير العقول كي يُجَيِّرونهم للسطوة والقوة.

ورسول الله ﷺ وسّع الآفاق أمام العقول ممّا سهّل كثيراً في استيعاب المثل العليا والقيم السامية، وقد سلك إلى النفوس مسلكاً قلّ أن تجد له نظيراً إذ ربطهُ بالرحمة والرأفة.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ومن ثم جاء إلى القلب فضخّه بالإيمان حتى يطمئن.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2].

والقلب كما هو ثابت في علم النفس التربوي لا يطمئن إلا بالإيمان، وهذا ممّا أشار إليه «الكسيس كاريل» في كتابه القيّم (الإنسان ذلك المجهول)، وبهذه الأعمدة

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) الرعد: ٢٨.

الثلاثة أقام النبي الأكرم ﷺ شخصية الإنسان، وأعطاها قوة تستطيع بها أن تقف أمام أعتى قوة في العالم.

لذلك عندما نأتي إلى حياة الصحابة الأجلاء، فإنّنا نطلّ على عالم كبير مفعم بالصّفحات المضيئة.

يروى أنّ النبي ﷺ في يوم من الأيام كان جالساً مع أصحابه، فجاء إليه أعرابي وأمسكه من ثوبه.

ثم قال: يا محمد إني بعتك فرساً ولم تدفع إليّ ثمنه.

فقال ﷺ: هذه لي وقد خرجت إليك من ثمنها.

فقال الإعرابي: كلا، وإذا كان كذلك فهل عندك من يشهد؟.

تقول الرواية: فوقف «خزيمة»، قائلاً: يا رسول الله أنا أشهد بأنك دفعت له الثمن.

فقال له النبي ﷺ: من أين علمت؟ أحضرت ابتياعي لها؟.

قال: لا، ولكن علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله، يا رسول الله إنني أشهد من حيث أعلم أنك صادق، أنت نبي الله، وقد برهنت لنا بالأدلة على ذلك، وبرهنت لنا بالمعاجز على صدق نبوتك، أتيتنا تخبرنا بأخبار السماء، وقدمت لنا البراهين والأدلة على ذلك، وقد صدقناك على أخبار السماء، فكيف نكذّبك على قول إعرابي (بوّال على عقبيه).

تقول الرواية: فقال النبي ﷺ: «قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٦/ص٢٧٤. اللمعة البيضاء: التبريزي الأنصاري، ص٧٩٣. الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، ج٤/ص٩٦.

إنّ هذه الصفحة المشرقة تترجم بوضوح قوة الإيمان وتكامل العقيدة، وكما هو ثابت في علم النفس التربوي: أنّ قوة الإنسان تنبع من إيمانه بعقيدته، فلو ملكها لامتلك ينبوع القوة التي بداخله، ثم لا تظهر شخصية الإنسان إلا عندما تجتمع الأعمدة الثّلاثة: الإيمان والأخلاق والحكمة.

ثم إنّ الإمام أشار إلى مسألة مهمة وهي «وبنا ختم»، ويشير بها إلى القائم من آل محمد ﷺ، وبما أنّ الله فتح أبواب الرحمة برسوله ﷺ فلابدّ أن يختمها بوصيّه القائم عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وفقاً لقانون «لكل بداية خيرة نهاية طيبة».

جاء في (سنن ابن ماجة)، و(سنن الترمذي): قال النبي ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يظهر رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً»[(١)].

---

(١) الإمامة والتبصرة: ابن بابويه القمي، ص١١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، ج١/ ص٢٩٧. كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، ص٢٨٠. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ج٤/ص١٧٧. كفاية الأثر: الخزاز القمي، ص٢٨١. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج١/ ص٩٩. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ج٢/ص٩٢٩. سنن أبي داود: ابن الأشعث السجستاني، ج٢/ص٣٠٩. عون المعبود: العظيم آبادي، ج١١/ص٢٥١. حديث خيثمة: خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ص١٩٢. موارد الظمآن: الهيثمي، ج٦/ص١٢٩. تفسير الرازي: الرازي، ج٢/ ص٢٨. الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، ج٢/ص٣١٠. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج١٨/ص٢٠٦. طبقات المحدثين بأصبهان: عبد الله بن حبان، ج٣/ص٩٥. ذكر أخبار أصبهان: الحافظ الأصبهاني، ج٢/ ص١٩٥. تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون، ج١/ص١٣٢. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول عليهم السلام ـ : الزرندي الشافعي، ص١٨٩. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصبّاغ، ج٢/ص١١٠٩. سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج١٠/ص١٧٢. ينابيع المودى لذوي القربى: القندوزي، ج٢/ص٢١٠.

فإذا كان الفتح الأول على يد رسول الله ﷺ، فلابدّ أن يكون الفتح الثاني على يد وصيه عليه السلام.

ومن جانب توحي عبارة الإمام عليه السلام أنّ هناك انقلابات تترى على الأمة بحيث ترجع بها القهقرى يضرب بعضها رقاب بعض، كما جاء في (البخاري: باب الارتداد).

ولعلّ أخطر الانقلابات التي حدثت في التاريخ هي بعد وفاة النبي محمد ﷺ إذ جعلت الأمة تغرق في مستنقع البغضاء والإحن وتكون شيعاً بعد أن أقصت القادة الحقيقيين من آل البيت عليهم السلام، وشكّل هذا البعد مأزقاً حقيقياً جعلت الأمة تدخل في نفق مظلم، ولحد هذه اللحظة، وسوف تستمر المأساة إلى أن يظهر الإمام الحجة عليه السلام ويطوي صفحة المأساة التي ألّمت بالأمم.

إنّ المآسي التي تلفّ الأمم أخذت تتفاقم، وتأخذ حجماً مخيفاً منها أزمة الفقر، وهي من الأزمات الخطيرة التي تكلف الإنسانية ما لا يحصى من المشاكل بالذات المشاكل الأخلاقية، وقد حاولت الدول إصلاح هذا الخلل المتفاقم، إلا أنها فشلت إذ لم تمتلك المنهج الإصلاحي، وحتى لو امتلكت فإنّها لا تملك الإرادة، فالأغنياء (٢٥ نفراً) في العالم لا يدعون أي خطوة إصلاحية في هذا الاتجاه.

وقد ظهرت الأزمة بوجهها القبيح في أفريقيا إذ في كلّ سنة يموت من الأطفال (٩ ملايين)، وقد أخذ الرقم يتصاعد ليس في أفريقيا وإنما في كل دول العالم بما فيها الثريّة، مثل أمريكا، وهكذا تتجه الإنسانية نحو الهاوية، فلابد من مصلح يأتي حتى يطوي صفحة المأساة المروّعة، وبات العالم كله الآن بدأ يترقّب المصلح من آل البيت عليهم السلام، وهو القائم الحجة محمد بن الحسن (صلوات الله عليه).

صفات يزيد

ثمّ يردف الإمام ، ويعرج على صفات يزيد، ويقول: «ويزيد رجل فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق»، لقد بيّن الإمام صفات يزيد المخزية التي لا تقبل التغطية والطلاءات، ولكنّ البعض يريد أن يغطي هذه الصفات المخزية فيمدح من تشربت كل خلاياه بالفسق والفجور، وأيّ شيء ترجو فيمن استبد به التعصب ومن رجل شبّ على الفسق والفجور، ويكرع كؤوس الخمر منذ فتح عينيه في بادية الشام، فيزيد تربّى على الفسق حتى تشرّب قلبه، ثم عشش في كلّ خلايا جسمه فبات لا يرى إلا الفسق ولا يتنفس إلا به، ثم هو صار يتباهى بما هو عليه حتى جعله عنواناً عريضاً لحكمه الغاشم.

جاء في (البداية والنهاية): «وقد روي أنّ يزيد كان قد اشتهر بالمعازف، وشرب الخمر، والغناء، والصيد، واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش، والدباب، والقرود، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً، وكان يشدّ القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه، وقيل أن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته، وذكروا عنه غير ذلك»[1].

وجاء أيضاً: «قال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا ابن عائشة، عن أبيه، قال: كان يزيد في حداثته صاحب شراب، يأخذ مأخذ الأحداث، فأحسّ معاوية بذلك، فأحبّ أن يعظه برفق، فقال: يا بني ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك

(١) البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، ج٨/ص٢٥٨. الإكمال في أسماء الرجال: الخطيب التبريزي، ص٥٣. رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ: السيد لطيف القزويني، ص١٣٣. الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي، ص١٥٥.

من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك، وتُشَمِّتَ بكَ عدوك، ويسيء بك صديقك، ثم قال: يا بني إني منشدك أبياتاً، فتأدّب بها واحفظها.

فأنشده:

أنصب نهاراً في طلاب العلى	**واصبر على هجر الحبيب القريبْ**
حتى إذ الليل أتى بالدجى	**واكتحلت بالغمض عين الرقيبْ**
باشر الليل بما يشتهي	**فإنما الليل نهار الأديبْ**
كم فاسق يحسبه ناسكاً	**قد باشر الليل بأمر عجيبْ**
غطّى عليه الليل أستاره	**فبات في أمن وعيش خصيبْ**
ولذّة الأحمق مكشوفةٌ	**يسعى بها كل عدو مريبْ**[(١)]

جاء في مبادئ علم النفس التربوي:

«إنّ الإنسان في الصغر بإمكانه أن يتعلم الكثير، ويصوغ شخصيته على وفق ما يتلقى، كما بيّنه «برتراند رسل» في كتابه (التربية)، ثمَّ إذا عاش في جو موبوء يحاول أن يثبت مقدرته على المحاكات، ويتقمّص من يهواه، ويظل الإنسان في الصغر يجنح إلى تقليد من يميل إليه بقوة حتى في نطق الكلام».

وهذا ما كان من يزيد فقد تقمّص شخصية معاوية بكل سيئاتها مما جعله المثل الأعلى، وقدوته المثلى، والرجل الأوحد، فأضحت سيئات معاوية في عين يزيد مثلاً راح يجسّدها في حياته، ومما ساهم في هذا الأمر تسلّمه للخلافة، حيث وفّرت فرصاً للتعلق بسيئات معاوية.

وقد أعد معاوية يزيداً ليكون الخلف السيء «للخط السفياني».

---

(١) الموضوعات: ابن الجوزي، ج٣/ص٢٧٨. الوافي بالوفيات: الصفدي، ج٢٤/ص٥١. البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، ج٨/ص٢٥٠.

وفي نظري فإنّ معاوية هو الذي أعدّ يزيداً، وصاغ شخصيته بهذا الشكل الهزيل، كي لا يقيم وزناً للمثل العليا، والشخصيات الرفيعة، وفي مقدمتهم الإمام المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام، وعبد الله بن عباس، وغيرهم.

فيزيد تشبّع بالرذائل سواءً كان في بيت معاوية، أو في بيت أخواله، لذلك انعدمت فيه عوامل التقييم السليم، وقواعد الأخلاق التي على أساسها يفرز السليم من القبيح.

وقد هيّأ معاوية الأجواء تماماً ليزيد حتى يحكم، ويقضي على الرموز العملاقة، التي ليس لها مثيل ولا غرابة فهو ينطلق من عقلية تشبّعت بقيم الجاهلية التي لا تعرف معنى للكبار ولا للقيم المثلى، ويزيد صفحة سوداء في تاريخ البشرية وليس في تاريخ الإسلام حسب، ولا أعرف أمةً هبطت كالأمة الإسلامية حين تولى عليها يزيد وقبعت في مستنقع الذل والمهانة.

ولكن بما أنّ معاوية كان يريد للبيت السفياني وللشجرة الخبيثة البقاء، فكان لابدّ أن يهيّأ الأسباب ليزيد حتى يتسنّى له القضاء على كل من يعترض سبيل الخلافة والسلطة الغاشمة.

وبالفعل فعندما تربّع يزيد، وصار ملكاً، أخذ على عاتقه الإجهاز على الشخصيات التي يحسب لها حساب، وفي مقدمتهم الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام، وعلى القيم التي تضخّ روح التضحية والفداء في عروق الأمة، وإذا كنّا نتحدث عن استهتار يزيد، فإنه تعمّد ذلك، وكان يرى فيه أسباباً للقضاء على هذه الرموز المرموقة، فالاعتراض من قبل الرموز يشكّل خرقاً لدستور آل أبي سفيان، وسلطة العائلة الحاكمة، فإذن لابدّ من أن تقمع هذه الأصوات، وتضرب بيد من حديد كل ذلك تحت

ستار «الحفاظ» على وحدة المسلمين، وعلى خليفة المؤمنين، هذا ما كان يزعق به وعاظ السلاطين، ولكن أنّى للسكوت أن يكون والخطر قد أحاط بالأمة والدين.

لهذا فإنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام كان يرى السكوت عن يزيد تعطيلاً لحكم الله، ومخالفاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من رأى منّكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا بقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»(١).

إنّ الإمام عليه السلام ارتأى من واجبه القيام بوجه يزيد الفاسق، والقاتل للنفس المحرمة، ولكن قيامه جعل الكثير من الشخصيات التي تسكن المدينة تتريّث وتحجم لأنها كانت ترى فيه خرقاً لدستور آل أبي سفيان، وشقاً لعصا المسلمين(٢).

ولكن ماذا يصنع المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام؟ وهو يرى يزيد قد جمع كل صفات الرذيلة، وهو يتربّع على عرش «السلطة» والمجتمع الإسلامي، يعاني من أزمات «أخلاقية» جعلت الكثير منهم ينسون الصلاة والصيام والخمس والزكاة، كما ذكرها ابن عباس لأهالي البصرة.

وكان ينبغي لأولئك النفر الذين اعترضوا سبيل الإمام التسليم لأمره، أو على الأقل التشاور معه في سبب الرفض، ولكن لم يجد الإمام عليه السلام تجاوباً وأيّ شكل من أشكال التعاون، وكأنّ يزيد كان ينطق عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٥٠٥. الأمالي: الشيخ المفيد، ص١٢٢. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٨٢. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٢٣٢. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٩٢. معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص١٩٠.

(٢) راجع أقوال عبد الله بن عمر، ومروان بن الحكم، وشريح القاضي.

ما بالهم يعترضون على الحق؟ ويسكتون عن الباطل، وكأنّه الحق؟.

أين أولئك الذين اعترضوا على وصيّ رسول الله ﷺ، وقاموا باعتراضات مسلّحة أنهكت الأمة، وجعلتها مسرحاً يرتع فيه الجاهلون حتى إذا تربّع معاوية ومن بعده يزيد أسلسوا لهم القياد، وبلغوا فيه حداً لم يبلغوه مع رسول الله محمد ﷺ وسيّد الأوصياء علي عليه السلام.

ويا ليتهم وقفوا عنّد التسليم، ولكنهم ألبسوه لباس الدين، فقالوا: إنّ يزيد خليفة، والخارج عليه خارج على رسول الله ﷺ[1].

ثم أين أولئك الذين قاموا بوجه الإصلاحات التي نهض بها الوصي أمير المؤمنين عليه السلام؟ وهم يعلمون أنّ الإصلاحات التي نهض بها الإمام عليه السلام إنما تدخل في صميم العملية الإصلاحية، وقائمة على الدستور، وعلى حفظ حقوق الإنسان.

لقد غارت الألسن، وتلاشت الكلمات، وكأن لم تكن في قاموس العرب معاني العزة والكرامة والشهامة، ومقاومة الظالم، على كل حال فإنّ الإمام أبا عبد الله عليه السلام صنع خطاً أحمراً أمام كل سلطان جائر وأرسى مفاهيم سامية تتضمن مفردات الرفض ومقاومة كل من تسوّل له نفسه اللعب بمقدّرات الأمة والدين.

ثم حرك مشاعر الأمة لتنهض وتقاوم حتى لو كلفها حياتها، فحياتها لن تكون أعزّ من حياة ونفس سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

وهكذا يعلّمنا الإمام عليه السلام درساً في المقاومة أن لا سبيل إلى السكوت إذا كان السلطان فاجراً وجائراً، ومعلناً بالفسق، ويقتل النفس المحرمة، وأن لا مهادنة إزاء الباطل بحجة أنّ الدماء لها حرمة.

---

(١) راجع أقوال شريح القاضي، وعبد الله بن عمر.

وإذا كنّا نعتبر من دروس كربلاء فإنّ من أعلى دروسها تحدّي الباطل حتى لو ملأ الدنيا، لأنّ الباطل مهما امتلك من أسباب القوة يظلّ هزيلاً أمام الحق وصغيراً أمام الرجال.

إنّ من القوانين الثابتة في ديننا «المقاومة» كلما كانت المقاومة أقوى وأعز نفراً ينكفئ الباطل وينحسر ذليلاً، وكلما اشتدت المقاومة وأخذت بأسباب النصر الإلهي تتضاعف قواها وتشتد عزيمتها ثم لا تأبه لأكبر قوة شيطانية.

ومن القوانين الثابتة كلما تقدم الحق خطوة يتراجع الباطل خطوتين، أما إذا تراجع الحق وضعف عن المقاومة فإنه يعطي للباطل جرعة فيأخذ القوة من تراجع الحق لا من الباطل، لأنّ الباطل لا يملك القوة الذاتية.

وهل هناك أقوى من الشيطان؟ فالشيطان يملك من الذرية بقدر عدد البشر أو أكثر كما في الروايات، وأطول عمراً إذ جاء مع أبينا آدم عليه السلام وهو حي، وقد يطول آلاف السنين، وعنده من التجارب ما لا تحصى، ويتحرك في الغيب، ولكن عندما يقابل المؤمن يقول الباري عز وجل: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[1].

فإذن لا أحد أقوى من المؤمن ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[2].

وفي آية أخرى وباعتراف الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3]. وهذا اعتراف صريح للشيطان بعدم قدرته على غواية المؤمن فيكفي دلالة.

---

(١) النساء: ٧٦.

(٢) الحجر: ٤٢.

(٣) ص: ٨٢ ـ ٨٣.

ثم إنّ الباطل جبان في كل الأحوال، فهو لن ينازل المؤمنين إلا في قرىً محصّنة أو من وراء جدر، قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ﴾[1].

ثم يقول المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام: «وقاتل النفس المحرّمة» أو في رواية «المحترمة». ويقصد نفسه المحترمة، لأن يزيد كان يقصد الإمام الحسين عليه السلام في كل الأحوال.

فيزيد عقد العزم على ذلك حتى لو بايع الإمام (صلوات الله عليه) كما أسلفنا، ولربما بيعة الإمام عليه السلام كانت تسهل كثيراً عملية القتل، لأنّ البيعة كانت تعطيه العذر الشرعي، وتوفّر غطاءً شرعياً يحلم به، فالبيعة معناها تمكين يزيد شرعياً من تولي زمام الأمور.

قد يقول قائل: وكيف يذكر الإمام عليه السلام القتل ويزيد بعد لم يتولى ذلك؟.

والجواب: إنّ إقدام يزيد على قتل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام يفصح عن نوايا يزيد، ويكشف عمّا كان يبطنه إزاء الإمام عليه السلام.

وكيف لا يقدم وهو ابن آكلة الأكباد معاوية بن أبي سفيان الذي قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، والكثير من صحابة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومئات الألوف من الأبرياء في الأنبار وهيت والمدينة.

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه (هموم داعية) وهو يصف حكم معاوية الجائر:

«كيف بلي المسلمون بأولئك الرؤساء؟.

---

(١) الحشر: ١٤.

كيف وصلوا إلى مناصبهم؟.

هل ناقش الفقهاء الطرق التي وصلوا بها إلى الحكم؟.

هل كانت هناك أجهزة تشير عليهم وتضبط أعمالهم؟.

هناك حكام ارتدوا بتعاونهم مع الصليبيين، فهل أعلن ارتدادهم؟.

وكيف تمرّ خيانة عظمى بهذه السهولة»[1].

لقد بليت الأمة بحفنة من المجرمين الذين ضربوا أسوأ الأمثلة في القتل والغدر والختل حتى أضحت الدنيا تعجّ بجرائمهم، والتاريخ يقطّر خزياً وعاراً من أعمالهم الشنيعة.

نرجع، ونقول:

إنّ يزيداً كان يروم قتل الإمام عليه السلام في كلّ الأحوال، وكان أهون عليه إذا كان قد بايعه، ويبدو أنّ المخطط الأموي كان يروم استئصال أهل البيت عليهم السلام في كلّ بقعة يتواجدون فيها، وفي مقدمتها «المدينة المنورة»، وحاول يزيد قتل المدينة ومكة بقتله الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فالمخطط الإجرامي تضمن إبقاء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في المدينة حتى يجهز عليه، ثم يتخذ القتل ذريعة لأعماله الشنيعة تباعاً، ومنها سبي أهل البيت عليهم السلام.

فقتل النفس المحترمة هي نفس المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وإذا كان يزيد قد استمرأ الخمرة والفجور، ونكح الأمهات والعمات، وفتح المواخير في مكة والمدينة، فأي شيء يردعه عن قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام، بل لا يرى غضاضة في أيّ جريمة تطالها يده.

(١) هموم داعية: محمد الغزالي، ص٤٤.

إنّنا جرّبنا الحكام إنهم ينسفون في لحظة واحدة كلّ القواعد والمبادئ بما فيها مبادئهم، وأقول لقد قتل الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام يوم تولى معاوية، وجعل الحكم لعبة بيد الصبيان والغلمان، وهكذا تهيأت أسباب قتل «العظماء» حين تولى الصبيان، وتعد ولاية الصغار أفضل طريقة لقتل «الكبار»، فجاء يزيد ليتولى هذه المهمة، فأخذ يلعب بمقدّرات الأمة، بشكل مريع فلا عجب أن يقدم على جريمته النكراء بقتل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، بل العجب أن لا يقدم.

لأنّ «صغار العقول» لا يمكنهم استيعاب مفردات العظمة والسمو، فعقولهم تضيق في استيعاب هذه المفردات فتراهم يسفون، حين يسمو الكبار، ويوغلون في «السفه» حين «تسمو معاني العظماء»، ويبقى «العظماء» قذى في أعين الصغار، وشجى في حلقهم.

إنّ صغار العقول «أمثال يزيد، ومن لفّ لفهم»، يشعرون بالضّعة كلما شاهدوا كبيراً يسمو، وعظيماً يتألق.

من هنا فإنّهم يجنحون إلى أساليب وضيعة للغاية كي يسدلوا الستار على «عظماء الأمة»، وهم لا يعلمون أنّ الستائر تنقلب عليهم قبل العظماء، قال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1]، ولأنّ العظيم يتحول إلى قانون وسنّة من سنن الحياة التي هي قائمة على قواعد متجذّرة في عمق الحقيقة فلا يمكن للصغار نسخ العمالقة.

وحتى لو حاول الصغار تصغير الحياة وسلخ قوانينها الأساسية، فإنّ محاولاتهم تبوء بالفشل، إنّ محاولات يزيد الرعناء ساهمت في تحذير السنن الحياتية من حيث لا

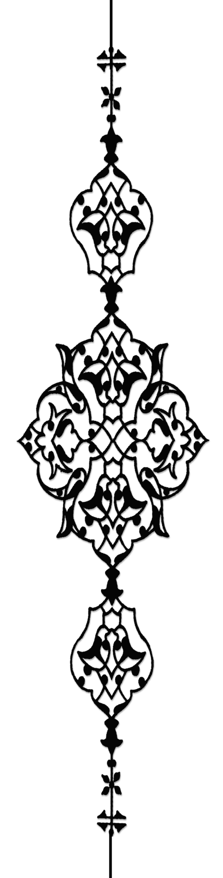
---

(١) الأنفال: ٣٠.

يـشعر، فهـو أراد أن يـذبح القـيم في كـربلاء، وإذا بهـا تتجـذّر، وتمـدّ عروقهـا بعيـداً، فلامست الحقيقة، فتجلّت صورها واضحة في ملحمة كربلاء، فكبرت وصارت عنواناً عريضاً صار فوق الزمان والمكان، وهكذا هي كربلاء فهي تكبر إذا ناجزها الصغار، وتعلو من يحاول السطو عليها، فهي الآن أكبر مما سبق، وسوف تكبر إلى أن تأخذ حجمها الحقيقي في دولة الإمام الحجة عليه السلام.

وثمّة لقاء حار بين نهضة كربلاء، ودولة القائم من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن يظن أنّ كربلاء تصغر فإنّه لا يفهم معنى قيام الإمام الحجة عليه السلام، ولا يستوعب ثورته المباركة، فإنّ كربلاء أعدّت لقيام الدولة العالمية بقيادة الإمام الحجة عليه السلام.

فكربلاء تكبر كلّما امتد الزمن لأنها المقدمة الأساسية لهذه الدولة.



الفصل السابع

لماذا خذل أهل المدينة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

عاشت المدينة المنورة ردحاً طويلاً في أتون الانقلابات، فقد ضربها زلزال الانقلابات بعد استشهاد الرسول الأعظم ﷺ، وظلّت المدينة تعاني من آثاره، فما إن نفضت جسمها من عناء الزلزال الذي حدث بعد رسول الله محمد ﷺ حتى ضربها زلزال «بيعة الفلتة» الأولى على حد تعبير عمر بن الخطاب.

ثمّ حلّ بها الخطب الكبير (تعيين ستة من الصحابة) لينتخبوا خليفة، الأمر الذي شتّت أمر الأمة، وجعلها شِيعاً.

وقد ضربت الانقلابات المتتالية ظلالاً سوداء على مجتمع المدينة وباقي المجتمعات، فجعل أهلها يعانون من «القحط الأخلاقي والعلمي».

ومن جانب فإنّ الانقلابات فتحت شهية الكثير، وأطمعتهم في الخلافة حتى بات الواحد منهم يفكّر بألف وسيلة في تقمّصها، وهكذا مَنَّى الكثير نفسه بالخلافة كالزبير، وطلحة، ومعاوية، ومروان، وعبد الرحمن، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم ممّا جعلهم يستغلّون الوسائل كافة للوصول إلى السلطة، بما فيها احتلال مكة، وعصيان الإمام المنتخب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

وقد تحوّلت أرض المدينة من جرّاء الانقلابات إلى أرض خصبة لنمو الأفكار المتطرفة، وبروز ظاهرة الاستئثار والطغيان عند الطبقات العليا.

وكما هو ثابت في علم النفس الاجتماعي، فإنّ الانقلابات المتكرّرة تجعل الإنسان يتقلّب في مزاجه، ويميل إلى الأفكار المتطرفة، وإلى منقذ حتى لو تلبّس بالدين،

ومن جراء الوضع القائم الذي لف المدينة جعل جَوَّها ملتهباً، فأثّر سلباً على أخلاق ساكنيها، فجعله متقلّب المزاج، ولا يرسو على قرار سليم. وكما هو ثابت في علم النفس الاجتماعي، فإنّ الجو الملتهب يخلق مزاجاً ملتهباً ومتقلباً.

لذلك فإنّ المجتمعات التي تعاني من اضطرابات سياسية تئنّ كثيراً من الأزمات الأخلاقية والاجتماعية والثقافية، وتضحى بؤرة لنمو الأفكار المتطرفة، وأصبح مجتمع المدينة يعاني من آثار الانقلابات حتى نضبت فيه ينابيع الثقافة والعلم والأخلاق، فكان سبباً في تخلّف مجتمع المدينة عن ركب القادة الحقيقيين، ويتنكّر تماماً لهم مما يثير الدهشة، ويبعث على الأسى، وهو بالأمس احتضن سيد الكائنات محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد عمل رسول الله صلى الله عليه وآله بما فيه الكفاية لرفع منسوب الثقافة والأخلاق والحكمة، فأصبحت المدينة «حاضرة العالم» ولكن الذي حدث أن انقلبت فأصبحت قفراء، وكأن لم يكن هناك «عظيم» جاءها، وأرسى فيها صرح الإسلام العظيم.

إنّ المدينة وبفترة قياسية تنكرت لمبادئ الإسلام، وقطعت كل الجسور معه فتحولت إلى حاضنة لمجامع نفعية لا يهمّها إلا مصالحها الشخصية، وهكذا احتضنت أفكاراً جاهلية بعيدة حتى عن القيم العربية، وعلى خلفية هذا الواقع الذي لفّ المدينة وغيرها من الأسباب تركها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام واتخذ الكوفة عاصمة له.

ولا يعني هذا أنّ الأئمة (صلوات الله عليهم) تنكّروا للمدينة، وإنما أرادوا إبعادها عن المؤامرات والانقلابات، ومن ثم إيجاد الفرصة كي تلملم جراحاتها لأنها أضحت مرمى الأعداء، بالذات من معاوية فهو أعدّ خططاً لإسقاطها وإخراجها من خارطة العالم الإسلامي، بدليل كثرة الهجمات التي شنّها عليها بقيادة المجرم بسر بن أرطاة الفهري[1].

---

(١) الطبري، وابن الأثير.

فانتقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة:

أولاً: كي لا تصبح «بؤرة»، ومن ثمّ تعود آثارها سلباً على حرمها.

ثانياً: فإنّ رواسب المؤامرات والانقلابات جعلتها مهيأة لاحتضان الخطط الخبيثة.

ثالثاً: فإنّ أرض المدينة تقريباً شحّت من الكوادر الكفوءة التي بإمكانها أن تساهم في العملية السياسية التي رسم خططها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهناك عوامل أخرى، فإذا توصلنا إلى هذه النتيجة، نقول:

إنّ أهل المدينة المنورة في نظري هم أول من خذل الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وتعود الأسباب:

أولاً: تشبّع جوّ المدينة بالأفكار التي أفرزتها الحكومات التي توالت عليها بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فالمناخ السائد في المدينة كان سلباً إزاء أهل البيت عليهم السلام، وما كان ليساهم في أيّ شكل من أشكال الدعم لثورة أبي الضيم عليه السلام إن لم يكن متخاذلاً.

ثانياً: كثرة التحوّلات والتقلّبات التي حدثت في المدينة جعلتها مسرحاً لأفكار المناوئين لأهل البيت عليهم السلام مما أثّر سلباً في نفوس أهلها، فجعل الكثير منهم يقف بقوة أمام أيّ تحوّل لصالح أهل البيت عليهم السلام. وفقاً للقاعدة الإجتماعية «الناس على دين ملوكهم»، و«الناس أشبه بملوكهم من آبائهم».

ثالثاً: السلطات التي جاءت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أشبعت عقول الناس بأفكار غريبة، علماً أنّ عقول الكثير منهم لم تتشبع بالفكر السليم، ولم تجد الفرصة في استيعاب الإسلام لذا أصبحت المدينة بعيدة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»[1].

---

(١) الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي، ج٢/ص٥٧٤. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٤/ص٢٩٧.
←

فأهل المدينة الذين احتضنوا النبي ﷺ لم يحفظوا رسول الله ﷺ في أهل بيته عليهم السلام ، فسرعان ما ضيّعوا وصية رسول الله ﷺ ، ويعدّ هذا الأمر خرقاً فاضحاً لقوانين الأخلاق والشيم العربية ناهيك عن القيم الدينية.

وكان الأحرى بأهل المدينة أن يحفظوا حرمة رسول الله ﷺ ، وعلى ذمّته ، ولكنّ الذي حدث بعد وفاته يعدّ مأساة بما للكلمة من معنى ، فضيّعوا وصية رسول الله ﷺ برمّتها ، وبذلك فإنّ المدينة من لحظة استشهاد الرسول الأعظم ﷺ لم تعد المكان المناسب لأيّ تحرّك جدّي نحو إعادة معالم الدولة الإسلامية ، ومما يؤسف له أنه لم تظهر دراسات مهمة تفسر سبب هذا التغيير.

على كل حال ، أصبح واضحاً لكل مراقب أنّ المدينة خذلت المولى أبا عبدالله الحسين عليه السلام ، ومن قبل خذلت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من مرّة ، فليس بالإمكان الاعتماد عليها ، ويعدّ الخذلان السمة البارزة لأهل المدينة ومكة فيما يخصّ حقوق أهل البيت عليهم السلام .

جاء في (شرح نهج البلاغة) ، عن أبي جعفر الإسكافي : «أما أهل مكة فكلهم كانوا يبغضون علياً ، وكانت قريش كلها على خلافه ، وكان الجمهور مع بني أمية»[1].

إذا كان أهل مكة يبغضون الإمام علياً عليه السلام لأنه وترهم ، وقتل ذؤبانهم لأجل الإسلام ، ولكن ما الذي حدا بأهل المدينة يثاقلوا إلى الأرض ، ويقلبوا ظهر المجن بصورة لا تقلّ بشاعةً عن أهل مكة؟ بل في نظر النقّاد يتصرّفون مع أهل البيت عليهم السلام ، وكأنهم غرباء عن ملة الإسلام ، حتى قيل أنّ أهل المدينة نسخوا تاريخهم مع رسول الله ﷺ .

مستدرك سفينة البحار : الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، ج٨/ص٥٧٩. مكاتيب الرسول ﷺ : الأحمدي الميانجي ، ج٣/ص٧٣٠. شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، ج٤/ص١٠٤.

(١) كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي، ص٢٩٨. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٤/ ص٢٩٧.

وممّا يثير الأسى فإنّ أهل المدينة لم يؤثّر عنهم موقفاً يصحّح مسيرتهم، ويعيد تاريخهم النّاصع، ويضعهم على الجادة المستقيمة مع أهل بيت النبوة عليهم السلام، فظلّت المدينة تعاني من عقدة الرواسب، ولعل السبب يعود كما ذكرنا إلى الأحداث المفاجئة التي حدثت بعيد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، ممّا أحدث هزّة عنيفة في عقائد الكثير، فظهرت ردّة فعل عكسية عبّرت عن نفسها في التنكّر لكل حقائق الإسلام، ومنها حق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة، لذلك فالإمام الحسين عليه السلام لم يعوّل على أهل المدينة.

رابعاً: إنّ أهل المدينة استمرءوا الحياة المرفهة بفضل الفتوحات التي حولّتها إلى «مخزن كبير للثروات»، وحوضٍ يجمع إليه كلّ روافد المال، فسرت موجة الترهّل، ممّا جعلها تستقبل بسهولة فجور يزيد، وهناك ارتباط وثيق بين الترهّل والمجون.

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[1].

خامساً: وجود الطبقة «الارستقراطية»، وكانت تشكّل عائقاً كبيراً في نصرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد لعبت دوراً قاسياً في تثبيط المجتمع المدني، وتجفيف همته، كل ذلك حتى لا تتعرّض مصالحهم للخطر.

وقد أدركت هذه الطبقة أنّ أيّ تحرك في اتجاه مقاومة الطاغية يزيد سيجرّها لاحقاً باتخاذ موقف يتسم بالقوة، وهذا ما لا تريده لأنها لم تضع في حسابها نجاح التحرك الحسيني، فكانت تتوقع انكفاء النهضة الحسينية، أو أي تحرك من قبل النّاقمين على يزيد لذلك فهي سعت بكلّ جهدها لتثبيط أهل المدينة بما تملك من وسائل بما فيها الاعتراض والتشكيك في أيّ تحرّك باتجاه الطاغية يزيد، إنّ الطبقة الارستقراطية سعت بكلّ جهدها للوقوف أمام أيّ محاولة اصلاحية حتى لو صدرت من كبار القوم هذا من جانب، ومن

---

(١) العلق: ٦ ـ ٧.

جانب آخر فإنّها حركت أعوانها للاتصال بعبد الله بن عمرو ليثني المولى أبا عبد الله الحسين عليه السلام عن النهوض بمسؤوليته الشرعية.

وبذل عبد الله بن عمر جهداً لكنه اصطدم بشرعية النهضة الحسينية التي قامت على أساس ديني وأخلاقي، وما كان ينبغي لعبد الله بن عمر أن يتحرك على هذا الصعيد، لاسيّما وهو يعرف أهداف الإمام الحسين عليه السلام.

ويعرف حجم الخطر الذي يمثّله تحرّك يزيد بن معاوية، فقد تسلم السلطة وهمه تثبيت الخط السفياني الذي أركسه الإسلام، وكاد أن يقضي عليه لولا «مؤامرة السقيفة» التي وفّرت المناخ لتنفس الخط السفياني الصعداء، ومن ثم يقوي تباعاً ليسيطر على أرجاء الدولة الإسلامية بما فيها مكة والمدينة، وكانت إحدى الأسباب في تخاذلهما.

والغريب في الأمر أنّ أهل المدينة ومكة ينحون باللائمة على أهل الكوفة بنكوصهم وخذلانهم الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام.

فهذا عبد الله بن عمر يلتقي بأحد العراقيين عندما يسأله عن دم البعوض، فيقول عبد الله لأصحابه: سبحان الله يسألني عن دم البعوض، وهم قد قتلوا الحسين بن علي عليه السلام.

ونسأل عبد الله بن عمر: وأنت ماذا فعلت إزاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى تستشكل على أهل العراق؟.

كان يمكن لعبد الله بن عمر أن يعمل الكثير، أو على الأقل يعمل في اتجاه نصيحة يزيد بن معاوية بدل أن يقف بكلّ قوة أمام تحركات أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، حتى أخذ يتعرّض لثورة الإمام عليه السلام ولأهل الكوفة، ويعيب عليهم الاستمرار، وإذا كان أهل الكوفة قد خذلوا الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام، فإن منهم من نصره وبيّض وجه الكوفة بعد أن سوّدها عمر بن سعد الأموي، وشبث بن ربعي، والحجّار بن أبجر، وقيس بن الأشعث.

فالكوفة إن خذلت الإمام الحسين عليه السلام إذا صحّ الخذلان لكن لماذا أهل المدينة ومكة خذلوا الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام وهم سنام العرب، الذين حاموا الذمار، فضلاً عن وجود المهاجرين والأنصار الذين شكلوا «حواضر» مهمّة احتضنت الكثير من الحلقات العلمية. وكان يمكن لهذه المدن أن تمدّ يد العون للإمام الحسين عليه السلام، وتنهض بمسؤولياتها، ولكنها اثّاقلت إلى الأرض، ثم غفت على أعتاب دنيا معاوية ويزيد.

وهذا بالضبط ما يحدث الآن، فإنّ بعض الإخوة من السنة يتطاول على أتباع أهل البيت عليهم السلام، ويلصق بهم تهماً رخيصة من قبيل أنّ الشيعة قتلوا الإمام الحسين عليه السلام، ثم أخذوا يبكون ويقيمون مجالس العزاء.

أولاً: إن الإمام الحسين عليه السلام ليس إماماً للشيعة، وإنما هو إمام المسلمين قاطبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله (وأشار إلى الحسين عليه السلام): «أنت سيد ابن سيد، أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو الأئمة، وأنت حجة الله وابن حجته وأبو حجج، تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم»[2]. وقال صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين»[3].

(١) علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج١/ص٢١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص١٥٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج٢/ص٧١٧.

(٢) الإمامة والتبصرة: ابن بابويه القمي، ص١١٠. المراجعات: العلامة المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين، ص٢٢٧. منهاج السنة: ابن تيمية، ج٤.

(٣) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٢٧. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٣٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٧/٧٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٨/ص٢٣٣. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٤/ص١٧٢. سنن الترمذي: الترمذي، ج٥/ص٣٢٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ ص١٧٧. تحفة الأحوذي: المباركفوري، ج١٠/ص١٩. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٥٧٥.

وقال رسول الله ﷺ: «أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة»[1].

فالإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام إمام لكل المسلمين، من هنا فإنهم يتحمّلون قسطاً وافراً من المسؤولية في إحياء الشعائر الحسينية، والاحتفاء بثورته المباركة، ومعرفة قيمها فهذا الأمر ليس مختصاً بالشيعة وإنما لكل المسلمين ولهم الشرف بذلك.

أما أن يأتي أحدهم ويقول: لماذا الشيعة يقيمون المآتم وهم قد قتلوه، فهذا هراء ويجافي المنطق والواقع.

ثانياً: إذا كانت الشيعة تقيم مجالس العزاء على ذكرى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إنما تُريدُ بهذه المجالس إبقاء الروح الحسينية في جسد الأمة وهي بأمسّ الحاجة إليه لاسيّما إذا عرفنا حجم المؤامرات، وكثرة التيارات الفاسدة التي تهب عليها، والتي تعدّ بعضها قاسية وممضة.

ومن جانب فإنّ مجالس الحسين عليه السلام تترجم بوصفها روح المسؤولية، وعمق الإيمان، وكما هو ثابت في سنن المجتمعات، فإنّها تقيم احتفالات دورية كبرى لشخصياتها كلّ ذلك حتى تبقّي آثارها حية في نفوس أجيالها، وبعدها تمضيها سنة في حياتها، وهذه ظاهرة باتت واضحة في المجتمعات لاسيّما المتقدمة منها.

فمثلاً الشنتوية: «وهي الدين الأصيل في بلاد اليابان، وتعني كلمة الشنتوية الطريق إلى الآلهة وهي تقوم على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة»[2].

---

(١) المحتضر: حسن بن سليمان الحلي، ص١٨٠. كشف الغمة: ابن أبي الفتح الأربلي، ج٢/ص١٢٩. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج١/ص٦٦٦. الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجوري، ج٢/ص٣٦٣. جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني العاملي، ج٢/ص٢٠٨. الأسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي، ص١٧٨.

(٢) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة: فوزي محمد حميد، ص٢٥٣.

فقلّما نجد أمة لا تقوم بإحياء ذكر شخصياتها إلا إذا أرادت الأمة أن تموت، فالقانون السّاري في حياة الأمم يكمن في إحياء الذكريات العظيمة، والتي تتّخذ أشكالاً عديدة منها إنشاء المتاحف، وعقد مؤتمرات ومسيرات، وها نحن نشاهد المتاحف في دول عديدة تزخر بمنجزات عظمائها ومآثرهم.

وبعض المتاحف تحتفظ حتى بملابس عظمائها، لا بل بأبسط مستلزمات عيشهم، ممّا يدلّ على حرصهم في تثبيت قيم رجالهم، ثم إنّ الأمم التي تحتفظ بمواقف رجالها تقيمُ صرحاً لأجيال متعاقبة.

إنّ الحاضر لا يمكن أن ينفك عن الماضي، فالتاريخ يشكّل وقوداً حيوياً لاستمرار الحياة في جسد الأمة، فإذا كانت الأمم تبني مستقبلها من خلال قيمها التاريخية، والمنطق يقول كلما كان التاريخ مشرقاً كانت الحياة لمن يتصفحه أكثر إشراقاً.

نقول: وهل هناك أفضل من مواقف الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والتي قدّم من خلالها صوراً مشرقةً عن الإسلام، حتى نحتها في ضمير الأمم، وليس في ضمير المسلمين حسب.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه (نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية): «وإذا كان قد هُزِمَ في معركة حربية أو خسر قضية سياسية، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الأثر لصالح المهزومين كما كان لدم الإمام الحسين عليه السلام، فقد أثار مقتله ثورة ابن الزبير، وخروج المختار، ولم ينقض ذلك حتى انقضى الأمر إلى ثورات أخرى إلى أن زالت الدولة الأموية بعد أن أصبحت ثارات الحسين عليه السلام هي الصرخة المدوية لتدكّ العروش وتزيل الدول، فقام بها ملك العباسيين، ثم الفاطميين، واستظل بها الملوك والأمراء بين العرب والفرس والروم».

ويقول: «لقد أصبح الحسين عليه السلام عند المسلمين إمام كل حركة قامت لدكّ العروش، وخلع الملوك الذين تسنّموا الحكم باسم الخلافة»[1].

ثمّ إنّ هؤلاء الذين ينعتون أتباع أهل البيت عليهم السلام بالخذلان ناصروا الباطل في عدّة مواطن، فرماهم الله بخذلان الحق، وهذا قانون ثابت من قوانين الله عز وجل.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«ما تَرَكَ الحق عزيز إلا ذلّ ولا أَخَذَ به ذليل إلا عزَّ»[2].

وهكذا فإنّ من يترك الحق يتبع الباطل، ومن ثم يتمسح على أعتابه لأنّ إتّباع الباطل يقتل الهمة والعزة والسمو، وهذه الصفات مطلوبة في أتباع الحق، وهو ثقيل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[3].

وهذا الجفاف الذي أصاب عقول هؤلاء كان نتيجة طبيعية للسياسات الخاطئة، فكانت تحتاج عقولهم إلى تسميد بما يساعدها على الإخصاب والازدهار، وذلك بإمداد لا ينقطع من روافد الثورة الحسينية المباركة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نساء العالمين»[4].

---

(١) نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية: الدكتور أحمد محمود صبحي.

(٢) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٤٨٩. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٦٩/ص٢٣٢. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج١/ص٦٥٥.

(٣) المزمل: ٥.

(٤) مسند زيد بن علي: زيد بن علي، ص٤٦١. الأحكام: الإمام يحيى بن الحسين، ج١/ص٤٠. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، ج٤/ص١٢٥. فقه السنة: الشيخ سيد سابق، ج٣/ص٤١٧. نضد القواعد الفقهية: المقداد السيوري، ص٩٨. أسد الغابة: ابن الأثير، ج٥/ص٥٧٢. حلية الأولياء: ج١٥/ص٧٢.

وإنما صاروا سادة أهل الجنة لأنهم بلغوا القمة في العطاء الأخلاقي فأضحى يلهم في كل حين، وأما السبب الآخر فلا زالت قريش وأتباعها لحد الآن تتنفس «برئة جاهلية»، فهي بعد لم تتخلص من عقدها إزاء أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، فأعمت بصيرتها تماماً.

يقول محمد علي الغتيت:

«إنّ الشعوب التي لا تبصر بعيونها سوف تحتاج إلى هذه العيون لتبكي طويلاً»، وقد بكت قريش طويلاً ومعها المدينة.

وأخيراً وليس آخراً: إنّ من ينتقد أهل العراق ويوصم شيعة أهل البيت بالخذلان تارة وبالهزيمة أخرى، وبإثارة النعرات الطائفية عبر إحياء مراسم العزاء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، فليعطي الدليل على سلامة خطه باتجاه أهل البيت عليهم السلام، ثم ليثبت أنه ناصرهم ولو مرة في حياته، ولو بلسانه، نحن نسمع الكثير من الاتهامات ومن علامات الاستفهام من هؤلاء المنهزمين، لكن لم يثبتوا ولو مرة واحدة أنهم انتصروا لأهل البيت عليهم السلام.

وصدق الكميت بن زياد النخعي عندما يقول:

كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعلُ[1]

نحن نسمع الانتقاد، ولكن لا نرى واقعاً يجسّد مفردات الفهم الواقعي لفكر أهل البيت عليهم السلام، فهم أبعد الناس عن فكر أهل بيت النبوة وعن تعاليمهم عليهم السلام.

(1) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: السيد علي خان المدني، ص570. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج9/ص36. الروضة المختارة (شرح القصائد الهاشميات): كميت بن زيد الأسدي، ص61. الإمام جعفر الصادق عليه السلام: عبد الحليم الجندي، ص184. شرح ابن عقيل: ابن عقيل الهمداني، ج1/ ص232. خزانة الأدب: البغدادي، ج1/ص155.

ونحن نطلب من هؤلاء المتحذلقين الذين يزعقون في كل يوم أن يكفوا عن عزف هذه السيمفونية المملّة التي صارت تقزّز وتصكّ سمعنا بنغمة سمجة، وعليهم أن يتركوا أتباع أهل البيت عليهم السلام وشأنهم، مثلما هم تركوهم.

قال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[1].

ثم ماذا لو تصفّحوا واقعهم المزري الذي يمتلأ بألف علامة استفهام وطافح بألف بقعة سوداء تحكي المأساة بعينها؟.

ماذا لو عالجوا قضية «تجارة البشر» التي أضحت ظاهرة تزكم الأنوف وتخجل الإنسانية، حتى بات الكثير يوصم العرب بـ«القوا...»، وغيرها من الألفاظ الشائنة، وبالأمس وضعت الولايات المتحدة ثلاثة دول عربية في لائحة الدول التي تروّج لتجارة البشر؟.

ماذا نقول ونحن نعيش هذه المأساة بكل صورها، وهي تنقل عبر الفضائيات والصحف والإنترنت؟.

لقد ضيّقوا علينا الخناق حتى صار الواحد منا لا يبوح بعروبيته ويخجل منها، فأمسينا نحن العرب سبة على الإنسانية بعدما كنّا غرة في جبينها، وكنّا مثالاً للشهامة والعفة والغيرة، وإذا بنا نصبح نموذجاً للتهتّك والعهر.

فعليه فإنّ من يريد أن ينتقد فعليه أن يتفحص نفسه، ثم إذا وجدها خالية من الرّذائل وقد طهرت وهذا مستحيل، ليتحول بعدها وينتقد الآخرين، ويشهر معايبهم.

ومن المستحيل لهذا الشخص الذي همّه إشهار معايب الآخرين أن يجد الفرصة لإصلاح نفسه، لأنّ الحالة التي قبع فيها لا تدعه يلتفت إلى نفسه، ومتى يستطيع وقد

(١) الكافرون: ٦.

استمرأ الانتقاد، وأُرهق بطائل من الهموم والغموم، فقد تحمّل أعباء «إشهار معايب الغير»، فنحن أمة سبّاقة في انتقاد الآخرين.

لكن لا طاقة لنا في انتقاد أنفسنا، لذا فنحن نخرّب أكثر ممّا نبني، ونهدم أكثر مما نعمّر، ولنا القابلية في الهدم أكثر بكثير من البناء.

ونحن على وشك الانتهاء من فصل تخاذل أهل المدينة، نقول:

إنّ أهل المدينة خذلوا الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام، وما كان ينبغي لهم ذلك لاسيما وهم أقربُ الناس إلى الإمام عليه السلام وأكثرهم علماً ومعرفة.

وما كان لهم الخيرة من أمرهم أن يتركوا الإمام عليه السلام مع أهل بيته وهم يعلمون أنّ الإمام عليه السلام إنما خرج لإصلاح أمة جدّه، وبالأمس أشار إليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

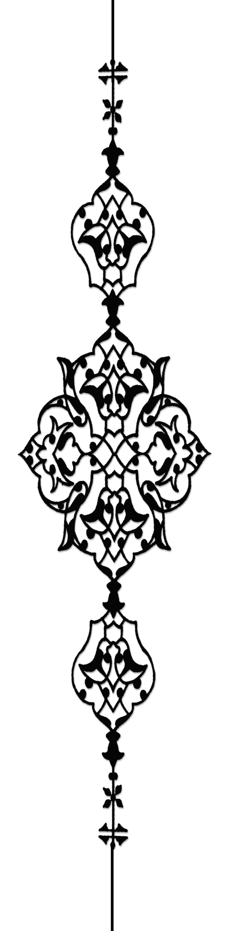
فالأمر واضح لا يحتاج إلى استقراء أو استثناء، ويتأكد الأمر حينما نرى بني سفيان ينزون على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله نزو القردة فيسومون الناس الخسف ويلبسونهم ثوب الصغار، وأهل المدينة يعلمون أنّ بني سفيان لا يتركون المدينة تلبس ثوب العز والشموخ وتتنفس عبير الكرامة، بدليل أنهم عدوا عليها بمجرد أن سنحت الفرصة فانتقموا منها شرّ انتقام، فأباحها يزيد بن معاوية لمسرف بن عتبة ثلاثة أيام فعمل بها ما لم يعمله أيّ فرعون في الأرض[2].

---

(١) علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج١/ص٢١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص١٥٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ج٢/ص٧١٧.

(٢) راجع الطبري، والكامل، والبداية والنهاية، والكثير من كتب التاريخ.

الفصل الثامن



المبررات الرئيسة لقيام النهضة الحسينية

١ ـ شرعية النهضة

لا مشاحة في أنّ ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وجدت المبررات الحقيقية لنهضتها، فاستمدت شرعيتها من هذه الأسباب التي جعلتها تحمل كلّ مضامين ومعاني النهضة، وإذا كنا نبحث عن الأسباب الموضوعية لقيام ثورة أبي الضيم عليه السلام فيكفي أن نثبت واحدة منها ضدّ الطاغية يزيد، فكيف إذا اجتمعت عدة أسباب.

ويكمن السبب الأول في طغيان يزيد بن معاوية، فهذا الرجل الذي تربّع على دسّة الحكم بغير استحقاق ضمّ بين جوانحه جميع مفاسد بني أمية من تهتّك وتجاوز وكفر بالله ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله فشكل خطراً حقيقياً على الإسلام.

فهو لم يرع حرمة لجميع المقدسات، ولم يضع في حسابه يوماً هذه المقدسات التي أحيت الأمة الإسلامية، وجعلتها تسمو في فترة قياسية، وإذا بيزيد يجعلها تغوص في وحل الجاهلية.

يمكن أن نقول:

إنّ يزيد بسلطانه المتجبّر أراد أن يسحق جميع المقدسات والاعتبارات بما فيها القيم العربية، فهو أول سلطان يهتك حرمة الأعراف العربية وذلك بأسره بنات الرسالة وسبيهنّ من بلد إلى بلد، فهذا السلوك الأجوف لم يعرف له سابقة في حياة العرب قبل

الإسلام، فهو اخترق كلّ القوانين بما فيها الأعراف، وكذلك عندما احتلّ المدينة المنورة، واغتصب ألف حرّة من بنات الأنصار، إن ما قام به يزيد لم يلبس عليه لباس سواء كان عربياً أو إسلامياً.

والأنكى من ذلك نكحه الأمهات والبنات والأخوات.

جاء في رسالة (تجويز لعن يزيد) لابن الجوزي:

«وكان ينكح الأمهات والبنات والأخوات، وملازماً للصيد، وشرب الخمر، واللعب بالكلاب والقرود، قال عبد بن حنظلة: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّ رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاءً حسناً»[(١)].

قال الشاعر:

ويسوس أمر المسلمين مولـه	**رجس وتصرعه الطلا فيعربدُ**
ويقوم باسم الدين فيهم آمراً	**من لم يطب في الناس منه المولدُ**
ومن العجائب أن يسود مذمم	**جمّ العيوب وأن ينحّى السيدُ**[(٢)]

يعلّق الأستاذ الشيخ مغنية قائلاً:

«قال بعض المؤلفين: لما رأى الشيطان يزيد بن معاوية تعوّذ منه وقال: ما كنت أحسب أنّ في الكون من هو أشقى مني حتى رأيت يزيد... ولكن يزيد عند مروان بن

(١) رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ: السيد لطيف القزويني، ص١٥٥. ينابيع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج٣/ص٣٣. كربلاء، الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب، ص٢٠. الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي، ص١٥٦. رسالة تجويز لعن يزيد: ابن الجوزي.

(٢) الحسين وبطلة كربلاء: الشيخ محمد جواد مغنية، ص١٣٢.

الحكم يستسقى الغمام بوجهه، وفي كل عصر يزيد ومروان، وليس في الدنيا إلا حسين واحد»[١].

إن منطق الحياة يتحدث إذا تُرك «السلطان» يعبث بمقدرات الأمة، ويتجاوز على حرماتها فإنّه يصنع ألف سلطان مثله.

وقد يظهر من هو أتعس منه، كما حدث لمعاوية ويزيد، فإنّ معاوية عندما تجاوز على حرمات الأمة وهي نائمة ضرب كل مقدساتها عرض الحائط فبرز ألف سلطان سيء ومنهم يزيد الذي ذهب بعيداً في غيّه، فمن الطبيعي أن تتفاقم هذه الحالة بالذات إذا لم يقف أمامها من يقطع دابرها.

وإذا كنّا نتحدّث عن أسباب هذه الظاهرة المقيتة فإنّ أحد أسبابها يكمن في السكوت والمهادنة، لذا فإنّ الأمم التي تلزم جانب الصمت إزاء حكامها العابثين تتلقى أقسى الضربات، ثم تورّث الأجيال جريرة أعمالها، إن أتعس تركة تتوارثها الأجيال يكمن في الذلة والمهانة.

هناك قاعدة تنصّ في أنّ طول السكوت يعمّق حالة الذل، وكلما يَتعمّق الذلّ يصعب اجتثاثه، شأنه شأن الأمراض العضوية، ومن المؤسف أن حالة الذلّ تعمّقت في المجتمع الإسلامي حين تولى معاوية بن أبي سفيان فأحدث تحوّلاً خطيراً.

والعجيب في الأمر أنّ الهزة العنيفة التي أصابت المجتمع لم تحدث أيّ ردّة فعل، وهذا خلاف القانون «لكل فعل ردة فعل تعاكسه في الاتجاه وتماثله في القوة» مما يدل على تجذّر حالة المهانة، التي استفحلت بعد أن اضمحل الجانب العقائدي عند الكثير، وعلى خلفية هذا الواقع الفاسد استقبل المجتمع واقع يزيد المزري بسهولة واحتضنه.

---

(١) الحسين وبطلة كربلاء: الشيخ محمد جواد مغنية، ص١٣٣.

وبلغت المأساة ذروتها عندما احتضن المجتمع المدني والمكي ظاهرة الفساد اليزيدي بارتياح، فبات يشكّل خطراً حقيقياً على القيم الإسلامية.

فكان على أبي الضيم (صلوات الله عليه) أن يقف بكلّ صلابة أمام ظاهرة الخنوع والخضوع التي استفحلت، وباتت تهدد أسس المجتمع الإسلامي.

يقول الشيخ القرشي: «لقد هبّ الإمام إلى ساحات الجهاد والفداء ليطعم المسلمين بروح العزّة والكرامة، فكان مقتله نقطة تحول في تاريخ المسلمين وحياتهم، فانقلبوا رأساً على عقب، فتسلّحوا بقوة العزم والتصميم، وتحرّروا من جميع السلبيات التي كانت ملمّة بهم، وانقلبت مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت جاثمة إلى مبادئ الثورة والنضال، فهبّوا في ثورات مكثّفة، وكان شعارهم «يا لثارات الحسين»»[(١)].

إنّ الفساد الذي نخر عقل يزيد أخذ يطفح وكاد أن يحرّف الأمة ويذهب بها إلى منزلق خطير، وبحكم التلازم بين فساد السلطان وانهيار الأمة في أحايين كثيرة، لذا فإنّ أيّ تصرف من الحاكم ينعكس عليها بالذات إذا كانت الأمة تعيش «غربة الثقافة» والقيم الحقيقية.

وحاول الخط السفياني أن يغيب الثقافة الإسلامية عن المجتمع، ويهمّش القيم الحقّة باستعماله أساليب التمويه والتحريف والتزييف، وهكذا حرّف «صلاة الجمعة» حتى صلى بالمجتمع الشامي «الأربعاء»[(٢)].

والعجيب في الأمر أنّ المجتمع الشامي لم يعترض على هذا الأمر مما يدلّ على غياب الثقافة الإسلامية، والوعي العقائدي، وعلى التبعية المطلقة للحكّام.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٧٨.

(٢) النصائح الكافية. الإصابة. ومعاوية في الميزان: العقاد.

وكما هو ثابت فإنّ الاتباع المطلق للحكام يقوّض أسس الشخصية، فيصبح المجتمع «كالريشة في مهبّ الريح» فتميل مع كلّ ناعق حتى لو كان حماراً.

يقول علماء الاجتماع: إنّ الأمم إذا لم يتحرّك فيها الإحساس إزاء أمر خطير فإنّها محكومة بأسوأ العواقب.

من هنا فإنّ الإمام الحسين عليه السلام نبّه الأمة من مغبّة الغفوة والغفلة، ومن مخاطر الركون ومسالمة الظالم المستبد.

قال: سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من رأى منّكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا بقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»[1].

وهذه الرسالة التوجيهية تنبيه للأمة من السلطان الجائر الذي يستحلّ حرم الله، وينكث عهده، ثم يغيّر سنته، فإذا كان السلطان يستحلّ حرم الله، وينكث عهده فأيّ رادع يبقى عنده، فالإمام الحسين عليه السلام بهذه الرسالة أعلن الهدف من قيامه، فيزيد استحلّ حرم الله، ونكث العهد، وغيّر سنة الله، وذلك حينما أقدم على قتل سيد شباب أهل الجنة (صلوات الله عليه)، وهو انتهاك صارخ للحرمات، فقتل الإمام أبي عبد الله عليه السلام قتلٌ لجميع الأنبياء والمرسلين بما فيهم رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي قال في حق الإمام عليه السلام:

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٥٠٥. الأمالي: الشيخ المفيد، ص١٢٢. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٨٢. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٢٣٢. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٩٢. معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص١٩٠.

«حسين مني وأنا من حسين»[١]، وإذا جئنا إلى القرآن الكريم فإنّ قتل نفس يعدّ قتلاً لجميع الناس بنص القرآن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢].

فكيف بنفس محترمة؟.

يقول طه حسين:

«وأما يزيد فقد كان صورة لجدّه أبي سفيان، كان رجل عصبية وقوة وفتك وسخط على الإسلام، وما سنّه للناس من سنن فأغرى كعب بن جعبل بهجاء الأنصار، فاستعفاه وقال: أتريد أن تردّني كافراً بعد إسلام؟! فأغرى الأخطل، وكان نصرانياً وهجا الأنصار هجاء مقذعاً»[٣].

فهذه الأساليب وغيرها كان الغرض منها تركيع الأمة واستعبادها، وتكبيل إرادتها مما يصدق قول الإمام عليه السلام في جور الحكام واستحلالهم لحرم الله ونكث عهده وتغيير سنته، إذ جرت السنة على احترام الإنسان وتقدير مشاعره إلا أنّ الحكم السفياني انتهك حرمة الإنسان وداس على كرامته، وبذلك فإنّه انتهك حرمة الإسلام وحرمة مقدساته التي تستهدف الحفاظ على قدسية الإنسان، فعليه

(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٢٧. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٣٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٧/٧٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النّمازي الشّاهرودي، ج٨/ص٢٣٣. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٤/ص١٧٢. سنن الترمذي: الترمذي، ج٥/ص٣٢٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ ص١٧٧. تحفة الأحوذي: المباركفوري، ج١٠/ص١٩. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص٥٧٥.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) في الأدب الجاهلي: طه حسين، ص٦٣٥.

فإنّ إجرام يزيد كان يشكّل تهديداً مباشراً للإسلام، ويستهدفه بالصميم، فلابدّ من وقفة شجاعة كي تردعه وتوقفه عند حده، وكانت الوقفة مطلوبة آنذاك لأنّ الخط المنحرف أخذ بعداً خطيراً بعد أن وجد جماعة تسوق بضاعته في سوق المغفلين.

وقد حفر هذا الخط أخدوداً عميقاً في المجتمع حتى أضحى بركة تجمع كل أوساخ المضلّين، وبقاء هذا الخط يعدّ امتداداً للجاهلية الأولى، وتفريخ نسل شاذ يهدم كل ما بناه الإسلام، ثم الطامة الكبرى عندما جاء يزيد على حين غفلة من أهلها ليوسع هذا الخط ويعمّقه ليتحوّل إلى بؤرة فاسدة بما للكلمة من معنى، فكان لابدّ أن يأتي الردّ قوياً ليقطع دابر المؤامرة التي أضحت خيوطها واضحة لمن ألقى السمع.

وإذا كان البعض قد تردّد في قبول مشروع الإمام عليه السلام لكن النتائج المتمخضة عن نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام دلّلت بشكل واضح على سذاجة الاعتراض، وسطحية التفكير.

فلقد ثبت للكثير بعد أن تحكم الحجاج وأذلّ عبد الله بن عمر في قصة البيعة المهينة إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان سديداً ومحقاً في ثورته لأنه أراد أن يبطل مؤامرة الخط السفياني التي تمثلت في إذلال المجتمع الإسلامي وتكبيل إرادته.

لقد تنبّه عبد الله بن عمر لذلك وتمنى من قلبه لو اصطفّ مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام وناصره في مواقفه ليجنّب الأمة إذلال بني أمية.

وقد تنبّه لذلك الكثير ولكن ولات حين مندم، وقد ادلهمّ ليل الأمويين ولفّ المجتمع بسواده الكالح حتى بات الواحد منهم لا يرى بصيص أملٍ في تنفس صبح الإسلام.

٢ ـ تحرير الإنسان

من الأسباب الرئيسة لقيام الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام يكمن في تحرير الإنسان. وكما هو ثابت في علم الاجتماع فإن الإنسان يشكّل وحدة أساسية في بنية المجتمع، فأيّ ضعف يتسرب إليه يؤثر سلباً في الآخرين، ويتضاعف الضعف إذا انعدمت في المجتمع عوامل النهوض، وفي مقدمتها «القيادات الحكيمة».

وقد سعى معاوية إلى اغتيال القيادات الحكيمة بخطط لئيمة، وحيث أفرغ المجتمع الإسلامي من قياداته المتألقة كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام[1]، والإمام الحسن عليه السلام، ومالك الأشتر، وحجر بن عدي، وعمار بن ياسر، وخزيمة ذو الشهادتين، والكثير من الصحابة[2].

فبات المجتمع الإسلامي «قفراً» من القيادات وقد أحدثت فراغاً كبيراً على ضوء هذه الخطة الخبيثة استولى معاوية على سدّة الحكم، واستطاع أن يحكم البلد الإسلامي، ويا للمهزلة.

وبإزاحة القيادات العملاقة استطاع معاوية أن يكبل الإنسان المسلم بقيود مهينة، ثم يجهز على شخصيته كي يعيش ذليلاً لا يشعر بمعانيه الإنسانية.

يقول الكاتب الأستاذ القرشي: «ولم تملك الأمة في عهد معاوية ويزيد إرادتها واختيارها فقد كانت جثة هامدة لا وعي فيها ولا اختيار، قد كبلت بقيود ثقيلة سدت في وجهها منافذ النور والوعي، وحيل بينها وبين إرادتها، لقد عمل الحكم الأموي على تخدير المسلمين وشلّ تفكيرهم، وكانت قلوبهم مع الإمام الحسين عليه السلام، إلا أنهم لا يتمكنون من متابعة قلوبهم وضمائرهم فقد استولت عليها حكومة الأمويين بالقهر»[3].

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: السيد هاشم معروف الحسني، ج١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة. النصائح الكافية.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٧٨.

وقد أصبح المسلم في عهد معاوية ويزيد جثة هامدة لا حراك فيها وهذا أخطر ما يتعرض له الإنسان، فعندما تتلاشى الإرادة لا يملك الإنسان بوصلة التوجيه فلا يهمّه في أيّ فج يكون، ويظلّ الإنسان ينحدر كلما اضمحلت إرادته فيفقد القدرة على المجابهة.

لقد نهض الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام ليضخّ الكرامة في عروق الأمة كي تستعيد إرادتها. فكان لابدّ من حدث كبير يهزّها من الأعماق، ويوقظ فيها الروح الإنسانية، وكما هو واضح في واقع النهضات أنّ الواقع العملي هو الذي يبعث الروح ويبث الحياة في القيم ويوقظ الإحساس عند المجتمع، وبقدر ما يتعمق الواقع في حياة الثوار تتجلى الآثار بقوة في حركة المجتمع.

إنّ الواقع العملي وحده يصنع العلاقة بين المجتمع والقيم بالذات إذا كان المجتمع يمرّ بانعطافة خطيرة، لذلك فإنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام أكّده في حياته، فبرز بشكل واضح وبمعانٍ كبيرة.

وتجلّت القيم الإلهية في كربلاء بكل اشراقاتها حتى أضحت عنواناً عريضاً يعلو جبين الزمان، فالعمل الخالص يظل يرتفع عن كل أشكال النصب والعداء.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1].

نعم فإن العمل الصالح يظلّ يرتفع في كل حين حتى يصبح حقيقة وواقعاً حياً، وحجّة على المتقاعسين ومن يتوانى عن نصرة الحق.

إنّ ثورة كربلاء بقيمها الفذة وواقعها الحي لم تبق حجة لأحد كي يتقاعس ويضنُّ بنفسه وماله، أو يتعلل، فكربلاء أوصدت الباب أمام كل الأعذار، لذلك فإنّ ثورة كربلاء تبقى الحجة الكاملة في كل زمان ومكان حتى قيام الإمام الحجة (صلوات الله

(١) فاطر: ١٠.

عليه) ليقيم بناءه الشامخ على صرحها كي تتكامل الحجج وتأخذ صورتها الحقيقية.

إنّ ساحة كربلاء أضحت في يوم عاشوراء موئلاً لكلّ القيم الحقّة، فهي كانت على موعد مع قيم البطولة والشهامة والرجولة والعفة والاستقامة.

حتى قال العقاد في كتابه (سيد الشهداء الحسين بن علي):

«إنّ كل القيم الحقة كانت تتسابق في ساحة كربلاء، فالبطولة كانت في سباق مع الشهامة والرجولة مع الإيثار والجود مع العفة»[1].

وحتى يعمق الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام الواقع الحسيني فقد أعطى كل ما يملك من قيم وأخلاق وصفات عالية، فبلغت القمة، وستبقى قيم الإمام الحسين عليه السلام تتربع القمة وتعتلي عرش الفضائل، لأن كربلاء هي المحك لقيم الحق والباطل.

لقد أصبحت مخزناً عظيماً يضخّ العزم والقوة في عروق الأمة، بالذات في الأزمات، وهذا شيء فريدٌ.

وتظلّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام تضخّ قيم البطولة.

لذلك نقول:

إنّ كل من يريد العزّة والشموخ عليه أن يشدّ الرحال إلى كربلاء الإمام الحسين عليه السلام وينهل من نميرها الرقراق ونبعها الثر.

ونصيحتي لمن يشكو علة الضعف والإرادة ووهن الشخصية الذهاب إلى كربلاء الحسين عليه السلام.

وقد رأيت بأم عيني الحسينيين في مواقف البطولة أشد عزيمة، وأمضى جناناً، إنّ الحسينيين لم ولن يعرفوا معنىً للجبن والوهن.

---

(١) سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام: عباس محمود العقاد.

وتعمّقت قناعتي عندما رأيت الملايين تتجه صوب كربلاء بكل عزم وصلابة، وقد سحقت جميع العقبات، هذا وقد أظهرت الجموع حقيقة مهمة تكمن في نفاذ البصيرة وعمق الإيمان، ألم يقلْ الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً»[1].

يقول الشيخ محمد الغزالي:

«ليس قيمة الإنسان فيما يصل إليه من حقائق وما يهتدي إليه من أفكار سامية، ولكن في أن تكون الأفكار السامية هي نفسه، وهي عمله، وهي حياته الخارجية كما أنها حياته الداخلية، فالفكر بلا عمل مناقشات بيزنطية، أو بحوث جامعية، أو ألعاب بهلوانية، إنما قوة الفكرة وأحقّيتها بتحويلها إلى عمل ووضعها مع التجربة.

وإذا اعتقدها الإنسان، فمعناه أن يعمل بها، وإذا دعا إليها، فمعناه أنه جربها في نفسه وبنفسه فوجدها صالحة، وما عدا ذلك فشقشقة ألفاظ، وملء مجالس، وإظهار تظرف، ومباهاة بالقوة العقلية، أو القدرة الجدلية، ومقدمة بلا نتيجة.

إنّ عيب المبادئ السامية كـ«حقوق الإنسان»، و«عصبة الأمم»، و«ميثاق الأطلسي»، و«حماية الأقليات»، و«حقوق الأمم الصغيرة»، و«العدالة الاجتماعية»، ونحو ذلك، إنها أفكار لم ترتبط بالعمل ولم تعبر حقيقة نفس قائلها، وإن عبرت فلم تعبر عن نفس من يملكون تنفيذها، وستظل عديمة القيمة ما لم ترتبط بالعمل»[2].

---

(١) شرح الأخبار: القاضي نعمان المغربي، ج٣/ص١٨٤. عمدة الطالب: ابن عنبة، ص٣٥٦. سر السلسلة العلوية: أبي نصر البخاري، ص٨٩. مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٤/ص٣٥٠. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج٧/ص٤٣٠. مقتل الحسين: أبو مخنف الأزدي، ص١٧٣. الأنوار العلوية: الشيخ جعفر النقدي، ص٤٤١.

(٢) ركائز الإيمان بين العقل والقلب: الشيخ محمد الغزالي، ص١١٢، دار الاعتصام.

٣ ـ حماية الإسلام

ومن أهم الأسباب التي دعت الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام إلى النهوض بوجه الطاغية يزيد بن معاوية وبني سفيان هي حماية الإسلام لأنّ بني سفيان عبثوا بالإسلام وحرّفوا الكثير من قيمه وتعاليمه عن مواضعها.

وقد ركز بنو سفيان على هذه السياسة التي أضحت معالمها واضحة لكل متتبع وبصير.

يقول السيد مير علي الهندي: «ومع ارتقاء معاوية الخلافة في الشام عاد حكم التوليغارشية الوثنية السابقة فاحتل موقع ديمقراطية الإسلام، وانتعشت الوثنية بكل ما يرافقها من خلاعات، وكأنها بعثت من جديد كما وجدت الرذيلة والتبذل الخلقي لنفسها متسعاً في كل مكان ارتادته رايات حكام الأمويين من قادة ضد الشام...»(١).

وفي نظر النقاد والمحللين فإن معاوية وضع خطة تكمن في القضاء التدريجي على القيم الإسلامية، فبدأها باغتيال الشخصيات العملاقة كالإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، والصحابة الأجلاء، ثم تحريف الأحاديث الصحيحة، فقد لعبت هذه الخطّة دوراً خطيراً، إذ بات الكثير لا يعرف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً والبعض أخذ يشكّك في قدرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تمكين الإسلام، والخطوة الأخرى تتمثل في تمزيق الأمة وجعلها شيعاً، وهي من الخطط الخطيرة التي اعتمدها معاوية في كل مفاصل حياته.

وحيث مزّق أوصال المجتمع الإسلامي بعد أن زرع فتنة الثأر.

يقول عباس العقاد في كتابه (معاوية في الميزان): «كانت لمعاوية حيلته التي كررها وأتقنها وبرع فيها، واستخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين،

---

(١) روح الإسلام: مير علي الهندي، ص٢٩٦.

وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه بإلقاء الشبهات بينهم وإثارة الإحن فيهم، ومنهم من كانوا من أهل بيته وذوي قرباه، كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خطر على وفاق، وكان التنافس الفطري بين ذوي الأخطار مما يعنيه على الإيقاع بينهم»[١].

فباتت كل فرقة تريد لنفسها المكانة والوجاهة حتى لو كانت على حساب الإسلام ووحدته. وما خروج السيدة عائشة وطلحة والزبير إلا دليل واضح على هذه الروح التي استبدّت في نفوس القوم!! وإلا بماذا نفسّر خروج السيدة عائشة؟!! ووقوف طلحة والزبير تحت راية العصيان!! وبالأمس هما أول من بايعا الخليفة الشرعي الذي انتخب بإجماع المسلمين.

وهو أول وآخر خليفة ينتخب ويتسلم زمام السلطة على وفق الشروط الموضوعية، لذا لا يمكن لأحد أن يهمز من قناة الخليفة الشرعي الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام بعد أن انتخب من قبل الجماهير والصحابة.

وأما الخطوة التي كانت بمثابة رصاصة الرحمة في جسد الأمة فتكمن في تولية يزيد بن معاوية الذي يعدّ رأس الحربة في القضاء على الإسلام.

يقول الشيخ القرشي: «وصار الدين دين الجاهلية ودين الدعارة والفسوق».

يقول علماء النفس الاجتماعي: «إنّ أخطر مرحلة يمر بها المجتمع عندما تتعرض مقدساته إلى تشويه وتحريف وتزييف، وممن يدعون الانتساب إليه».

وجاء في علم الحضارة: «تُمْنَى الأمم بهزات عنيفة عندما تتعرض مقدساتها إلى تشويه ومن قبل أعلى السلطات..».

(١) معاوية في الميزان: عباس محمود العقاد، ص٦٤.

فإذا جاء التشويه من قبل السلطات فإنّ مساحته تتسع بقدر فساد السلطان، أما إذا تعاقب على الأمة سلطات جائرة فتصبح عملية الإصلاح شاقة وعسيرة، لذلك فإنّ العمليات الإصلاحية تلاقي صعوبة في مواجهة هذه الحالة، وقد تفشل في بعض الأحيان.

من هنا فإنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام عانى كثيراً في علاج هذه الظاهرة مما اضطره أن يأخذ أهل بيته وينفصل عن المدينة وأهلها مطبقون على خذلانه، وساهون عما يحاك ضدهم، وقد أسلفنا أن الرأس الذي حكم الدولة الإسلامية ترك ظلالاً سوداء على نفسية المجتمع، فجعلها مستنقعاً آسناً ومرتعاً للأهواء، ولكن لا مناص من مواجهة الانحراف الذي أخذ يتسرّب في أوصال المجتمع، وبات يزحف إلى مقدساته، ويقضم معالمه الواحدة بعد الأخرى، والخطر كل الخطر إذا تسرّب الداء إلى المقدسات لأن المجتمع يبقى في مهب الريح، ويصبح ألعوبة بيد كل من يملك القوة، وهذا ما نبّه إليه الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام عندما قال: «على الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد»[1].

وهذه العبارة تعبر عن واقع افترش الأرض الإسلامية، فيزيد بن معاوية يعدّ خطراً حقيقياً على الإسلام، فهو قد تربّع على دسة الحكم، وهمّه القضاء على الإسلام، وليس أدلّ على ذلك من انتهاكه حرمة المدينة ومكة، وقد اعتمدت الحكومات الغاشمة تباعاً سياسة هتك الحرمات، وضرب المقدسات لأنها تشكّل القلب النابض للأمة، فلا غرو إذا رأينا الصهيونية تؤكّد على هذا المفهوم، وتعتمد عدة آليات تتجسّد في تفعيل العمل على رفع ضعاف الأخلاق إلى مناصب الحكم كي يجردوهم من المقدسات والقيم.

---

(١) معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص١٩٧. رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ: السيد لطيف القزويني، ص١١٥. الأئمة الإثني عشر: الشيخ جعفر السبحاني، ص٧٤.

جاء في كتاب (اليهود المعتدون) للشيخ محمد الغزالي تحت عنوان «عرض موجز لقرارات حكماء صهيون، البروتوكولات»:

«سيكون الجهاز الحكومي في شتّى الدول في قبضتنا لأنه يتوقف على الذهب الذي نملكه، ولضمان أن يستمر ذلك ينبغي أن تتذرع بكلّ الوسائل، وفي مقدّمتها جرّ الشعوب إلى الحرب، وتلهيتها في السّلم بفيض غامر من الأفكار المتعارضة، وبموجات الانحلال مع تجريدها من كل أسلحتها، ويأتي في مقدمتها العقائد، وينبغي القضاء على المتفوقين والممتازين، والعمل على انعدام الثقة، وبذر الخلافات، وتشجيع كل محاولة ترمي إلى الهدم والتحطيم.

وفي هذا الجو ننشر فكرة التعاون الدولي بقصد إنشاء مؤسسة تهيمن على العالم، وسيعهد لا محالة بإدارتها إلينا».

وجاء أيضاً في (الموجز): «العمل على رفع ضعاف الأخلاق إلى مناصب الحكم ليستجيبوا في يسر إلى رغباتنا»[1].

فعليه فإنّ الوقوف أمام الانحراف يعدّ أمراً مهماً، ومسؤولية مشتركة ليس فقط تختص بفئة، وكما هو ثابت في قانون التطور وتخلف الأمم أنّ النهوض القوي والكبير يتمثّل في اشتراك الجميع، وكلما كانت المشاركة أوسع كانت النتائج أبهر وأسمى.

ولكن مما يحزّ في النفس أن المجتمع الإسلامي في زمن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام كان في شبه غيبوبة، وكاد أن يلفظ أنفاسه لولا نهضة الإمام (صلوات الله عليه) التي ضخّت الجسد المنهار بدماء طاهرة فعادت إليه الحياة.

يقول الشيخ محمد عبده: «لولا ثورة الحسين عليه السلام لما بقي من الإسلام من أثر».

(١) اليهود المعتدون: الشيخ محمد الغزالي، ص١٣٨، ط الدار الشامية، بيروت.

ولو كانت المدينة وبقية الأمصار قد ظاهرت أبا عبد الله الحسين عليه السلام لتغيّر ميزان القوى، ورجحت كفّة الإمام عليه السلام، ولتخلصت من ذلّ السنوات التي أعقبت استشهاده (صلوات الله عليه).

وكما يقول (الطبري): «فإنّ مسلم (وهو مسرف بن عتبة) أذلّ أهل المدينة أيّما إذلال عندما طلب منهم البيعة ليزيد على أنهم عبيد قن ـ مدى الحياة ـ ليزيد بن معاوية»[1].

إنّ وقفة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وبهذا الحجم من التحدي يترجم بوضوح خطر المؤامرة السفيانية على الإسلام.

فإذا كان التحدي كبيراً فلابدّ أن تكون التضحية أكبر وأعظم حتى يمكن إنقاذ الإسلام من براثن السفيانية البغيضة، وإذا علمنا أن انتشال العقائد من وحل الرذيلة يعدّ أمراً شاقاً نقف على أهمية التضحيات التي قدمها الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الذين استطاعوا حفظ الإسلام، وإرجاع قيمه الفذة إلى واقع المجتمع الإسلامي، فانطوت صفحة بغيضة وظهر واقع جديد يختلف تماماً عن ما قبل الثورة، وليس أدلّ على ذلك من انبعاث الروح الثورية في نفوس المجتمع الإسلامي واستيقاض الهمم.

والروح الثورية لا تنهض عند الشعوب إلا إذا كان هناك حدث كبير يهزّهم من الأعماق.

لقد أيقظت الثورة الحسينية الروح الثورية عند الكثير، وجعلتها في القمة، فعبرت عن نفسها بثورة التوابين، وهي صورة حية عن الروح الثورية التي انتعشت من جديد بفضل نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(١) راجع الطبري: في أحداث كربلاء.

٤ـ إقامة الحجة عليه

من الأسباب التي دعت الإمام عليه السلام إلى النهوض هي كثرة الرسائل التي انهالت عليه من مدن كثيرة وليس الكوفة حسب تطلب منه النصرة، وإقامة العدل الإلهي.

وما كان من الإمام إلا أن ينهض، ويستجيب لمطالب الأمة ويأخذ بحقها التي استلبه حكام الجور والطغيان، فقد سلب حكام الجور حقوق الأمة الطبيعية التي أقرّها الإسلام وثبتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشقّ الأنفس.

فقد سلب حكام الجور «كرامة الأمة»، وهي من أهمّ الحقوق التي سعى إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحققها بكلّ معانيها الفذة.

وقد عرف الإنسان هذه الخصلة بعد أن غابت عن ذهنه مدة طويلة.

جاء في سيرته المثلى:

عندما دخل عليه عدي بن حاتم الطائي قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجلس عدياً مكانه، ثم أعطاه وسادته ليتكأ عليها وجلس سيد الكائنات على بساط خفيف لا يحجبه عن الأرض كثيراً.

فتعجب عدي بن حاتم من هذا الخلق الرفيع، فترك أثراً عميقاً في نفسه، ثم بعدها أسلم (رضوان الله عليه).

إنّ هذه الأخلاق رسمت الكرامة بكل وضوح، وأعطتها معنى سامياً.

من هنا فإن الإنسان في ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سما كثيراً، وتألق في سماء الفضيلة.

وكما هو ثابت في علم النفس التربوي: إنّ الإنسان إذا تلقّى الاحترام والتقدير من كبار القوم بالذات من القادة فإنّه يسمو بنفسه، ولا يميل إلى ما يشين سمعته.

وهكذا سمت شخصيات كثيرة، وأصبحت مثالاً يحتذى به، ولكن عندما جاء معاوية إلى الحكم وجد هذه الشخصيات عقبة كؤود أمام حكمه الجاهلي، فسعى بكلّ الوسائل للتخلص منها حتى يتمكن من السيطرة على الدولة، فتوسّل بولاة لا يقيمون وزناً لـ«لكرامة الإنسان»، ولا يفهمون معانيها.

فعبيد الله بن زياد كان لئيماً، وفاقداً للكرامة، وفاقد الشيء لا يعطيه، فألبس الناس الذلّ حتى غدا الواحد منهم لا يجرؤ على الكلام، ناهيك عن الاعتراض.

يقول التاريخ:

«فغاضت الألسن وكأن لم يخلق الله للقوم ألسناً وغارت الكلمات».

ثم إنّ معاوية استعمل أسلوب التهكّم والاستهزاء بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبالأئمة عليهم السلام.

قال ابن حجر المكي: «جاء بسند رواته ثقات: إنّ مروان لما ولي المدينة كان يسبّ علياً على المنبر كل جمعة، ثم ولي بعده سعيد بن العاص فكان لا يسبّ، ثم أعيد مروان فعاد السب»[1].

ويعد السبّ من الأساليب التي استعملها معاوية (لامتهان كرامة الأمة) عبر التجاوز على الرموز العملاقة التي تحفظ كرامة الأمة.

ثمّ جاء يزيد ليكمل المسلك السيء فأخذ بمنهاج أبيه، وزاد عليه بأن أفصح تماماً عن خطته اللئيمة في امتهان «الإنسان»، وهكذا طلب البيعة من الإمام أبي عبد الله عليه السلام حتى يقيده بشروط مذلّة، ليسقطه في أعين الأمة.

---

(١) الغدير: الشيخ الأميني، ج٨/ص٢٦٤. النصائح الكافية: محمد بن عقيل، ص١٠١.

ولكنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام أبى إلا أن يقاوم هذه الخطة، ويفشل مخططات الطغمة الحاكمة، ويحفظ كرامة الأمة، فشمّر الإمام عليه السلام عن ساعد الجد لضرب أيّ تحرّك يستهدف كرامة الأمة وينال من شخصيتها، فقد رفض البيعة وتحدى قوى الشر والظلام بكلّ قوة وصلابة، وهذا درس كبير من دروس التحدي والبطولة.

إنّ إذلال الأمة وامتهان كرامتها يعدّ خرقاً للقوانين الإسلامية وتجاوزاً على حقوقها الأساسية، فالكرامة حق طبيعي لا يمكن التفريط به بأي شكل من الأشكال، لذلك فإنّ الإمام أبا عبد الله عليه السلام ركز كثيراً على هذا الحق، وجعله من أولويات اهتمامه حتى أنه رفض أيّ شكل من أشكال المساومة إزاءه، من هنا فإنّ خروج الإمام عليه السلام من المدينة كان حفظاً لها ولكرامة أهلها.

وقد أخطأ البعض عندما حصر خروج الإمام وأوعزه إلى نداءات أهل الكوفة، ويدلّ هذا الرأي إلى سذاجة التفكير وسطحية الرؤية لعدة أسباب:

أولاً

هل غائب عن ذهن الإمام عليه السلام سيكولوجية الكوفيين وتركيبتهم السكّانية؟.

ثانياً

إنّ الإمام (صلوات الله عليه) لم يتوجه تلقاء الكوفة ليصنع الثورة حتى يعترض البعض.

فتحرك الإمام لم يتّسم بطابع الانفعال بفعل الرسائل التي انهالت عليه، ولم يجعل الكوفة هدفه النهائي، بل كان يريد تحرير الإنسان في كل الأمصار بدليل توجهه إلى مكة المكرمة، ثم إرسال المبعوثين إلى البصرة وباقي الأمصار، ثم إن الذين بعثوا

الرسائل للإمام عليه السلام كان معظمهم من الخط المناوئ لأهل البيت عليهم السلام فكيف يطمئن الإمام عليه السلام إليهم؟.

لذلك فإنّ الإمام عليه السلام أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل (رضوان الله تعالى عليه) حتى يستطلع الأمر، ويقف على حقيقة الأوضاع، وهذا يدلّ على حنكة الإمام عليه السلام وتحركه على وفق خطة محكمة بعيدة عن ردّات الفعل.

ثالثاً

إنّ هؤلاء لم يستقرئوا الظروف التي أحيطت بالكوفيين فجاء اعتراضهم أعوراً.

إنّ مشكلة المعترضين تكمن في عدم إحاطتهم بالحدث فيأتي الاستقراء مشوّهاً وعليلاً.

إنّ الكوفة كانت في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تشكّل العمق الاستراتيجي:

ولكن التغيير الديمغرافي الذي حصل بفعل التسفيرات للعوائل الشيعية جعلها على الهامش، ولكن مع هذا التهميش خرج منها من يعادل جيشاً كاملاً في نصرة أبي عبد الله عليه السلام وسوف نفصّل ذلك.

فعليه فإن الإمام الحسين عليه السلام استطاع بنهضته المباركة إرجاع الكرامة وحفظ كيان الأمة.

وقد تشكّل الثورات المتعاقبة إحدى الأدلة على ذلك، فقد تنفّس الحسّ الإنساني الصعداء، ونفض غبار الذلّ والمهانة فأخذ يقاوم بكل جرأة حكّام الجور، وينسف كل حواجز الخوف والتردد، إنّ العبرة بالنتائج، لذلك يقول العلماء: إن أيَّ حدث يقيّم بحسب نتائجه المستقبلية وليست الآنية.

٥ ـ تغيير الواقع الإسلامي

أصبح الواقع الإسلامي في زمن يزيد سقيماً من عدة أمراض، فكان يشكو من علة «الطبقية»، والاستئثار والاستهتار، حتى قال معاوية: «نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع»[(١)].

وقد مارس معاوية سياسة التفريق والتمييز، وأصبح المجتمع الإسلامي يئنّ من هذه السياسة الجاهلية لفترة طويلة، وقد استنسخ خطة فرعون «فرّق تسد».

قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾[(٢)].

وسياسات معاوية كانت قائمة على خطط جهنمية جعلت المجتمع الإسلامي يستجيب للأمراض كافة، ومنها مرض الخلفاء المتهتكين.

أنشد الوليد بن يزيد الخليفة الأموي قائلاً:

فدع عنك أدكارك آل سعدي ... فنحن الأكثرون حُصى ومالا

ونحن المالكون الناس قسراً ... نسومهم المذلّة والنّكالا

ونوردهم حياض الخسف ذلاً ... وما نألوهم إلا خبالا[(٣)]

إنّ النفس الجاهلي واضح في هذه الأبيات، فهي تعبّر بوضوح عن العقلية الجاهلية المشبّعة بالروح العنصرية البغيضة التي جعلت المجتمع الإسلامي شيعاً، فأخذت

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص١٣٨. نقلاً عن نهاية الإرب: ج٦/ص٧.

(٢) القصص: ٤.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ محمد باقر شريف القرشي، ج١/ص٣٨٧.

الشحناء تتأصّل في النفوس، وتأخذ صوراً مقزّزة عبّرت عن نفسها في امتهان الطبقات الأقل دخلاً[(١)].

جاء في كتاب (معركة المصحف):

«ونحن نلحظ دون كد جرثومة خبيثة تفتك بالسياسة الإسلامية، وتدع فراغاً سيئاً بين الأمة والدولة، تلك هي طريقة اختيار الحاكم الذي يلي الأمور ويقود الأمة إلى ما لا يعرف وتقرّ من أهداف، ونحن نريد استئصال هذه الجرثومة لا تركها، والتغلّب على ما تنشئ من علل وأوجاع»[(٢)].

إنّ الواقع المزري الذي افترش المجتمع الإسلامي ضيّق الأفق أمامه، وجعله يتقوقع في دائرة ضيّقة الأمر الذي جرّده من وسائل التعبير الحقيقي عن ما يعانيه، وهكذا استسلم للواقع السفياني الذي جعل الإنسان صغيراً، وتشكل هذه الحالة نقطة ضعف كبيرة، فالإنسان عندما يشعر بضآلته يميل إلى الإجرام أو إلى الاستسلام، كما يثبته علماء النفس الاجتماعي، لذلك فإنّ الوصايا الإلهية تؤكد على تقوية شخصية الإنسان بالذات في السنوات الأولى.

جاء في الحديث النبوي: «بروا أولادكم صغاراً يبروكم كباراً»[(٣)].

والبر يشمل كل صور الاحترام، والطفل إذا تلقّى الاحترام والاهتمام فإنّ شخصيته تتكامل وتقوى ثم تبرز ملامحها كلما تقدم به العمر، وتبرز بشكلها النهائي عند المراهقة، وهذه المرحلة تشكل نقطة عطف مهمة في حياة الإنسان، فإذا كان

---

(١) راجع كتاب طبقات بن سعد.

(٢) معركة المصحف في العالم الإسلامي: الشيخ محمد الغزالي، ص٨٣ ـ ٨٤.

(٣) فقه الرضا عليه السلام: علي بن بابويه، ص٣٧٧. جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي، ج٢١/ص٤١٣.

الإنسان قد تلقّى الاهتمام والاحترام في سنيه الأولى فإنّه يمر بسلام، ثم يمتلك شخصية قوية لا تهتز في مواقف الحرج.

يقول علماء التربية:

«كلّما تلقى الإنسان تربية صحيحة استقامت شخصيته ونمت فيه معاني الرجولة، وهذه المعاني مطلوبة لأنّ الأجواء المطلة على بيوتنا أضحت فاسدة، فهي في كل يوم تنثر بذور الجبن والخوف والخور، فقد شاهدت بنفسي شباباً لا يملكون الشجاعة والجرأة في مواقف تستدعي أدنى درجات الشجاعة، وهذه أخطر حالة يتعرض لها شبابنا.

ثم إنّ المجتمع يساهم كثيراً في صياغة الإنسان، ويعدّ العامل الثاني بعد البيت، وقد أثبت علم النفس الاجتماعي أن الجو العام يؤثر في صياغة الإنسان وبالذات إذا تراجع دور البيت»[1].

فعليه فإنّ الواقع الإسلامي إبان معاوية تغيّر كثيراً حتى غدى غريباً عن مثل الإسلام، بدليل استسلامه ليزيد بن معاوية، وقد سعى معاوية إلى تهميش القيم الإسلامية وضرب المدن التي تشعّ ثقافة وعلماً، ومنها الكوفة، فقد أفرغها من الكوادر إمّا اغتيالاً أو تسفيراً وقضى على كل شكل من أشكال الثقافة الإسلامية.

يقول فلهاوزن: «إنّ عبيد الله بن زياد سفّر (٥٠ ألف) عائلة شيعية من الكوفة إلى إيران، فسكن الكثير منها في قم، والقسم الآخر في خراسان»[2].

فعاش الواقع الإسلامي فراغاً لا مثيل له، وأجواء جاهلية بمعنى الكلمة.

وقد عالج الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام هذه الظاهرة الخطيرة بعدة أساليب:

---

(١) حديث للأمهات: الدكتور سيوك.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: العلامة القرشي ج٢/ص١٧٨، نقلاً عن كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية.

أولاً ـ التعبير العملي

وقد أجمع النقّاد على أن ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام كانت تعبيراً واقعياً جسّد كل معاني الإسلام، فكربلاء استطاعت أن تجمع كلّ المثل العليا، وتكسوها طابعاً عملياً جمع كل معاني التعبير، فالاستقامة برزت بشكلها النهائي وذلك عندما وقف الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام يصلّي وسط الأمواج العاتية التي أحاطت به، ثم الإيثار حين وقف أبو ثمامة الصائدي يصد السهام عن سيد الشهداء عليه السلام.

وكذلك عندما رفض أبو الفضل العباس أمان عبيد الله، قائلاً لشمر بن ذي الجوشن:

«لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا، وابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا أمان له»[1].

إنها مواقف سامية لو وضعت في كفّة، ووضعت جميع مواقف الصحابة في كفة أخرى لرجحت الأولى.

من هنا فإنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول في زيارته للشهداء:

«السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه، السلام عليكم يا أنصار دين الله، السلام عليكم يا أنصار رسول الله، السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين، السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء، السلام عليكم يا أنصار الحسن والحسين، بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم فوزاً عظيماً، فيا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً».

---

(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص٨٩. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٩١. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٢٤٢.

ثانياً ـ الجمع

أمّا الأسلوب الآخر فيكمن في الجمع، فقد جمع الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام في ثورته المباركة معظم الشرائح والملل، فكان في الركب الخالد واضح التركي، ووهب المسيحي، وجون الحبشي، ومولى أبي ذر.

وكان هذا الجمع المبارك رد عملي على تصرفات بني أمية الشوفينية، وتعبير صادق عن الواقع الإسلامي الذي جسّد كل معاني الأخوة السامية. وبحق فإنّ النهضة الحسينية بمعانيها الاجتماعية والأخلاقية كانت نصراً بحد ذاته لأنّ المثل الأخلاقية التي اتسمت بها نهضة الإمام الحسين عليه السلام جعلتها «أنموذجاً حياً» يغوص في عمق الواقع.

ومن جانب فإنّ كربلاء أضحت عالماً بحد ذاته ترجم كلَّ معاني الإسلام، فلابدّ أن تبقى كربلاء حية في ضمير التاريخ، وفي قلب الإنسانية، حتى يمكن للأمم التي تستهدف السيادة والكرامة أن تستنسخ هذه المثل الحية من واقع كربلاء الحي.

وكما هو ثابت في علم النفس: «فإنّ الواقع الحيّ يؤثّر كثيراً في السلوك، وكلما تألق سمت معانيه بحيث تجعل المجتمع ينجذب إليه ويتأثر به، ثم تعصم المجتمع وتكسبه قوة في امتثال الأوامر الإلهية، وهذه القوة مطلوبة باعتبار ثقل الرسالة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾(١).

وأما في كربلاء الحسين عليه السلام فإن الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام استطاع من خلال الجمع المبارك أن يقف بقوة أمام الأعداء، وهذا هو أحد القوانين الاجتماعية الثابتة «فإن الجماعة المتماسكة تنتصر حتى لو كانت قليلة وباستطاعتها أن تهزم جيشاً جراراً» مهما بلغت قوته. قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(٢).

---

(١) المزمل: ٥.
(٢) البقرة: ٢٤٩.

ثالثاً ـ الأخلاق والرحمة

هناك محطّات مهمة جعلت الواقع الحسيني إن صحّ التعبير يسمو بكلّ تجلّياته، ويجعل من كربلاء واحة تتسع لتغطي مساحات واسعة، ثم تعلو على الزمان فتعيش في كل حين.

لقد ترجم الإمام الحسين عليه السلام أخلاق جده بكل قوة حتى غدا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاضراً في كل تفاصيل المعركة.

لقد ترجم الإمام الحسين عليه السلام «الرحمة» بكل معانيها، وهي خصلة مهمة في أيّ تحوّل استراتيجي، لذلك كانت السمة الغالبة على أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كلّ تحركاته.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند فتح مكة «اليوم يوم المرحمة اليوم تحمى الحرمة»[3].

يقول النقاد: إنّ أيّ قائد عندما يدخل مدينة لابدّ أن يقتصّ أو يثأر، إلا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعندما دخل مكة رفع شعاراً جمع كل معاني الرحمة، وآية من آيات العفو والصفح، قال: «من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سيفه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[4]، هذا الواقع الإسلامي ترجم بحق خلق الرحمة والعفو، فخلق جواً آمناً جعل الكثير ممن يكنّ العداء للإسلام يقلعه من نفسه ثم ينضم إلى قافلة الإسلام.

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الحجر: ٨٨.

(٣) أسد الغابة: ابن الأثير، ج٢/ص٢٨٤. عيون الأثر: ابن سيد الناس، ج٢/ص١٩٠. سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج٥/ص٢٢١.

(٤) السنن الكبرى: البيهقي، ج٩/ص١١٨. مسند ابن راهويه: إسحاق بن راهويه، ج١/ص٣٠٠. الاستيعاب: ابن عبد البر، ج٤/ص١٦٧٩.

إنّ هـذه الـصورة الرائعـة في الرحمـة جعلـت الرسـول الأعظـم ﷺ ينتـصر علـى الواقع الجاهلي، ويهزمه بشكل نهائي.

وقـد تـرجم الإمـام أبـو عبـد الله الحـسين عليه السلام هـذا الواقـع المحمـدي بحـذافيره في كربلاء، وذلك عندما اجتمع مع الحر بن يزيد الرياحي، وكان يقـود جيـشاً تعـداده ألـف فارس وبما أنه قطع مسافة فإنّ العطش أخذ منه مأخذاً، وظلّ يطلب الماء بإلحاح فما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلا أن يهبّ ويأمر بسقيهم، وقد سقى (بيـده المباركـة) أبـا طعـان المحاربي عندما أسرف في الماء. فقال الإمام عليه السلام: اخنث السقاء.

فلم يفهم كلام الإمام عليه السلام، بعدها قال: أنخ الراوية.

فقام الإمام وسقاه بيده الكريمة (صلوات الله عليه).

إن هذا الموقف يعكس بوضوح الرحمة والرأفة بأعلى صورها، وهذه سجية طبـع عليها أهل البيت (صـلوات الله علـيهم أجمعـين)، وأهـل بيـت النبـوة عليهم السلام طبعـوا علـى سجايا طيّبة لا تسمو إلا بهم.

إنّ الموقف السامي للإمـام عليه السلام تـرك انطباعـاً طيبـاً في قلـب الحـر بـن يزيـد، فظـلّ يتفاعل في كيانه فأوصله إلى ساحل الأمان، وهذا يدل على أهميـة العمـل الطيـب وأثـره البالغ في النفوس، فالإنسان مهما كانت طبيعته فإنه يستقبل بارتياح العمل الصالح، وقد لا يفصح عمّا يجيش في داخله، ولكن يظل يتفاعل في كيانه.

وفي إطـار واقعيـة الثـورة الحـسينية المباركـة فـإنّ الإمـام الحـسين عليه السلام حـافظ علـى حقوق الإنسان، وهذه الميّزة قلّما تتوفّر في الثّورات.

جاء في كتاب (ثورة الإمام الحسين عليه السلام دراسة في الجذور والتكوين) تحت عنـوان «الحفاظ على حقوق الناس»: «الثورة لا تعني الفوضى، وقد شاهدنا الكثير من الثورات

التي تحوّلت إلى عمليات للسلب، وسحق الكرامات، وانتهاك للقوانين والأعراف، وهذه ليست بثورة، فالثورة التغييرية هي التي تصبو إلى تنظيم المجتمع على أسس صالحة، فليس بالنهب وسلب الحقوق، والتجاوز على الآخرين يتحقق هذا الهدف، وضمن هذا الإطار جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام وهي أشد حرصاً على حقوق الآخرين، ومنها حق الناس في أموالهم وممتلكاتهم.

فقد روى الطبراني: أنّ الإمام أمر منادياً ينادي في أصحابه: «لا يقتل معنا رجل عليه دين».

فقام إليه رجل من أصحابه، فقال له: إنّ عليّ ديناً وقد ضمنته زوجتي.

فقال عليه السلام: وما ضمان امرأة[1].

وإذا تسأل عن الواقع الحسيني في كربلاء فإنه يعطيك صورة واضحة عن المثل العليا التي أصبحت على المحك في ذلك اليوم، وهو يوم من أيام الله، وهو المعنى الذي أشار إليه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله».

ثم إنّ القيم التي زرعها الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء أعطت أكلها فأصبحت تلهم وتغيّر الواقع الذي لفّ المسلمين تباعاً.

وهكذا ألهمت الكثير وغيّرت العديد، ومنهم معاوية بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، ويحيى بن الحكم أخو مروان.

إنّ معاوية بن يزيد يعدّ دليلاً واضحاً، صحيح أنّ أستاذه عمر المقصوص زرع في قلبه «حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام » كما تذهب الروايات، ولكن الواقع الحسيني هيأ

---

(١) ثورة الإمام الحسين عليه السلام دراسة في الجذور والتكوين: الدكتور محسن باقر الموسوي، ص٢١٨ ـ ٢٩١. ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، ص١٦٣.

في كيانه الأرضية التي ساهمت في احتضان حبّ الإمام علي عليه السلام وآل البيت والقيم الحسينية التي افترشت أرض كربلاء.

جاء في (الروايات): أن معاوية بن يزيد خطب في أهل الشام قائلاً:

«ألا إنّ جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به منه لقرابته من النبي صلى الله عليه وآله وقدمه وسابقته أعظم المهاجرين قدراً، وأولهم إيماناً ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته جعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، فهما بقية رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبيين، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بجرمه، ثمّ قلّد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه، وأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، وصار قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بجرمه، ثم بكى وقال: إنّ معظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأباح الحرم، وخرّب الكعبة»[1].

تقول الروايات بعد انتهائه من الخطبة دخل على أمه، فقالت له: ليتك حيضة.

قال: نعم ليتني حيضة ولم أر هذا اليوم الأسود[2].

ثم إنّ بني أمية جاؤوا إلى معلمه «عمر المقصوص»، فقالوا له: أنت علّمته التشيع وحبّ أبي تراب؟!. فأقسم أنّ معاوية جبل على حبّ «علي بن أبي طالب».

فلم يقتنعوا بذلك، فدفنوه حياً (رضوان الله عليه)، ثم عزلوا معاوية، وبعد أيام دسّوا إليه السم فمات.

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ محمد باقر شريف القرشي، ج١٣/ص٤٠. نقلاً عن النجوم الزاهرة: ج١/ص١٦٤.

(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ابن الدمشقي، ج٢/ص٢٦٢. السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: محمد بيومي، ص٦٥.

رابعاً - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويعدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأسباب الرئيسة لنهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام هو المسؤول الأول إزاء هذا الواجب بنصّ القرآن الكريم والسنة النبوية، فهو الإمام وولي الأمر.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[١].

وأولوا الأمر: هم الأئمة الاثنا عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) بإجماع المسلمين، إلا أن بعض المفسرين، ومنهم الرّازي حرّف معنى «أولي الأمر» فصرفه إلى أهل الحل والعقد من المسلمين، وقد ناقض القرآن الكريم في ذلك بإيراد بعض الإشكالات التي لا تصمد أمام الواقع.

فهو يقول: «إنه لا يمكن إرادة الإمام المعصوم من أولي الأمر كما تدعيه الروافض (الشيعة) لأنّ إطاعته والرجوع إليه في مشاكل الحياة مشروطة بمعرفته، والتمكّن من الوصول إليه وهم يعترفون بغيبته، وعدم التمكن من الوصول إليه».

ومضى يقول: «إن في الآية ما يدفع دعوى الشيعة، ذلك لأن الله تعالى أمر بطاعة الله والرسول وأولي الأمر بأسلوب واحد ولفظ واحد، واللفظ الواحد لا يجوز أن يكون مطلقاً ومشروطاً، لأنه بالنسبة إلى الله والرسول مطلق، وبالنسبة إلى أولي الأمر لابدّ وأن يكون مشروطاً لمعرفتهم، والتمكن من الوصول إليهم».

ثم إن الرازي يدّعي أنّ المراد من أولي الأمر المعصومون من الخطأ هم أهل الحل والعقد من المسلمين. وهو يؤكد أنّ أهل الحل والعقد هم المعنيون في هذه الآية فهم معصومون.

---

(١) النساء: ٥٩.

والرد عليه:

(أ) ـ أنّ الرازي يذهب إلى عصمة أهل الحل والعقد، ولكن أين هم؟.

يقول الشيخ الغزالي:

والواقع أن أهل الحل والعقد يمكن أن ينتظموا في ملك الأمور الثلاثة المشهورة، القول، والعنقاء، والخل الوفي، إنهم في واقعنا المديد أمنية حالمين[١].

إننا نسمع ونقرأ عن أهل الحل والعقد، ولكن لا نجد لهم أثراً لا في زمن الصحابة، ولا زمن الخلفاء العباسيين والأمويين، وإنما هي فكرة موهومة اصطلح عليها بعض علماء السنة.

وكنت أتمنى من الرازي أن يثبت حادثة واحدة اجمع عليها أهل الحل والعقد، وإذا كان يحتج بالشورى التي عيّنها عمر بن الخطاب فإنّ «عبد الرحمن بن عوف» الذي كان من ضمنهم خرق الشورى عندما بايع عثمان بن عفان، الذي أبلى سنة رسول الله ﷺ على حد تعبير السيدة عائشة وقد خطأه الكثير، وفي مقدمتهم عائشة عندما قالت: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[٢].

---

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية: الشيخ محمد الغزالي، ص١٣٤، طبع دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢) الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي، ص٥١٦. الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي، ج٣/ص١٦٤. اثنا عشر رسالة: المحقق الداماد، ج٣/ص١٠٦. الجمل: ضامن بن شدقم المدني، هامش ص٢٤. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣١/ص٤٨٤. الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي، ص١١٥. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦/ص٢١٥. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج٢٢/ص١١. المحصول: الرازي، ج٤/ص٣٤٣. تاريخ الطبري: الطبري، ج٣/ص٤٧٧. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣/ص٢٠٦. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني، ج١/ص٥١. كتاب الفتوح: أحمد ابن أعثم الكوفي، ج٢/ص٤٢١. النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج٥/ص٨٠. لسان العرب: ابن منظور، ج١١/ص٦٧٠. تاج العروس: الزبيدي، ج١٥/ص٧٤٥. تقريب المعارف: أبو الصلاح الحلبي، ص٢٨٦. تاريخ الطبري: الطبري، ج٣/ص٩٢.

ثم إن الشورى انتهت بعد تولي عثمان بن عفان، وعفى عليها الزمن فعادت الأمة إلى رشدها بعد أن رجعت إلى النص النبوي.

(ب) ـ ثم كيف يذهب الرازي إلى أهل الحل والعقد في تفسير «أولي الأمر»، وقد قرن الله طاعة «أولي الأمر بطاعة الله عز وجل»، ومعنى هذا أنهم بمستوى الأنبياء، وقد عرفت سلوك عبد الرحمن في اختياره عثمان بن عفان.

(ج) ـ وإذا كان قد احتجّ الرازي بصعوبة معرفة «أولي الأمر» فإنّ معرفة أهل الحل والعقد أصعب وأشق من معرفة فرد أو أفراد في أزمنة متفرقة.

فليس من السهل معرفة أهل الحل والعقد، واستقصاء آرائهم، والإطلاع على اجتهاداتهم.

(د) ـ ثم إنّ أهل الحل والعقد يناقض النص النبوي الشريف في ولاية أولي الأمر وهم الأئمة الاثنا عشر (صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

(هـ) ـ وقد أشكل الرازي أنّ «أولي الأمر» من صيغ الجمع، وعند الشيعة لا يكون في الزمان الواحد إلا إمام واحد، وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر.

والجواب إنّ هذا الجمع هو نوع من العموم الاستغراقي الذي لا يشترط فيه اجتماع أفراده كلهم في وقت واحد، فإذا قال قائل: أكرم العلماء فيصبح هذا الحكم منه ولو كان وجود العلماء مترتباً بحسب الزمان، فالعموم الاستغراقي يتجه إلى الأفراد ما وجد منهم وما سيوجد، كما هو الشأن في أكثر العمومات القرآنية.

---

(١) صحيح البخاري، صحيح مسلم، الترمذي، سنن ابن ماجة، فقد أورد الحديث البخاري حديث النبي صلى الله عليه وآله في تعيين الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين).

(و) ـ ويورد الرازي إشكالاً آخر أنّ الآية لو كانت تعني أئمة الشيعة لوجب أن يقول: فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الإمام، لأنه يعبّر عندهم عن الله والرسول، مع أن الفقرة الثانية من الآية نصّت على وجوب ردّه إلى الله والرسول لا غير، ومحصل الجواب أن عدم اشتمال الفقرة الثانية من الآية على ذكر «أولي الأمر» لا يخلّ بالمراد لجواز الحذف في الكلام اعتماداً على ذكر المحذوف في الفقرة الأولى الذي يغني عن إعادة ذكره، بل يكون الحذف في بعض الأحيان من «محسنات الكلام»، وبعد أن فرضت الآية إطاعة الله والرسول وأولي الأمر لم يعد من موجب لذكر أولي الأمر.

علماً أن الله عز وجل ذكر أولي الأمر والرجوع إليهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[1].

ثم إنّ أولي الأمر هم الأئمة الاثنا عشر بحق (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد ذكرهم رسول الله ﷺ في أكثر من موطن، وقد قرنهم بكتاب الله عز وجل.

قال رسول الله ﷺ:

«إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا أبداً حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2].

---

(١) استفدنا في البحث من كتب العقائد ومن التفاسير، راجع: الشافي، ودلائل الصدق. وتفسير الأمثل، وسيرة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ـ: للسيد هاشم معروف الحسني.

(٢) نيل الأوطار: الشوكاني، ج٢/ص٣٢٩. ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص١٦. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٣/ص١٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص١٤٨. مجمع الزوائد الهيثمي، ج٩/ص١٦٣. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج٧/ص١٧٦. كتاب السنة: عمرو بن ←

ولا يمكن أن يقرن بكتاب الله عز وجل إلا من عصمه الله عز وجل، والعصمة ثابتة للأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) بنص الكتاب.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2].

فالخالق عز وجل لا يأمر بمودة أحد إلا إذا كان سديداً لا يعصي الله طرفة عين وهم قربى الرسول ﷺ، وكما هو ثابت في كتب التفسير (الزمخشري، والقرطبي، والدر المنثور) فإنّ القربى هم: الحسن، والحسين، وعلي، وفاطمة عليهم السلام.

أبي عاصم، ص٦٢٩. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ص٣٠٣. المعجم الأوسط: الطبراني، ج٣/ص٣٧٤، وج٤/ص٣٣. المعجم الصغير: الطبراني، ج١/ص١٣١، وج١/ص١٣٥. المعجم الكبير: الطبراني، ج٥/ ص١٥٤، وج٥/ص١٦٦، وج٥/ص١٧٠. دستور معالم الحكم: ابن سلامة، ص١٤٦. كنز العمال: المتقي الهندي، ج١/ص١٨٧. تفسير الثعلبي: الثعلبي، ج٩/ص١٨٦. شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ج٢/ ص٤١. تفسير البغوي: البغوي، ج٤/ص١٢٥، وج٤/ص٢٧١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج١/ص٣٦. تفسير الرازي: الرازي، ج٨/ص١٣٧. تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي، ج١/ص١١٧. تفسير ابن كثير: ابن كثير، ج٤/ص١٢٢. تفسير الآلوسي: الآلوسي، ج٢٢/ص١٩٥. الأحكام: الآمدي، ج١/ص٢٤٦. الكامل: عبد الله بن عدي، ج٦/ص٦٧. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٥٤/ص٩٢. سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٩/ص٣٦٥. معجم المطبوعات العربية: أريسان سركيس، ج٢/ص١٨٤٠. سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج١١/ص٦. السيرة الحلبية: الحلبي، ج٣/ص٣٣٦. ينابيع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج١/ص١٠٣. النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج١/ص٢١٧. لسان العرب: ابن منظور، ج٤/ص٥٣٨. القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ج٣/ص٣٤٢. تاج العروس: الزبيدي، ج١٤/ص٨٥.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

وبعد هذه الملاحظات لم يعد هناك إشكال أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو وليّ الأمر في زمانه، فهو المسؤول الأول عن الأمة وعن قضاياه المصيرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إحدى أهم القضايا التي تهم الأمة بالذات إذا كان الأمر يرتبط بسلطان جائر مثل يزيد.

وكان الشعار الأمثل للإمام الحسين عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»[1].

فهذه الرسالة تعبر عن مشروعه الإسلامي الذي يدخل في صميم العملية التغييرية، فهو يستهدف إرجاع معالم الدين التي أخذت تتهاوى بفعل الممارسات الجاهلية من قبل حكام بني سفيان، وهذه المهمة كانت تتطلب شخصية عظيمة كالحسين عليه السلام، فقد ثبت في علم النفس التربوي: «إنّ الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي لا ينهض به إلا من توفرت فيه صفات عالية»، فقضية الإصلاح لها علاقة جدلية بـ«بشخصية المصلح»، وكلما سما «المصلح» تصبح قابلية الإصلاح عنده أقوى.

ولا يشكّ اثنان أنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام هو الأجدر في تحمل المسؤولية والأوفق في أداء مهامها.

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٣٠. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١٧٩. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٣٠. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٢٨. كربلاء، الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب، ص١١٤.

وقد أثبتت الوقائع وكربلاء بوضوح جدارة الإمام الحسين عليه السلام، في أدائها فقد تجلّت عوامل السمو في شخص الإمام عليه السلام حتى أضحت عنواناً بارزاً.

وهذه العوامل مهمّة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهما يتطلبان نكراناً للذات وشهامة وشجاعة، وتجلت هذه الصفات في مواطن عدة منها عندما ترك الماء بعدما سمع الإمام عليه السلام هاتفاً يقول: «أتشرب الماء وقد هتكت حريمك». فتوجه إلى الخيام[1].

وكذلك عندما سقط (روحي له الفداء) على الأرض فقام متوجهاً إلى الخيام، ثم كبا على وجهه كلّ ذلك حفاظاً على حريمه.

و«صفة الإيثار» عندما قدّم ولده علياً الأكبر شبيه جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وصفة الشجاعة حتى قال أحد الأعداء: «والله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً ولا أقوى جناناً منه».

إنّ العملية الإصلاحية تتطلب عدّة عوامل تأتي في مقدمتها صدق المصلح، وهذه باتت من البديهيات، من هنا فإنّ الإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يصلح المفسد من الأخلاق بكل قوة، لأنه كان صادقاً مع أهدافه وأصحابه ومجتمعه.

فقد حدّد الهدف من ثورته المباركة، الذي يكمن في استئصال رأس الفساد «يزيد بن معاوية»، فظلّ هذا الهدف المحور الأساسي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ولم يتغير في مراحل ثورته كافة، فهو لم يعلن هدفاً موهوماً كي يجلب عواطف الناس كما فعل عبد الله بن الزبير، ثم إذا تحقق الغرض ظهر الهدف الحقيقي «الإمارة والسلطة»، ولكن الإمام أبا عبد الله عليه السلام حدّد الهدف هو إسقاط يزيد بن معاوية، ومنذ إعلانه رفض

(١) راجع نفس المهموم.

البيعة، ثم إنه ثبت على هذا الهدف الذي أصبح واضحاً للجميع، الأمر الذي جعل الكثير ينفضّ من حوله لأنه كان يتوقع أن يستولي الإمام على السلطة، ثم تتحول إلى بقرة حلوب يستدرّ منها أصحاب المصالح.

لكن الذي حصل أنّ الإمام (صلوات الله عليه) أعلن هدفه الحقيقي القائم على الحق والعدالة، وهذا واضح من خلال عبارة «في أمة جدي، وأسير بسيرة جدي وأبي»، فالإمام عليه السلام ربط تحرّكه بسيرة جده وأبيه (صلوات الله عليهم).

فليس هدف الإمام (صلوات الله عليه) السلطة وإحكام السيطرة، وإن كان من حقه ذلك حسب النص النبوي، والاتفاق المبرم بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام [1]، فالإمام (صلوات الله عليه) تحرك على وفق آلية تكمن في استنهاض الحسّ الديني الذي كاد أن يموت.

وهذا الأمر يتطلّب تحركاً واقعياً، وهكذا خرج الإمام (صلوات الله عليه) بأهل بيته وعشيرته ليدلّل بشكل عملي تحمل المسؤولية إزاء ما يحدث في المجتمع الإسلامي، ويشكل الخروج بأهل بيته وعشيرته أهمية استثنائية في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقد وضح للجميع أنّ الإمام (صلوات الله عليه) مستعد أن يبلغ أعلى درجات التضحية في سبيل دين جده رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فهو لا يظن بأحد فضلاً عن نفسه المباركة، وهكذا يجسّد مفردات الأمر المعروف والنهي عن المنكر، فعندما ترى الإنسان يُخرج أعزَّ ما لديه، ثم يقدمهم قرباناً لمبادئه فلا مجال للتشكيك أو للظنون، فأصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقعاً عملياً في نهضة الإمام، وأحدث نقلة نوعية في

---

(١) صلح الحسن: الشيخ آل ياسين.

تحركه، ومن جانب لو كان الإمامُ باقياً في المدينة ويصدّر الأوامر ما كانت لتجد الصدى المطلوب، وتأخذ مداها الحقيقي، فالمصلح الحقيقي الذي يروم التغيير الواقعي بالذات وتغيير السلطة لابدّ أن يقوم بهذا التغيير بنفسه وبخطوات عملية فاعلة.

ثم إنّ الإمام (صلوات الله عليه) قام بخطوات مهمة على صعيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال التعامل الفذ مع أعدائه ومناوئيه، والكل يعلم تعامل الإمام مع أهل المدينة ومكة وباقي المدن.

وما خروج الإمام من المدينة إلا ليحقّق مفردة مهمة من مفردات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تكمن في حفاظه على قدسية المدينة الذي لم يستعملها درعاً وأهلها أمام أي تحرك مضاد قد يتخذ طابعاً إجرامياً كما حدث إبان ثورة المدينة «واقعة الحرة» حيث استباح يزيد بقيادة «مسرف بن عتبة» المدينة ثلاثة أيام فهتك ألف حرة وقتل آلاف من أبناء المهاجرين والأنصار.

وتعد تجنيب المدينة من ساحة المواجهة نقطة مضيئة في سجل ثورة أبي الأحرار عليه السلام لأن معظم الثوار يستعملون المدن والناس دروعاً بشرية وهذا خطأ فاحش لأنّ العُزَّلُ هم أول الضحايا.

ثم إن توجه الإمام إلى مكة واجتماعه بالحجيج، وعرض مشروعه الإصلاحي عزّز آلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالقائد ما لم «يصحر» بنفسه بالذات إذا كان يحمل مشروعاً مهماً ويلتقي بالناس لا يمكن لمشروعه أن يرى النور فضلاً عن النجاح.

والناس تريد أن تعرف الأمر من الشخص، وهذه قضية نفسية لها علاقة في تحمل المسؤولية، فبقدر وضوح المشروع وإخلاص المصلح تتعمق العلاقة، ويكتسب المصداقية الكافية.

أما إذا كان المصلح في بروج مشيدة ويرسل تعاليمه عبر أناس، ثم يطلب الاستجابة والتفاعل فإنّ هذا يعدّ ضرباً من الخيال، ولا أحد ينكر سلامة التعاليم الإسلامية وسموّها، ومع سموّها فإنّ النبي الأكرم ﷺ قام بنفسه في تبليغها، وأعلن عن بدء المشروع الإصلاحي الكبير الذي عمَّ أرجاء المعمورة.

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلّب نكراناً للذات، وهذا ما وجدناه واضحاً في سلوك الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فقد خرج هو وعائلته وعشيرته وحتى الطفل الرضيع، وهذا يدلل بوضوح على نكران ذاته، فالقادة عادة يضنّون بعائلاتهم، ويضربون حولهم طوقاً أمنياً، وقد لا يفرطون بواحد منهم، ولكن الإمام أبا عبد الله عليه السلام خرج بعائلته وعشيرته، وهذه أرفع صور نكران الذات، ثم في كربلاء قدمهم قرباناً لقيم الإسلام ولدين جده.

ثم إذا عرفنا من قدم الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام لعرفنا تماماً معنى نكران الذات.

لقد قدم الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام «قمر بني هاشم» الذي كان صورة حقيقية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وعليّ الأكبر أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله محمد ﷺ، والقاسم بن الإمام الحسن عليه السلام، والحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وطفله الرضيع «عبد الله»، والصحابي الجليل حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، والصحابي العظيم أنس الكاهلي[1]، وبرير بن خضير قارئ القرآن، وعابس بن شبيب الشاكري، وغيرهم.

---

(١) أنس الكاهلي من صحابة النبي ﷺ، وقد شهد معه بدراً وحنيناً، وقد سمعه يقول: «يقتل ولدي بأرض كربلاء فمن شهد ذلك فلينصره».

يقول الشاعر:

لله أقمــــار أفلـــــن بكـــــربلا ولهــا بيثــرب بالمحــصّب مطلــعُ

أنـــست بهـــم أرض الطفـــوف هــضبات يثـرب والمقــام الأرفــعُ

وكما أسلفنا فإنّ القيم في كربلاء تحقّقت بكل معانيها، وتجسّدت بأرفع صورها، فقد بلغت القمة، وهي لم تزل تتربع على عرش الفضائل، فهي لا تأفل أو تميل حتى لو تقادمت عليها السنون أو القرون لأنّ الحق لابدّ أن يعلو حتى يكشف الباطل، ومن القواعد الأساسية كلما يرتفع الحق يتعرى الباطل ويظهر على حقيقته، إنه قانون من قوانين الحياة، فلابدّ للحق أن يعلو حتى يبدد ظلام الباطل.

يقول جورج جرداق في كتابه القيّم (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية):

«إن تاريخنا العربي لم يكن ظلمة وظلماً، ففي بقايا لياليه ومضات وبروق: وفي دياجيره متألقات وأهلة، وفي غياهب جوره غرر حسان وأيام بيض وشموس ضاحكات، ثم أمطار هتنتْ بها السماء على صحاريه رذاذاً تارة وطوراً عباباً.

فإزاء زياد بن أبيه يقتل على الظنة، ويعاقب على الشبهة، يقوم حجر بن عدي يبذل دمه إكراماً لقيمة، ونفوراً من جور، ورغبة في عدل، وتعظيماً لوفاء، أو يقوم كذلك عمرو بن الحمق الذي آثر أن يطوّف برأسه في أنحاء البلاد على أن يخضع لظالم أو يذل لمستبد.

وإزاء عبيد الله بن زياد، يشمخ الحسين بن علي وقصته مشهورة»[1].

---

(١) علي صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق، ج٢/ص١٧٨. أسد الغابة: ج١/٣٤٩. الإصابة: ج١/ص٦٨.

خامساً ـ العزة والكرامة

من الأسباب التي ثار من أجلها سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام العزة والكرامة، وهما ركنان أساسيان من أركان المجتمع، إلا أنّ حكم بني سفيان أخذ ينقض هذه الأركان، فقد آلى معاوية بن أبي سفيان على نفسه إلا أن يسلب كرامة الأمة وعزتها، ويجرّدها من أيّ صفة تساعدها على سموها ورفعتها.

فقد جرّدها من صفة الكرامة، وذلك عندما ولى على الأمصار من لا يفقه معاني الكرامة والعزة، فزياد ابن أبيه أحد الولاة الذين لم ولن يستوعبوا معاني العزة والكبرياء والشموخ، لأنه تربّى في جو مقفر تماماً من مفردات السمو والرفعة، ثم إنه لا أصل له.

وكما هو ثابت في علم النفس التربوي فإنّ الابن يأخذ من صفات أبيه وأمه، وكلما كانت العلاقة سامية، فإنّها تساهم في ترسيخ أسس الفضائل النفسية، والصفات الحميدة، لكن زياد ابن أبيه لا يعرف له أب حتى يمكن أن تقوم علاقة طيّبة مع الآخرين، فهو ينسب لأكثر من واحد، منهم أبو سفيان الذي كانت علاقته سيّئة مع زوجته هند، فكيف بأم تتعاطى الزنى.

ومن ولاته «سمرة بن جندب» الذي قتل ثمانية آلاف من البصرة، وقال: لو قتلت ضعفهم لما خشيت[1].

و«عمرو بن العاص» الذي ساوم معاوية على مصر، ورفض نصيحة ولده عبد الله وغيرهم، فهؤلاء سلبوا العزة والكرامة من الأمة، وكل مقومات الحياة الكريمة حتى أضحت الحياة قاحلة من كل صفة سامية فسفت الأنفس، لأنّ العزة والكرامة تهيأ

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ترجمة سمرة بن جندب.

النفس وتمكنها من احتضان الصفات العالية. لقد غابت مفاهيم العزة والكرامة عن حياة المجتمع الإسلامي فأصبح سهل الانقياد، لكل صغير وذليل وتمكنت فيه عقدة الذيلية، وهذه قاعدة حياتية.

يقول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ[1]

والمجتمع الإسلامي ظلّ يعاني من الذيلية لأن ابن أبي سفيان جرّده تماماً من كل معاني السمو والرفعة، وهكذا انقاد لمعاوية في كل شيء حتى في «حتف نفسه».

ويحزّ في نفسي أنّ الناس ينقادون بسهولة لمن يهلكهم، ولكن يثاقلون إلى الأرض لمن ينقذهم، ويأخذ بأيديهم إلى العزة والكرامة.

وهذا ما حدث في زمن أمير المؤمنين علي عليه السلام، والإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وفي كل زمان، فقد أدخل معاوية أهل الشام في حرب صفين بسهولة، وهي كفر ونفاق[2]، أما الإمام علي عليه السلام فقد عانى كثيراً من جماعته.

ثمّ إنّ معاوية استعمل أسلوباً في تجريد كرامة الأمة قلّ نظيرها تكمن في إسقاط شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وشخصية الإمام علي عليه السلام، وشخصية النبي صلى الله عليه وآله تشكّل القدوة الحسنة.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[3].

---

(١) أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج٢/ص٥٥٧. الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان، ص٩. يتيمة الدهر: الثعالبي، ج١/ص٢٥٠.

(٢) راجع المستدرك، والإصابة، والاستيعاب.

(٣) الأحزاب: ٢١.

وقد أشاد الباري عز وجل في هذه الآية برسول الله ﷺ حتى جعله نموذجاً في الأسوة، بإضافة حسنة، وهذه قمة الكمال، ثم ربط الأسوة الحسنة برضا الله عز وجل ورجاء الآخرة، فالباري عز وجل جعل رسول الله محمد ﷺ في قمة الكمال إذ ربط مصير الإنسان بالاقتداء برسول الله ﷺ.

ولكن الذي حدث في حكم معاوية أن جعل رسول الله ﷺ شخصاً تلقّه الكثير من الاتهامات فهو رجل يحب التبرج والغناء[1]، وأيضاً يحب اللهو والضرب على الدفوف، والكثير من الاتهامات التي افتراها معاوية وألصقها برسول الله ﷺ، ثم أوجد السبيل كي تطبع في (صحيح البخاري)، و(مسلم)، وغيرهما من الصحاح.

وبهذه الطريقة استطاع معاوية ابن أبي سفيان أن يقلّل من شخصية الرسول الأعظم ﷺ في نظر أتباعه، ويجعله شخصية عادية تقترف الذنوب، وتتعاطى المعاصي (والعياذ بالله) كي يتسنّى له اجتراح أعظم الموبقات، وارتكاب أفظع الجرائم.

وهذا السلوك المشين أثّر في المجتمع، فجعله ينسج على منوال قائده، والمثل يقول: «إذا أردت أن تعرف القوم فاعرف من يقودهم».

وقد سرت موجات السلوك الأهوج لمعاوية في مفاصل المجتمع مما جعله يفقد تباعاً عناصر شخصيته.

قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾[2].

---

(١) راجع البخاري: باب عيد الأضحى. قبس من نور فاطمة عليها السلام: للمؤلف.

(٢) الزخرف: ٥٤.

يقول روجيه غارودي: «إنّ أول انحطاط في المجتمع الإسلامي ابتدأ بالثورة المضادة اجتماعياً وسياسياً والتي رافقها تضليل وتحريف ديني حول اليقظة الدينية إلى عملية تقديس للنظام الحاكم»[1].

إنّ أول انحطاط ضرب المجتمع الإسلامي يكمن في طاعته لمعاوية ويزيد، فإنّ الطاعة لحاكم مثل معاوية تجعل الإنسان يسف ويقبع في مستنقع الجهل والتبعية، وآية ذلك أنّ أهل الشام لم يعترضوا عندما أقام معاوية صلاة الجمعة في الأربعاء[2].

وأما الفساد الأخلاقي فقد عمّت أجواؤه النتنة كل ربوع الدولة الإسلامية وأول المدن التي أطلّ عليها المدينة وبعدها مكة.

وهكذا انتشر الفساد الأخلاقي، وهذا مما سلب الكثير من صفات العزة والكرامة، لاسيما والمجتمع الإسلامي كان يعاني من إسقاط الشخصيات العملاقة، فألقت بظلالها السوداء.

وكما أسلفت فإنّ معاوية حاول إسقاط سيد الكائنات وسيد الوصيين حتى يتسنى له إفساد المجتمع، ثم السيطرة عليه، وقد انبرى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لمخططات معاوية قائلاً: «أيها الناس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»[3].

---

(١) علي عليه السلام إمام لكلّ العصور: نقلاً عن كتاب كيف انتشر الإسلام: ص٣٩٣، طبع دار الأعلمي، بيروت.

(٢) النصائح الكافية لمن تولى معاوية: محمد بن عقيل.

(٣) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٥٠٥. الأمالي: الشيخ المفيد، ص١٢٢. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٨٢. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٢٣٢. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٩٢. معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج١/ص١٩٠.

وهكذا حدد الإمام ﷺ ملامح العهد السفياني، منها الجور الذي من أظهر صوره سلب الكرامة والعزة، والصورة الأخرى تغيير الموازين الشرعية، فقد عمل معاوية ويزيد على تغيير الموازين الشرعية حتى يتسنّى لهم اللعب بمقدرات الناس كيفما يشاؤون، وذلك لأنّ الموازين الشرعية تحفظ كرامة الإنسان وتكسبه عزة لا مثيل لها، ومن ثم تعطيه القيمة الحقيقية.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾[١].

فهذه الآية تبرز أهم الميزات «الكرامة، والقوة، والرزق الطيب، والتفضيل»، وهذه تكفي في قوة الإنسان وسموه.

جاء في قوانين علم النفس الاجتماعي: أنّ الإنسان إذا أحسّ بقوته وأنه شخص يعتدّ به لا يخضع بسهولة، ولا يستجيب لمن يذلّه، ولكن معاوية ويزيد عملا على سحق شخصية الإنسان، ونسف مقوّماته «يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان»، ثم تجاوزا في انتهاكه كل الحدود عبر طرق غاية في الدناءة، منها الرشوة، وأكل الحرام، وإشاعة الأجواء الفاسدة، والترهيب، فقد قتل معاوية ما لا يحصى من الصحابة والأخيار، ثم توليه يزيد[٢] الذي شكّل انتهاكاً صارخاً لكل المقدسات.

يقول المؤرخون والمحدثون:

إنّ معاوية ابن أبي سفيان أهدر كرامة الإنسان بشكل لا مثيل لها عندما ولى يزيد ملكاً، لأنّ الأخير لا يقيم وزناً لأيّ حق من حقوق الإنسان.

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) النصائح الكافية. معاوية في الميزان.

والدليل على ذلك انتهاكه حرمة المدينة المنورة في واقعة الحرة، وفرض البيعة على سيد شباب أهل الجنة، ثم تضييق الخناق عليه حتى ألجأه إلى إلى مكة، وفيها دبّر ابن أبي سفيان مؤامرة قذرة لاغتياله حتى لو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.

وبعد مكة ألجأه إلى كربلاء، فقتلوه، ثم وطئوا صدره الشريف، ولم يكتفوا بذلك فقطعوا رأسه الشريف، ورؤوس أهل البيت وأصحابه.

إنّ مجزرة كربلاء أو قل ساحة كربلاء أبرزت الملامح الكالحة لوجه معاوية ويزيد وبني سفيان، فظهر بطلانهم بشكل لم يجعل لأحد شكاً في قذارتهم، وسيئاتهم، فكربلاء أظهرت الملامح الرئيسة، ولولاها لم تظهر قسمات وجه بني أمية.

وليس مثل كربلاء من يكشف الزيف والبطلان.

إنها كربلاء الحسين عليه السلام ترفع وتضع، تعزّ وتذل، ترفع من يرتفع إليها، وينهل من نميرها حتى إذا تربّع في القمة صار عنواناً بارزاً، وقانوناً من قوانين الحياة، وتضع من يحاول أن يتطاول عليها ويسطو على قيمها.

فيتحول إلى أمثولة يسخر منها التاريخ، والأمثلة كثيرة، فحسين كامل حاول أن يقارعها قائلاً: «أنت حسين وأنا حسين» ولكن سرعان ما تلاشى واندثر، وصار عبرةً لمن اعتبر.

إنها كربلاء.. القانون الذي يأبى التعطيل.

أتى إليها الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام ليرسم صورة سامية للعزّة والكرامة، ثم ينحتها في ضمير الإنسانية، فدخلت العزة والكرامة إلى قلب كل إنسان، وليس المسلم حسب، لقد ألبس الصفات السامية ثوباً لا يبلى ولا يُخلق.

جاء في كتاب (الثائر الأول في الإسلام):

قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام وهو ينظر إلى الحشد الهائل، وقد فرضوا طوقاً حوله: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين الذلة والسلة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[1].

يقول النقّاد والمحللون:

لا يمكن لإنسان فقد خيرة أهله وأصحابه ثم يظلّ وحيداً مع عائلته وهو يتسلق أعلى درجات البطولة والشهامة إلا ما كان من الإمام الحسين عليه السلام الذي ضرب مثلاً رائعاً في ذلك، وبذلك استطاع أن يتحدى الجموع بكل قوة، ويقف وكأنّ وراءه جيوشاً كبيرة.

وهكذا استطاع الإمام عليه السلام أن يركز أعمدة العزة والكرامة في المجتمع، ويعطيها طابعاً فذاً يختلف كثيراً عما يشرعه المنظرون، إنّ صفة العزة والكرامة تتطلب جهداً استثنائياً بالذات إذا انسلخت مدة طويلة عن واقع المجتمع.

فليس من السهل إرجاعها إلى جسد الأمة ما لم يصاحبها واقع عملي صادق وفذ.

من هنا فإنّ الإمام أبا عبد الله عليه السلام أدرك هذا المفهوم فرأى أنّ العزة والكرامة قد انتزعت من نفوس القوم، وصارت غريبة عن حياتهم، فأصبحوا أذيالاً بما للكلمة من معنى، وتأكدت فيهم صفة «التذبذب والانقياد الأعمى»، فجاؤوا بعمى لقتال سيد الشهداء عليه السلام، ثم الإصرار في قتاله وسبي ذراريه، فكان عليه (صلوات الله عليه) أن

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٥٨. الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج٢/ص٢٤. مثير الأحزان: ابن نما الحلي، ص٤٠.

يغير الواقع المزري الذي قبع فيه القوم، فما كان منه إلا أن يسطّر الصفحات الرائعة في العزة والكرامة.

«والله لا أفرّ فرار العبيد، ولا أقر إقرار العبيد، إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»[1].

لقد رفض كل أنواع المساومة والذلّ، وصمد إلى آخر لحظة وكان بين جنبيه نفس أبيه، فلم تنل منه الجموع والحشود ثلمة ولو صغيرة، إنها البطولة بأعلى صورها، والشهامة في أسمى معانيها، وتبقى الصفات السامية مدينة للإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وتشرق كلما التصقت بسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فهو ليس فقط سيد الشهداء إنما سيد الصفات السامية، وها نحن بتنا نعرف معنى الصفات السامية من خلال معاني كربلاء الإمام الحسين عليه السلام.

فكربلاء أحدثت منعطفاً في معاني الصفات، فقبل ملحمة كربلاء غارت معاني الصفات العملاقة ومعاني الدين حتى بات الواحد منهم لا يفهم معنى التملق إلى الحاكم، فراح يتمسح على أعتابه بكل طواعية وبدراهم معدودة، وكأن لم تكن للمعاني وجود وتاريخ.

لقد جرد معاوية ابن أبي سفيان الواقع الإسلامي من كل معانيه، فأضحى هزيلاً وخاوياً إلى درجة لم يألفه الناس حتى في الجاهلية الأولى، فباتت الذلة والمهانة والتملق الطابع الغالب على المجتمع الإسلامي، فأضحى المجتمع مهزوماً في داخله، وبذلك فقد الثقة بنفسه، فبات لا يصدق أنه إنسان يعتدّ به.

---

(١) مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩/ص١٩٣. المعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص١١٥. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٤/ص٢١٨. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ص٤٨. كشف الغمة: ابن أبي الفتح الإربلي، ج٢/ص٢٤٢. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٩١.

جاء في كتاب (أضواء على النفس البشرية):

«إننا يجب ألا نشعر بالهزيمة.. هزيمة الفرد أمام نفسه، أو أمام الآخرين، لأنها في الحالتين ضعف للثقة بالنفس، وعندما تضعف ثقتنا بأنفسنا نفقد ثقتنا بالآخرين، وفاقد الشيء لا يعطيه، ونكون قد خسرنا المعركة الواحدة مرتين لأنّ الثقة بالنفس هي مفتاح السلام الحقيقي للحرب الطاغية بين الأفراد والجماعات»[١].

إنّ معاوية أراد أن يهزم الإنسان في داخله، وذلك بقتل شخصيته، وكما أسلفت فإنّ الهزيمة من الداخل تشكّل قتلاً للإنسان، فجاء التحرك الحسيني ليرجع الثقة إلى نفس الإنسان، ويمدّها بروافد العزم والمضي.

في كربلاء تنفست المعاني السامية الصعداء، وألقت عن وجهها الستار القاتم الذي صنعه بنو سفيان.

إنّ الدرس الذي نتعلّمه في العزة والكرامة يكمن في إباء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام لكل ألوان المساومة والمهادنة.

لقد تحدى الحكم بكلّ شموخ وهو في أصعب الظروف، فالحكم الغاشم لم يجعل للإمام (صلوات الله عليه) هامشاً ولو ضئيلاً من الحرية، ولكن أبى أبو الضّيم أن يستجيب.

فجاء الرد: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»[٢].

---

(١) أضواء على النفس البشرية: الدكتور الزين عباس عمارة، ص٢٨٨، ط دار الثقافة، بيروت.

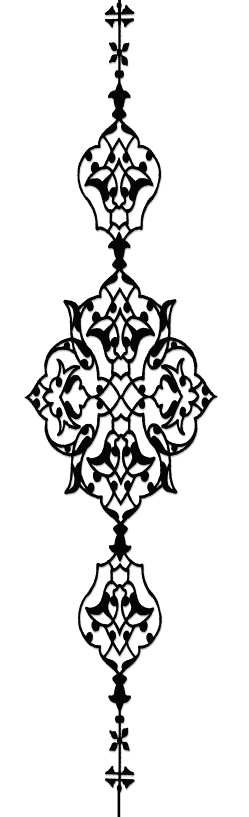
(٢) مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩/ص١٩٣. المعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص١١٥. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٤/ص٢١٨. اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ص٤٨. كشف الغمة: ابن أبي الفتح الإربلي، ج٢/ص٢٤٢. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٩١.

وهذا درس بليغ لنا نحن المسلمين، فعلينا أن نستقيم أمام الباطل حتى لو ملأ الدنيا خيلاً ورجالاً وملك ظهيراً من الباطل، فتبقى قدرته محدودة إزاء قدرة الباري عزوجل.

وهناك معادلة ثابتة كلما ازداد الإنسان استقامة قويت عنده الإرادة، وتجذّرت حتى تصبح ملكة.

إنّ الاستقامة مطلوبة في ساعة العسرة لأنها تشكّل المصداق العملي لقوة المبادئ وعمقها في كيان الإنسان، فالاستقامة تشكّل أبرز مظاهر عمق العقيدة، والاستقامة مطلوبة من المؤمنين طالما الكفّار يستميتون في الدفاع عن مبادئهم التي لو قيست إلى مبادئ الإسلام لا تشكّل شيئاً يذكر.

فعليه فإنّ الإمام الحسين عليه السلام أكّد صفات العزة والكرامة في حياة الأمة الأمر الذي أدّى بها إلى الوقوف بقوة أمام التيار السفياني تباعاً، فانبثقت الثورات في كل أرجاء الدولة الإسلامية، ولولا إحساسها بالعزة والكرامة لما أقدمت بهذه القوة، ووقفت شامخة أمام حكم السفيانيين.



الفصل التاسع

خطط الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

خطط الثورة الحسينية

لكلّ حركة خطّة، بالذات الحركات التغييرية التي تستهدف تغيير معالم الأمة، فمن البديهي أن تقوم هذه الحركات على خطط «إستراتيجية» تضع في حسابها كلّ الاحتمالات.

ولابدّ من إخضاع الحركة إلى خطط مدروسة، ومن أصحاب التجربة والخبرة حتى لو لم ينتموا إلى الخط فلا بأس أن تأخذ الحركة بآرائهم وتضعها في الحساب إن الحركات التغييرية ينبغي عليها دراسة المشروع وإخضاعه إلى نقاش معمّق حتى يقيها المطبات الخطرة.

إنّ نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام قامت على خطط مدروسة فأعطت نتائج باهرة لا زالت تتفاعل في المجتمعات البشرية، وليست الإسلامية حسب.

وقد اعتمد الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام جملة خطط إستراتيجية جعلت من ثورته المباركة حدثاً مهماً في كل وقت:

(١) ـ كشف سوءات يزيد بن معاوية

وأولى الخطط التي اعتمدها الإمام عليه السلام كشف سوءات يزيد بن معاوية، وتعرية نظامه بشكل لا يقبل التأويل، وتعرية الرأس أشار إليه القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[1].

---

(١) طه: ٤٣.

وقد كشف الإمام عليه السلام نظام يزيد، وأظهره على الملأ، مما جعل الكثير ينفضّ من حوله، ويلتف حول ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وبما أنّ معاوية استعمل طلاءات الدنيا وأضفاها على نظامه حتى جعل الكثير يعتقد أنه الإمام بحق، فكان على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام تعرية نظام يزيد، ويزيل عن وجهه الرتوش والطلاءات.

ففي محاورة بينه وبين معاوية، كشف الإمام (صلوات الله عليه) سوءات معاوية، وإنما ذكرنا معاوية لأنّ يزيد آلة رخيصة لتنفيذ خطط معاوية وامتداداً لأبيه.

جاء في رسالة الإمام عليه السلام رداً على اتهامات معاوية:

«أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير، وإنّ الحسنات لا يهدي لها ولا يسدّد إليها إلا الله تعالى.

أما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنه رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون، ما أردت لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منه، ومن الأعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين، حزب الظلمة.

ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، جرأةً على الله واستخفافاً بعهده.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعدما أمنته، وأعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال.

أولست بمدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد الثقفي، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فتركت سنّة رسول الله ﷺ تعمداً، وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويَسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه: على دين علي (كرم الله وجهه)، فكتبت إليه: أن أقتل كل من كان على دين علي، فقتلتهم، ومثّل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف.

وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ودينك ولأمة محمد ﷺ واتق شقّ عصا هذه الأمة، وأن تردّهم إلى فتنة، وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم لنفسي ولد بني ولأمة محمد ﷺ أفضل من أن أجاهرك، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وإن تركته فإني استغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: إني أنكرتك تنكري، وإن أكدك تكدني فكدني ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرّني كيدك، وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك وتحرصت على نقض عهدك.

ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النّفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقّنا، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم من قبل أن يفعلوا، أو ماتوا أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنّة وقتلك أولياءه على التّهم، ونفيك إياهم من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث، يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد خسرت نفسك، وتبرت دينك، وغششت رعيّتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقي، والسلام»[1].

إنّ هذه الوثيقة تعدّ من الوثائق المهمة في تعرية النظام الجاهلي لبني سفيان.

وفي نظري فإنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام بهذه الوثيقة أعلن الثورة على حكم بني سفيان، ومن جانب فإنّ هذه الوثيقة تمثّل رداً على بعض المتقوّلين الذين يَرْمون الإمام عليه السلام بالمهادنة، وبالتقاعس عن مقارعة نظام معاوية، وقد أفصح الإمام عليه السلام فيها عن ماهية نظام معاوية ويزيد فهو بيّن أن معاوية لا يمتلك أيّ مصداقية ويفتقر تماماً إلى الأخلاق، وذلك بقتله صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستلحاقه زياداً، ونقضه المواثيق المغلّظة التي أعطاها للإمام الحسن عليه السلام، ثم قتل كل من كان على دين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا يكفي في إدانةِ معاوية ابن أبي سفيان.

إنّ هذه الوثيقة تحمل المبادئ الأساسية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جانب تعدّ من الخطط المهمّة في تحرك الإمام عليه السلام ضد الحكم السفياني.

ولعلّ البعض يسأل: ما علاقة هذه الوثيقة بتحرّك الإمام في زمن يزيد وبخطّته.

---

(١) النصائح الكافية: محمد بن عقيل، ص٦٦. صلح الحسن عليه السلام: السيد شرف الدين، ص٣٠٨. شرح احقاق الحق: السيد المرعشي، ج٢٧/ص١٧١.

نقول:

صحيح أنّ هذه الوثيقة صدرت في زمن معاوية، ولكن بما أن يزيد بن معاوية سار على نهج أبيه، وكان الآلة المنفّذة لخططه فإن صلة الوثيقة بخطة الإمام تبدو واضحة.

ومن جانب فإنّ الإمام عليه السلام عَرّى يزيد، وكشف سوءاته التي لا تؤهله لقيادة الأمة.

وهكذا فإنّ الإمام عليه السلام كان يسعى في تحرّكه لفضح النظام الجاهلي، وإظهار مساوئه.

وتعدّ هذه الخطوة مهمة:

أولاً: فكّ الارتباط بين المجتمع وبين يزيد بن معاوية.

ثانياً: نزع الشرعية الدينية التي سعى معاوية جاهداً إلى توفيرها.

ثالثاً: سحب البساط من تحت الموالين للسلطة كي لا يدافعوا عن النظام ويثبطوا الناس من الالتحاق بالنهضة الحسينية.

رابعاً: إنّ التركيز على هدف واضح يعدّ من الخطوات الإستراتيجية لأيّ تحرك، فوضوح الهدف يشدّ الجماهير ويدفعهم إلى التحمّس بشكل متواصل.

خامساً: لقد اعتقد الكثير أن معاوية ابن أبي سفيان يمثّل الشرعية، فلا ينبغي الاعتراض عليه حتى لو ولى أتعس من يزيد، ولكن الوثيقة المهمة التي أعلنها الإمام (صلوات الله عليه) سلبت من معاوية «الشرعية الدينية»، وبذلك لم يملك معاوية أيّ غطاء شرعي لحكمه، ولقراراته.

سادساً: إنّ تركيز الإمام عليه السلام على فضح الخط السفياني يوفّر للإمام عليه السلام مبرّراً

شرعياً لتحركه، ثم يعطيه المرونة في ذلك، فاستطاع الإمام عليه السلام أن يتحرك ويقطع الجسور بين النظام وشرائح مهمة في المجتمع.

فالوليد بن عتبة والي المدينة من قبل النظام السفياني انسحب من الساحة، وكاد أن يقطع العلاقة كلياً مع النظام لولا تهديدات مروان بن الحكم.

فظلّ الوليد يتريّث في أيّ تحرك ضد النهضة الحسينية، وحتى والي مكة فإنه لم يضغط على الإمام عليه السلام ممّا اضطر يزيد بن معاوية لتدبير مؤامرة دنيئة لاغتياله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

والمهم أن الإمام عليه السلام من خلال استعراض سوءات النّظام تمكّن من قطع الكثير من جسد الدولة السفيانية فجعلها تئن.

سابعاً: إنّ فضح النظام السفياني جعل الناس تتساءل عن شرعية النظام، وهذه نقطة مهمة.

فقد تساءل الحسن البصري عن شرعية النظام، فأبدى اعتراضاً مهماً، وقال:

«أربع موبقات ارتكبها معاوية لو لم تكن إلا واحد لكفاه موبقة، واحد استلحاقه زياد وقتله حجر.. والرابعة توليه يزيد الخمور والقرود»[(١)].

إنّ اعتراض الشخصيات يشكّل أهمية خاصة للنهضة، لأنها توفر أرضية بحيث تتمكن من زرع بذور الاعتقاد بها.

واستطاعت نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام أن تعمّق القناعة في قلوب الكثير، في عدم شرعية نظام بني سفيان وبعده عن الإسلام، وقد تعمّقت القناعة تباعاً بذلك.

---

(١) تاريخ الطبري: الطبري، ج٣/ص٣٥٨.

(٢) ـ الحفاظ على كيان النّهضة

فقد حافظ الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام على كيان النهضة من أيّ اختراق محتمل، وذلك باعتماده عدّة آليات:

الانتقاء

بما أنّ النهضة تمثل مشروعاً استراتيجياً فلابد من الحفاظ عليها، ودرء أيّ محاولة لخرقها، وذلك بانتقاء الشخصيات المؤهلة لحمل المسؤولية.

إن اختيار الإمام عليه السلام لأهل بيته يأتي في هذا الإطار.

جاء في كتاب (حياة الإمام الحسين عليه السلام) للشيخ القرشي:

«وقد أدرك المستشرق الألماني «ماربين» تخطيط الإمام الحسين عليه السلام لثورته، فاعتبر أنّ الحسين قد توخى النصر منذ اللحظة الأولى وعلم النصر فيه، فحركة الحسين عليه السلام في خروجه على يزيد كما يقول: إنما كانت عزمة قلب كبير عزّ عليه الإذعان، وعزّ عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته، ويحي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة.

لقد أيقن أبو الشهداء عليه السلام أنّ القضية الإسلامية لا يمكن أن تنتصر إلا بفخامة ما يقدّمه من التّضحيات فصمّم بعزم وإيمان على تقديم أروع التضحيات»[(١)].

لقد أدرك الإمام عليه السلام إنّ أيّ تحرك من قبله سوف يجابه بتحرّك مضاد يتمثل بالاختراق الذي أصبح الآن من أهم الوسائل التي يعتمدها الاستعمار وأذنابه، لذلك فإنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام انتقى ثلة مؤمنة لا يمكن أن تنطلي عليها

(١) الإمام الحسين: العلامة الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٩٤ ـ ٢٩٥. الأعلام: خير الدين الزركلي، ج٢/ص٢٤٣.

حيل النظام، أو تؤخذ على حين غرة، ولقد حاول النظام في البداية اختراق ثورة الإمام عليه السلام حتى يقضي عليها في البداية، إلا أنه فشل، فقد واجه رجالاً أقوى من الجبال.

وقد استمرت محاولات الاختراق حتى آخر لحظة عندما عرض شمر بن ذي الجوشن الأمان على أبي الفضل العباس عليه السلام إلا أنّه خاب بعد أن ألقمه العباس حجراً، فقال أبو الفضل عليه السلام: «تباً لك ولأمانك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له»[1].

وقد استعمل الإمام أبو عبد الله عليه السلام طرقاً عديدة لغربلة أصحابه حتى يمكنه من التحرك، وإبعاد أيّ عملية اختراق، فقد أعلن منذ البداية أنّه خرج للإصلاح، وليس لطلب الحكم.

قال الإمام عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق»[2].

فهذا الإعلان أبْعَدَ من له طمع دنيوي يبتغيه من ثورة الإمام عليه السلام، والنفعيون في كل حين ينتظرون الفرص حتى إذا سنحت فإنهم يركبون الموجه ويتلفّعون بثوبها، ثم إذا حقّقوا أهدافهم انسلخوا تماماً عمّا يتقوّلوه.

---

(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص٨٩. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٩١. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٢٤٢.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٣٠. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص١٧٩. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ص٣٠. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ج٢/ص٢٢٨. كربلاء، الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب، ص١١٤.

إنّ هؤلاء لا يهمهم سواءً كانوا مع الشيطان أو مع الإنسان، فالمهم عندهم الدنيا وزهرتها، والإمام (صلوات الله عليه) كشف هؤلاء عندما أعلن مراراً أنه خرج للإصلاح، وأنه مقتول لا محال.

تقول الروايات: أن أهل الدنيا الذين اصطحبوا الإمام كانوا يعدون بالآلاف، ولكن عندما ذكر الإمام أهدافه، ثمّ حدد مصيره تركوه، وانسحبوا إلى دنياهم.

فقال الإمام عليه السلام قولته المشهورة: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون»[1].

وهذا عين الواقع فإنّ أهل الدنيا أحاطوا بالإمام عليه السلام، ولكن عندما محّصوا بالبلاء قلّ الديانون، ولكن انسحاب هؤلاء لم يؤخر شيئاً بل زاد أصحاب الإمام عليه السلام بصيرةً واستقامة لأنهم عرفوا نيتهم.

والمطلوب منا نحن المسلمين في هذا الوقت الاهتمام بهذا الموضوع «الاختراق»، فلابدّ من دراسته، ووضع خطط منيعة تبعد عنا الاختراق.

ومن جملة الخطط:

أولاً: «معرفة خطط الأعداء» بالتفصيل، ثم تناط المسؤولية إلى لجنة مختصّة تعمل في الخفاء، وبعيدة عن الأنظار.

ثانياً: تأهيل المؤسسات بكادر مؤمن ومثقف ومختص بخطط العدو.

ثالثاً: تمحيص العاملين واختبارهم بين الحين والآخر.

رابعاً: رفع المستوى المعاشي للأفراد لأنّ العدو يحاول أن ينفذ من خلال ثغرة «العوز»، فهذه الثغرة تعد من أخطر الثغرات، وتشكل نقطة ضعف سهلة النفوذ.

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٢٤٥. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص١٩٥.

خامساً: عدم إبراز الخطط الإستراتيجية للمؤسسة، فينبغي على القائمين التمويه، وذلك بعرض عدّة خطط، واعتماد عدّة «خرائط للعمل».

إنّ «مسألة التمويه» تعد غاية في الأهمية، وقد اعتمدها الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله بشكل واسع في تحرّكاته.

راجع خطته في فتح مكة وخيبر، فإنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أخّر الإمام علياً عليه السلام لعدّة أهداف كل ذلك حتى يموّه على العدو، ويستطيع معرفة خطط اليهود والمنافقين.

سادساً: من الضروري إخفاء بعض الكفاءات وإبعادها عن الأنظار، بل إذا تطلّب الأمر إبعادها نهائياً، إننا نعلم بأنّ هناك «ستة أنفار» يخططون لأمريكا ولكن لا نعرف عنهم شيئاً.

(٣) ـ عدم الانجرار إلى معارك جانبية

لا شكّ أن العدو إذا لمس تحركاً مضاداً يسعى إلى تشتيت الجهود والطاقات وإدخال الخصم في معارك جانبية، حتى يستنزف قواه، وهذه الخطة باتت واضحة لكل بصير، ثم يحاول أن يصطنع عدواً داخلياً، ويلبسه ثوباً ينسجم والواقع ليستطيع من خلاله التحرك بعد أن يمتلك الشرعية.

إنّ المعارك الجانبية «الوهمية» هي من أخطر المعارك وأكثرها خسارة، حيث تكبّد الأمة خسائر فادحة بالأموال والأنفس، وكما أسلفت في كتاب (الإمام الهادي عليه السلام) فإنّ المعارك الطائفية لا تنطفئ بسهولة، ناهيك عن الخسائر الجسيمة التي تلحق بالأمة.

وما أن يتحرك المخلصون لإنقاذ الموقف، حتى يحرك العدو أذنابه أو ما يسمى بـ«الطابور الخامس» ليخوض معارك قذرة نيابة عن الاستعمار الذي لم يدّخر وسعاً في سبيل الحفاظ على هذا الذنب، ودعمه بكلّ الوسائل.

إننا نواجه الآن خطر هذه الجماعات التي تتلفع بثوب الدين، ثم تذبح الآلاف تحت ذرائع شتّى، منها الشرك والكفر، وكأنّ الكفر والشرك محصورانِ بطائفة معيّنة، وبعمل معين، ولا يعلم هؤلاء أنّ عملهم هذا هو الشرك والكفر بعينه، لأنهم أشركوا بالله بفتاوى لم تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلا بأيّ حق يقتلون ويذبحون الآلاف؟! هل عندهم فتوى من القرآن؟! أم من الرسول الأعظم ﷺ؟! بالتأكيد كلا.

فإذن هم يشركون بالله عز وجل عندما يستمدون فتاواهم التكفيرية من علمائهم البغاة. قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١].

وباتت هذه الفئات تكشف عن نواياها تباعاً، وهذه سنّة لا تبديل لها، فإنّ من يتلفّع بثوب الدين لا يمضي وقت طويل حتى تظهر حقيقته، وتنكشف نواياه، فإذا هي نوايا خبيثة ثبتها الاستعمار وغذّتها الصهيونية.

وقد حاول البعض ممّن يدّعي الحرص على الأمة إشغال الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام عن مهامه الأساسية، ثم إدخاله معمعة الحرب الجانبية، وقد حاول مروان بن الحكم استفزاز الإمام عليه السلام عندما أمر الوليد بن عتبة بقتل الإمام عليه السلام، إلا أنّ الإمام عليه السلام فوّت الفرصة على مروان بعد أن صدّه بكل شجاعة.

ثم خاطب الوليد، وكان أميراً على المدينة: «أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالخلافة والبيعة»[٢].

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) الفتوح: لابن أعثم، ج٥/ص١٨٠.

وبعد هذا الخطاب استيأس مروان وثلته، وخلصوا نجيا ماذا يفعلون إزاء موقف الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لقد حاولوا جرّ الإمام إلى معارك هي ليست من صميم عمله، فأراد مروان من الوليد قتل الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أو على الأقل التضييق عليه، لئلا يتطور الموقف.

ولكن فات مروان أنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام كان عازماً على ردّ يزيد وإيقاف تهوراته، وعارفاً بما يبطنه مروان ويخطّط له، فهو كان يريد للإمام أن يبقى في المدينة، ثم يثير استياء الناس عليه من خلال إشعال فتيل الأزمة بينه وبين والي المدينة الذي كان لا يميل إلى قتال الإمام عليه السلام.

وقد التفت الإمام عليه السلام إلى المخطط المرواني، لذلك فإنّ الإمام عليه السلام ركّز في ردّه على يزيد بن معاوية كهدف أساسي، وبذلك ضيّق على مروان سبل المناورة، فبات لا يدري ما يفعل إزاء رسالة الإمام عليه السلام التي كانت واضحة في أهدافها، تعرية رأس النظام، ونقل المعركة إلى خارج المدينة المنورة.

تقول الروايات: إنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام لم يصعد الموقف مع والي المدينة، وبهذه الخطوة استطاع الإمام عليه السلام أن يتحرّك باتجاه هدفه الأساسي، ويفوّت الفرصة تماماً على مروان بن الحكم الذي أرسله يزيد بن معاوية خصيصاً لهذه المهمة.

إنّ مروان بن الحكم كان أحد الأعمدة الرئيسة للحكم الأموي، وكان له الدور الفاعل في قتل عثمان بن عفان[1].

---

(١) راجع الفتنة الكبرى: للدكتور طه حسين.

استطاع الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام من خلال تعامله الحكيم أن يحصر مروان في زاوية ضيقة، ولكن مروان بن الحكم أخذ يضغط على والي المدينة كي يتخذ موقعاً متصلباً إزاء الإمام عليه السلام، ولكنّ الإمام عليه السلام ادّارك الأمر، فترك المدينة متوجهاً إلى مكة المكرمة حتى لا تتأزم الأوضاع، وبالتالي يفقد حيادية والي المدينة، إنّها خطوة مهمة على صعيد حصر الجهود، ولكن قبل أن يترك المدينة ترك رسالة مهمّة لأهلها فيما يخصّ حكم يزيد بن معاوية:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».

وتعدّ هذه الرسالة نقطة تحوّل في اتجاه الإمام عليه السلام نحو السلطة، فقد حدّد الإمام عليه السلام هدفه «النهضة»، ووضع النقاط على الحروف، ويعدّ هذا الأمر مهماً للغاية.

وبهذا التحول سحب البساط من تحت مروان والشلّة الحاكمة في المدينة ومكة والشام.

إنّ تعيين الهدف، ثم التركيز عليه يعدّ من الأولويات في عمل المؤسسات، وذلك لعدة أمور:

أولاً: حصر الجهود والقوى بالذات إذا كان ميزان القوى غير متكافأ.

فمن الضروري حصر الجهود والحفاظ على كلّ جهد يصبّ في اتجاه الهدف، ثم التركيز عليه في كل حين وإنّ تذكير العاملين بالهدف يعدّ أمراً ضرورياً لأنّ العدو يحاول بين الحين والآخر افتعال أزمات جانبية حتى يمتصّ جهود العاملين، ثم ينسيهم الهدف الحقيقي مثلما أراد مروان بن الحكم، ونسيان الهدف يضعف الهمّة ويمتص الأمل، وهذا معروف في علم النفس.

ثانياً: إنّ المعارك الجانبية دائماً تفتعل مع الأقرباء إن صحّ التعبير، وهذه المعارك في معظم الأحيان تأخذ طابع القساوة والبطش، لأنّ كلا الطرفين يحسب أنه على حق فيستميت في الدفاع، وهذا ما نلمسه اليوم، لذا فإنّ العدو يحاول إذكاء هذه المعارك كلّما وجد فرصةً.

ثالثاً: إنّ المعارك الجانبية تحدث شرخاً عميقاً في جدار الأمة، فتضطر الأمة والعاملين حتى لا يتّسع معالجة هذا الشرخ بذل المزيد من الجهد، وهذا الجهد بالتأكيد يأتي على حساب الهدف، لذا على العاملين تدارك هذا الأمر، وتحاشي هذه المعارك المهلكة، ونصيحتي للعاملين أن لا يخوضوا هذه المعارك لأنّها تؤرّقهم كثيراً، وتأتي على الهدف، وبالتالي يضيع في خضمّ المعارك المفتعلة.

رابعاً: على العاملين أن يضعوا في حسابهم أنّ أيّ معركة جانبية لا تأتي بالنصر حتى لو تغلّب أحد الطرفين، فالمنتصر هو الخاسر الأكبر لأنه انتصر على أخ له، فتتلاشى مصداقيته، فالانتصار لا يشكّل أهمية تذكر إن لم يكن وبالاً على المنتصر كما ذكرنا، وما قيمة الانتصار إزاء فقدان المصداقية؟!.

خامساً: إنّ المعارك الجانبية تظلّ آثارها تتفاعل في نفوس الأجيال ممّا يورثها حقداً متراكماً، وهذا الحقد بالتأكيد يصنع حاجزاً نفسياً لا ينمحي بسهولة، وكما هو ثابت في علم النفس الاجتماعي فإنّ الحواجز النفسية لا تزول حيث يمتدّ بها العمر فتترك آثاراً سلبيةً.

سادساً: إنّ المعارك الجانبية في بعض الأحيان تأتي على البنى التحتية، وهذه أخطر ما فيها لأنّ كلا الطرفين يحاول اختزال المعركة بالضربة القاضية، بالضبط كحلبة الملاكمة، فإنّ الملاكمين يحاولان اختزال الوقت بالضربة القاضية، فيحاول كل من المتلاكمين اقتناص الفرصة كي يضرب الهدف المميت والقاتل.

(٤) ـ الابتعاد عن حرب المدن

ومن الخطط التي اعتمدها الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام تحاشي المدن بالذات المقدسة. وأراد الحكم السفياني من الإمام عليه السلام أن يخوض المعركة داخل المدينة المنورة، ثم الإجهاز عليه في زمن قياسي، لقد حاول الحكم السفياني ذلك، وحاول أن يبقي الإمام عليه السلام داخل المدينة بشتى الوسائل.

وفي نظري فإنّ سياسة الوليد بن عتبة كانت تدخل في هذا الإطار، فهو لم يصعّد الموقف مع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكان أذكى من مروان ابن الحكم الذي نصحه بقتله. صحيح أنّ الوليد أبدى حسن النية، وعامل الإمام عليه السلام على وفق القواعد الأخلاقية، ولكن من جانب أراد أن يبقي الإمام عليه السلام ويحصره في المدينة، حتى يطبق على ثورته ويقضي عليها وهي في أولى مراحلها، إلا أنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام ادّارك الأمر، ومن قبل ما كان الإمام (صلوات الله عليه) ليرغب في خوض المعركة في المدينة المنورة لحرمتها وحتى لا يعطي مبرراً للطغمة الحاكمة. وكما هو ثابت في الخطط العسكرية فإنّ حرب المدن تكلف كثيراً، وقد تأتي على الثورة، وهذا ما حدث لمعظم الثورات إلا إذا كانت المدينة محصّنة وفيها موانع طبيعية تجعلها صعبة المراس.

ثم إنّ المعركة في المدينة تجرّ الوبال على الأخضر واليابس، فيذهب ضحيتها الأبرياء من الشيوخ والأطفال، وأما إذا كان النظام قاسياً فقد يكلّف كثيراً. وهذا ما حدث إبّان ثورة المدينة، فقد قتل نظام يزيد بن معاوية عشرة آلاف من أبناء المهاجرين والأنصار، واغتصب ألف «حرة». راجع التواريخ، ومنها الطبري، وابن الأثير.

كما إنَّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام كان يعاني من أهل المدينة كما أسلفنا، وكان موقفهم سلبياً إزاء وقفتهِ فكلفهم كثيراً، لأنّ النتائج المترتّبة على خذلانهم أوقعتهم في مطبّات مظلمة.

ومعارك المدن تخدم العدو أكثر من أهلها على وفق القاعدة التي أثبتها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله ما غُزي قومٌ قط في عقر دارهم إلا ذلوا»[(١)].

فالمعركة في المدينة تشكّل أول انتصار للعدو لأنه يحاول بشتى الوسائل اقتحام المدينة والسيطرة عليها، عبر قطع خطوط الإمداد.

وفي الخطط العسكرية فإنّ العدو يحاول أن ينقل المعركة دائماً إلى داخل المدينة حتى يربك الخصم بإثارة الناس عليه، وهذا ما ذكره موشي دايان رئيس وزراء الكيان الصهيوني الغاصب في مذكراته، راجع (مذكرات موشي دايان).

لذا فإن الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام ترك المدينة ليفوّت الفرصة على السلطة، وعندما خرج من المدينة المنورة اتسع نطاق الثورة، وباتت الثورة تنتقل أمواجها في كلّ الأمصار الإسلامية.

وفي نظري فإنّ خروج الإمام عليه السلام أحدث تطوراً كبيراً في نهضته المباركة، حيث اتسع نطاقها وافترشت مساحات، فتركت صدى واسعاً في ربوع الدولة الإسلامية ممّا حفّز الكثير على الالتحاق.

كما أن ترك المدينة جعل الإمام عليه السلام يتحرك بعدة اتجاهات نحو مكة والكوفة وباقي الأمصار، وبذلك توسّعت شبكة اتصالاته، فاستطاع من خلال الشبكة معرفة الكثير مما يجري فيها، واقتناص الأخبار التي تخصّ مصير الثورة، فقد التقى الفرزدق الشاعر المعروف فسأله الإمام عليه السلام عن أهل الكوفة والبصرة، وفي رواية عن أهل مكة والكوفة، فقال: «يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم عليك فارجع»[(٢)].

---

(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج٥/ص٥. كتاب سليم بن قيس: تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ص٢١٣.

(٢) مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني، ص٧٣. الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص٦٧.

قال: صدقت. وقد التقط الإمام عليه السلام الكثير من الأخبار من خلال شبكة الاتصالات، وينبغي على القائمين وضع هذه الخطة في الحساب، فلابدّ من تأسيس لجنة تتقصّى الأخبار وتقف على كل ما يحدث في العالم، بالذات العالم الذي ينوي الشر والإيقاع بالمؤسسات.

ولابدّ للمؤسسات الانتشار في كل مساحة تجدها مناسبة للعمل، فمن الخطأ بقاء المؤسسة في بقعة محدودة لأنها تكون في مرمى العدو، فالانتشار يقيها الكثير من العوارض، فعلى المؤسسة أن تجد طرقاً لتوسيع رقعتها وإيجاد أكثر من «رئة» تتنفس بها.

من هنا فإنّ الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام أوجد أكثر من «رئة» لكي تتنفس الثورة، فتنفست في البصرة والكوفة ومكة، إلا أن الضغط المتواصل والعمى الذي أصاب الكثير من جراء السياسات السفيانية جعل رئة الثورة تتنفس بصعوبة بالغة، ومع ذلك استطاعت الثورة أن تشقّ طريقها إلى الأمصار كافة بما فيها الشام.

إنّ الضغط الذي انصبَّ على ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام والذي أعدّه فريداً من نوعه جعل الإمام عليه السلام يمدّ أذرعه إلى الكوفة والبصرة ومكة، وتعد هذه الخطوة من الحكمة بمكان لأنه لا يمكن للثورة أن تواجه الضغط، وتبقى رهينة لهذا أرسل الإمام عليه السلام البطل مسلم بن عقيل إلى الكوفة كي يوجد متنفساً، ثم يخفف الضغط على النهضة الحسينية، ولم يكن في نية الإمام عليه السلام كما ذهب إليه بعض النقّاد ليخطط في اتجاه إقامة دولة إسلامية، وإن كان من حقّه ذلك.

وفي نظري فإنّ الإمام عليه السلام لم يرغب في ذلك، وإنما أراد أن يخلق أجواءً مناسبة ليتحرك سلمياً ضد يزيد بن معاوية، وقد تكون هناك مؤشرات لذلك منها وصية الإمام للبطل مسلم بن عقيل بعدم الاستيلاء على الكوفة وإنما لمعرفة أوضاعها.

وإيجاد أرضية مناسبة للتحرك ضد يزيد بن معاوية، ثم تخفيف الضغط على مسيرة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إن نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ما كانت لتقوم على الخطط المسلحة، وكان ينبغي للسلطة السفيانية معرفة ذلك إلا أن السلطة ومن فرط خشيتها من أيّ تحرك تحسب أن أيّ خطوة وإن كان طابعها سلمي تعدّها ثورة مسلحة.

وهذا هو دين الحكام الفاسدين الذين يحسبون كلّ صيحة عليهم عملاً عسكرياً، فما أن تنهض جماعة أو يتكلم فرد من المجتمع إلا وتبلغ قلوبهم الحناجر ويظنون بهم الظنون.

إن الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام لم يقدم على أيّ خطوة ذات طابع مسلح حتى يمكن أن يقال لم يأخذ العدة في الحسبان.

فتحرك الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام كان ضمن إطار الردع السلمي، وتعدّ هذه الطريقة من الطرق المؤثّرة في ردع العدوان، وقمع الروح الاستبدادية التي تنمو عند الحكام.

وقد حاول الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام ردع معاوية ويزيد عبر طرق مألوفة في مجال «الردع المنطقي».

وقد انبرى الإمام عليه السلام مع أهل بيته معلنين رفضهم السلمي لكل أشكال الاستبداد والقهر الذي كان يمارسه الحكم السفياني بحق الأمة الإسلامية.

جاء في كتاب (من معالم الحق) للشيخ محمد الغزالي يصف فيه حكم بني سفيان:

«ولا نعرف من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله سنداً لهذا الإقطاع السياسي الرهيب، ولا ندري لم امتدّ في آفاق الإسلام هذا الدخان الخانق الكئيب؟!.

لكن الذي ندريه جيداً أنّه أمر المسلمين بشورى وأنه ليس لأحد أن يفتات عليهم، أو يستبد بهم، وأن الشعوب تختار أكفأ رجل فيها لتلقى إليه زمامها، وأنها تسائله عمّا أؤتمن عليه وتقصيه أو تدنيه على وفق سيرته فيها.

لكن أبناء هذه الأسر ملكوا فَقَلَّ فيهم القوي الأمين، وكثر فيهم الفجرة الخونة، وكانت مقاليد الأمور تصل إليهم ميراثاً مقرراً.

وكما يرث المرء عن أبيه ضيعة أو مالاً أو أنعاماً يرث هؤلاء الشعوب الكثيفة بما فيها من خواص وعوام، وعباقرة وطغام، وأول من ابتدع هذه البدع وغرس شجرتها المشؤومة معاوية بن أبي سفيان.

وإذا كان الأولون قد تلقّوا هذه البدعة بالمقاومة الضّعيفة، وإذا كان هناك من قبلها إغماض وترحض فإنّ ما نشأ عنها على مرّ الزمن من رذائل وآثام يكشف جسامة شرها وفداحة أثرها.

ولا ريب أنه كان هناك من السلف الأول من رفض هذا الانحراف، وقرر محاربته».

ويعقّب الشيخ الغزالي: «وأظنّ الحسين بن علي كان يحسّ الأخطار على حاضر الإسلام ومستقبله متمثلاً في الطريقة التي ملك بها يزيد زمام الحكم، والطريقة التي يصرّف بها شؤون الناس.

وإنه لأمر مستكره أن يكون على قمّة السلطة في بلاد الإسلام شاب ماجن خليع، والأمة الإسلامية تفقد أجل خصائصها عندما تسكت على هذا الوضع، بل إنها ما تستحق أن تبقى مع استقراره.

فكانت ثورة الحسين عليه حركة يثبت بها الإيمان وجوده، ويجدد بها حياته، ويرضى بها ربه»[1].

حاول الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام القضاء على أيّ مبرّر شرعي قد يتخذه يزيد بن معاوية للإجهاز على نهضة الإمام عليه السلام بما فيه «مبرر المعركة» داخل المدينة، وقد انتفى هذا المبرر وعاد الحكم السفياني يفتش عن مبررات شرعية أخرى ولكنه فشل.

(١) من معالم الحق: الشيخ محمد الغزالي، ص١٠٤/١٠٥. ط نهضة مصر.

(٥) ـ تأمين الدعم الشعبي

إنّ أي نهضة لابدّ أن تملك عمقاً استراتيجياً يتمثّل أولاً في المبادئ، وثانياً في الدعم الشعبي، وثالثاً في التخطيط الاستراتيجي، وهذه العوامل تعدّ من القواعد الأساسية التي تقوم عليها النّهضات لأنها تساهم بشكل فعال في تحقيق النتائج المطلوبة فضلاً عن امتلاكها قوة المبادرة التي باتت إحدى العوامل المساعدة في تحقيق النتائج، ومن العوامل المهمة لنجاح النّهضة يكمن في «الدعم الشعبي».

فباتساعه وقوة فاعليته يعطي للنهضة قوة لكي تأخذ حجمها المطلوب في واقع الأمة، لذا أثبت علم الاجتماع فيما يخص تقدم النهضات، إنّ نجاح أيّ نهضة مرهون بمدى تقدم علاقاتها الاجتماعية من هنا فإنّ النهضات التي حقّقت النجاحات المطلوبة إنما انطلقت من عمق علاقتها بالمجتمع.

فالنهضات العملاقة هي الضاربة في عمق المجتمع، وبعمق جذورها تعلو سماها كما يقول علماء الحضارة.

ولقد امتلكت نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام عمقاً اجتماعياً قلّ نظيره.

جاء في كتاب (من معالم الحق) للشيخ محمد الغزالي:

«إنّ ملوك بني أمية لما أخطأوا لُعنوا وتنادى المسلمون عليهم من كل جانب حتى أسقطوا دولتهم، وما كان ذلك يحدث لو تولى الأمر أهل البيت، ولما يعلمه النهازون والدجّالون من محبّة المسلمين لنبيهم وبيته اصطنعوا أنساباً يمتّون بها إليه، وأقاموا حكومات كانت بسيرتها المنحرفة وبالاً على الإسلام وأهله، وتاريخنا السابق واللاحق يحكي أبناء أسر انتحلت الشرف، والشرف هو بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله بالتوالد، وباسم هذا الشرف المكذوب أُلحقت بالأمة الإسلامية من الأذى ما تزال تترنح منه حتى الساعة.

لقد أصاب ابن عمر في قوله للحسين: «والله لا يليها أحد منكم أبداً».

لقد صرف الله الحكم بخيره وشره عن آل محمد ليسوي الناس شؤونهم بأنفسهم، ويحلّون مشكلاتهم مع حكامهم بأيديهم باللطف أو بالعنف، باللسان أو بالسنان.

وخير لآل محمد أن تسبغ عليهم مشاعر العطف وهم مظلومون من أن تتبعهم مشاعر الحقد، وهم حكام جبارون (يا للعجب).

بيد أن حسيناً هاجته رسائل أهل العراق وهم يستقدمونه ليجعلوا الأمر له، إنه أهلٌ للسيادة بنفسه وبنسبه، وها هي ذي الجموع تدعوه فكيف يتأخر»[1].

لقد أشار الشيخ محمد الغزالي إلى الموقع الذي يمتلكه الإمام عليه السلام في قلوب الناس «إنه أهل للسيادة بنفسه وبنسبه، وها هي ذي الجموع تدعوه فكيف يتأخر». ولكن الشيخ أخطأ في عبارته «وخير لآل محمد أن تسبغ عليهم مشاعر العطف وهم مظلومون من أن تتبعهم مشاعر الحقد، وهم حكام جبارون». فإذا كان يقصد أهل البيت الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ومنهم الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام فقد ناقض نفسه، إذ كيف يصف الإمام الحسين عليه السلام «إنه أهل للسيادة بنفسه وبنسبه»، ويقول قبلها: «تتبعهم مشاعر الحقد وهم حكام جبارون».

لقد تولى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إمارة البلاد وعاش الناسُ في بُلَهْنِية من العيش، وسموٍ في المعاني كانت مثالاً في الحياة الحرة السعيدة، ولم يشر أحد إلى حكم الإمام بالحقد والضغينة باستثناء القليل ممن أعمى الحقد بصيرته.

إنّ خطوات الإمام الحسين عليه السلام إزاء الحشد الشعبي تثير الانتباه، وعلينا أن نستفيد منها، ومن الطرق المثالية في هذا المجال ضمّ العائلة الكريمة إلى نهضته.

(١) من معالم الحق ص١٠٩ للشيخ محمد الغزالي ط نهضة مصر.

وهذه أمثلُ طريقةٍ يمكن عبرها تحشيد الناس، وتكوين واقع شعبي متميز يختلف في خصائصه عن الحشد الفوضوي.

لقد كوّن الإمام (صلوات الله عليه) واقع شعبي تميّز بالكفاءة والاستقامة والعلم.

ولولا الضغوط المتواصلة من الحكم السفياني، وتثبيط رجالات الحكم للناس بما فيهم وعّاظ السلاطين لتغيّرت المعادلة كلياً، ولرأينا الآلاف المؤلفة قد التحقت بثورة الإمام عليه السلام.

ولكن ماذا نفعل وفي كل نهضة مباركة نواجه وعّاظ السلاطين أمثال شريح القاضي، وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وغيرهم.

وفي نظري فإنّ أخطر ما يواجه النّهضات الصّالحة يكمن في وعّاظ السلاطين، فهؤلاء عقبة كأداء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

فما لم تتخلّص النهضة من هؤلاء فلن تفلح في امتلاك الواقع الشعبي، إنّ إحدى وسائل السيطرة على وعّاظ السلاطين يتمثّل في فضحهم وكشف واقعهم السيئ.

وأنا لا أميل إلى استخدام العنف إزاءهم لأنّ العنف يعطيهم زخماً من المصداقية هم بأمسّ الحاجة إليه.

لقد ساهمت عائلة الإمام عليه السلام بما فيها النساء الطاهرات في حشد الكثير من الناس سواء قبل الثورة أو بعدها.

وقد أعطت عائلة الإمام عليه السلام بعداً عاطفياً أثّر كثيراً في تفجير الحسّ الإنساني لدى الناس، مما ساهم في إنشداد المجتمع إلى النهضة الحسينية المباركة.

---

(١) التوبة: ٣٤.

ثم إنّ عقائل النبوة والرسالة جسّدوا واقعاً تجلى فيه كلّ معاني الإيثار ونكران الذات والإخلاص، فخلق صورة حية في أذهان المجتمع، أنّ الإمام صادق في مسعاه، وسليم في أهدافه التي تكمن في إصلاح الواقع الإسلامي الذي تراكمت عليه آثار الحكم الجاهلي تباعاً.

ومن جانب فإنّ عائلة الإمام خلقت جواً إعلامياً ظلّت تفاصيله تتفاعل في مفاصل المجتمع ممّا أثار سخط الناس على الحكم السفياني.

ولا شكّ فإنّ الإمام عليه السلام كان يحتاج إلى الإعلام كي يوصل صوت الثورة إلى أصقاع العالم، وأفضل من يوصل الصوت (المرأة اللبيبة والعاقلة)، فكانت العقيلة زينب عليها السلام التي صنعت قاعدة عريضة لثورة الإمام عليه السلام قبل وبعد الثورة، فالإمام عليه السلام هيّأ القلوب والنفوس في استقبال الحدث الكبير عبر الصوت العاقل الذي استطاع أن يصنع قاعدة عريضة ضدّ الحكم السفياني الذي حشد جميع القوى في مجابهة الإمام عليه السلام، وفي مقدمتهم وعّاظ السلاطين، فكان على الإمام عليه السلام أن يقدم على حشد القلوب والنفوس والعقول، وقد تهيأت.

جاء في كتاب (العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية) فيما يخص العامل المعنوي: «ويعبر المشير مونتجمري عن أهمية العامل المعنوي فيقول: «إنّ أعظم عامل من العوامل المؤدية إلى تحقيق النجاح هو روح المقاتل، وإنه لأمر جوهري وهام أن يفهم المرء أنّ المعارك تكسب أولاً وقبل كل شيء في قلوب الرجال، ومن أجل ذلك فإنّ جميع الجيوش تعنى أشد العناية بوضع النظم والأساليب التي تستهدف بناء معنويات رجالها والمحافظة عليها ووقايتها من عوامل الضعف أو الانهيار»[١].

---

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ، ص٣٧، عن دائرة الصحافة.

لقد ملك الإمام عليه السلام القلوب بالقناعة والإيمان، ثم استولى على النفوس بالحب والمودة، وفتح العقول بالفكر والعلم، ثم خاض المعركة ضد الطغمة الحاكمة، فأعطت نتائج مهمة.

وقد يسأل البعض: وأين الدعم الشعبي من ثورة الإمام ومجموع من التحق بالإمام عليه السلام لا يتعدى المائة، وفي رواية مائة وخمسين؟!. والجواب:

أولاً

إنّ النتائج التي تمخّضت عنها ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام تؤكّد الواقع المثالي للدعم الشعبي الذي ملكته ثورة الإمام عليه السلام، ومن جانب فإنّ حجم الرفض الشعبي لحكم الطغمة السفيانية يؤكّد على تفاعل الناس مع الثورة، فالشام كادت أن تنقلب على يزيد كما يذكر المؤرخون.

ثانياً

إن الكثير كان يرغب في الانضمام إلى جيش الإمام، وهذا ما يؤكده قول الفرزدق: «قلوب الناس معك وسيوفهم عليك»[١]، ولكن وكما أسلفنا فإنّ همّة وعّاظ السلاطين كانت عالية في تثبيط الناس وإركاسهم في مستنقع الذلة والمهانة.

ثالثاً

إنّ معظم البلدان كانت ترفض الانضمام إلى جيش يزيد بن معاوية، فالبصرة لم يخرج منها أحد، وكذلك المدينة واليمن وغيرها من المدن.

وإذا جئنا إلى الكوفة فإنّها كانت عصيّة وتعيش هاجس الثورة الأمر الذي أدّى بعبيد الله بن زياد إلى تسفير (٥٠ ألف) عائلة موالية لآل البيت عليهم السلام إلى إيران.

---

(١) مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني، ص٧٣. الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص٦٧.

(٦) ـ توظيف الكفاءات لإدارة الصراع مع السلطة

من مميزات ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وجود الكفاءات، فقد تميزت بها ثورة الإمام عليه السلام وكانت في مقدمة اهتمام الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وقد تألّقت الكفاءات في ثورة الإمام عليه السلام وأدّت المهام المنوطة بها على أكمل وجه، ممّا أثار دهشة العدو وإعجابه، قال حجار بن أبجر: «يا حمقى، أتدرون من تقاتلون؟!! تقاتلون فرسان أهل المصر، وتقاتلون قوماً مستميتين»[١].

إنّ هذا الاعتراف يشكّل دليلاً على المستوى الرفيع الذي وصل إليه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام. وكما يقول النقّاد: فإنّ الرموز الذين التحقوا بثورة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام هو أحد أشكال النصر الذي حققته ثورة الإمام عليه السلام.

ويقول المحللون: إن الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام إن لم ينتصر عسكرياً في كربلاء، فقد انتصر معنوياً وإنسانياً، ومما ساهم في الانتصار الثلة المؤمنة التي لازمت الإمام الحسين عليه السلام، فهي كانت بحق الساعد الأيمن للإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لقد قامت الثلة المؤمنة بأعمال كبيرة توازي في أهميتها جيشاً كاملاً، فالثورة الحسينية قد حققت الانتصار من عدة أوجه:

منها امتلاكها خزيناً هائلاً من المعنويات تمثّل في المواقف العملاقة التي سطرها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

وأصبحت المواقف تكبر وتأخذ حجماً عظيماً، فاخترقت الزمن لتستقرّ في آخر لحظة منه، وتبقى مواقف الأصحاب في كربلاء حجة على كل البشر، فكربلاء الحسين عليه السلام حجّة على القادة، وعلى كلّ من يروم تغيير الواقع بل على كل إنسان.

---

(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ج٢/ص١٠٣.

إنّ مواقف الأصحاب في كربلاء أعطت مفهوماً ناصعاً للمعاني الجليلة كافة مما ساهم في سموّها وتجذّرها في عمق الإنسان كي يكبر ويسمو بنفسه أمام كل محاولات الباطل.

لندخل إلى مدرسة كربلاء ونتصفح دروسها، فهي جديرة بالتمعن والتعمق، ولنستمع ماذا يقول شبيه محمد ﷺ أكرم الخلق في الدنيا، إنه علي الأكبر عليه السلام.

جاء في كتاب (معالم الحق) للشيخ محمد الغزالي: «إنّ الحسين عليه السلام حين مضى بأصحابه جلسوا يستريحون قليلاً، فخفق الحسين عليه السلام خفقة، انتبه على أثرها فزعاً، وهو يسترجع ويحمد الله. فسأله ابنه الأكبر: جعلت فداك! ممّ استرجعت وحمدت؟.

قال الحسين عليه السلام: رأيت فارساً على فرس يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم. فعلمت يا بني أنها نفوسنا نُعيت إلينا.

فقال ابنه: يا أبت، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟.

قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد.

فقال الغلام: إذاً لا نبالي أن نموت محقين.

ودار القتال واستمات الحسين عليه السلام وصحبه في الدفاع عن أنفسهم حتى كاد جند ابن زياد يفشلون في النيل منهم على كثرتهم»[1].

إنّ الموقف الكبير من شبيه محمد ﷺ يترجم بوضوح الروح العالية والشجاعة الفائقة التي استلها علي الأكبر من عزم الإمام أبي عبد الله عليه السلام، ومثلما أسلفت فإنّ الأب هو الينبوع الثرّ الذي يمدّ الأبناء بروافد المعاني السليمة.

وقد تأثّر علي الأكبر عليه السلام بشخصية أبيه حتى أُدرجت بين جنبيه، وبذلك برزت ملامح أبيّ الضيم على سلوك علي الأكبر عليه السلام في كربلاء، وفي أشدّ المواقف.

(١) من معالم الحق: الشيخ محمد الغزالي، ج١/ص١١٣، دار نهضة مصر.

فمواقف علي الأكبر في كربلاء أعطت صورة واضحة عن عمق الأصالة، وسمو المعاني، ومعروف عن أهل البيت عليهم السلام أنهم في أشدّ المواقف حراجة يتألّقون في تجسيد الصفات السامية، وهي لا تسمو إلا بهم، ولا تُعرف حجمها إلا في ظلهم، فالمعنى الحقيقي للصفات العظيمة لا تُعرف إلا عند أهل البيت عليهم السلام، ثم أسمع إلى الدرس الآخر من القاسم ابن الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام.

جاء في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة) للعلامة السيد هادي المدرسي: «كان الإمام عليه السلام يتحدث، وعيون الرجال مشدودة إلى شفتيه، فالخبر لم يكن عادياً، إنه خبر الاستشهاد، ودخول الجنة. وما أشهى الموت لدى المؤمنين؟.

كان في آخر الخيمة يجلس شاب لم يبلغ الحلم.

لقد كان له وجه باسم، وعينان واسعتان، وقدر شريف، عليه ملامح بني هاشم، كان يستمع إلى الإمام عليه السلام باهتمام، وتتغير ملامحه حسب الموضوع الذي يتحدث فيه عندما ذكر الإمام عليه السلام أنّ خيامه ستحرق.

انتفض الشاب وصاح: «ألا رجل ليمنعهم من ذلك؟».

قال الإمام عليه السلام: كل الرجال يقتلون يا بُني. قال القاسم: كلهم يا عّم؟.

قال الحسين: نعم كلهم. قال القاسم: وأنا فيمن يُقتل؟.

لم يكن مهماً عنده أن يعرف أنه يُقتل أو لا يقتل، بمقدار ما كان يريد أن يعرف دوره، فإذا كان فيمن يُقتل فأمر النسوة والخيام إلى الله، وإذا لم يكن فيمن يقتل فما هو دوره تجاه الهجوم على الخيام؟.

كان الإمام عليه السلام يعرف أنه فيمن يُقتل، ولكنه لم يشأ أن يقول له ذلك بداية، ولذلك قال: بني كيف الموت عندك؟.

نظر الشاب إلى الرجال الذين كانوا هناك، ثم أشار بيده البريئة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وقال: فيك؟ فيك: أشهى من العسل!. فقال الإمام عليه السلام: فداك عمك، نعم أنت فيمن يُقتل، وحتى ولدي الرضيع يقتله العدو!»[1].

إنّ اليراع لينكفأ وهو حسير أمام هذه المواقف، فماذا يخط وكيف يعبر.

لا يمكن للقلم أن يسطّر ولو جزءاً يسيراً من التعبير، سوى القول: «إنّ الموت لو كان رجلاً لسجد لهؤلاء الثلة المؤمنة، إنهم رجال أعطوا معانٍ عظيمة للرجولة والشهامة، وهذا الصفات لهي من أصعب المعاني، فكيف إذا بلغوا الذروة في تطبيقها، فالرجال الذين اصطفّوا مع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام كان يشكّل كلّ واحد منهم ينبوعاً ثراً من المعاني العظيمة.

إنّنا أمام صورة حيّة لُمثلٍ عليا كنّا ننتظرها طويلاً، وها نحن نعيشها واقعاً حياً ينبض بقوة، إنك إذا تريد أن تعرف المعاني لابدّ لك أن تعرف قيم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، لقد أعطوا المعنى الصحيح للقيم الإسلامية بعد أن حرفت عن مواضعها، وكادت أن تغيم تماماً، فالإيمان والعلم والإخلاص من أهم الميّزات التي تمثلت في سلوك الأصحاب وهو قوام الكفاءة التي نستطيع على ضوئها تقييم مستوى الكفاءة.

لقد بلغ الإيمان عند أصحاب الإمام الحسين عليه السلام حداً جعلهم في منتهى الإخلاص والعبودية لله عز وجل، وما حقيقة الإيمان إلا العبودية الخالصة لله عز وجل، ثم إنّ الإيمان لا ينمو في قلب ويتخلل شعابه ويغمر رحابه إلا بمدى ما يعي المرء من أهداف الرسالة التي يحملها.

لقد استوعب أصحاب الإمام الحسين عليه السلام رسالتهم وأطلوا على أبعادها الحقيقية، وكان أحد الأسباب في معرفتهم وجود القائد المخلص العامل لله عز وجل.

(١) الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة: العلامة السيد هادي المدرسي، ص٢٨٥.

فالإمام الحسين عليه السلام من لدن قيامه والى آخر رمق من نفسه الشريف كان يلهج بذكر الله عز وجل ويوطن نفسه بلقائهِ.

وكلّ المؤرخين والنقّاد يثبتون هذه الحقيقة، إذ ما من موطن إلا ويذكر الله عز وجل، ويوطن نفسه بالموت.

قال إمامنا عليه السلام: «خط الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وكأني بأوصالي هذه تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»(١).

وقال إمامنا عليه السلام وهو يهوي من على جواده بعد أن أثخن بالجراح:

تركـت الخلـق طـراً في هواكـا ۝ وأيتمـت العيـال لكـي أراكـا

فلـو قطعـتني في الحـب إربـاً ۝ لمـا مـالَ الفـؤادُ إلى سـواكا(٢)

فالإيمان هو أحد العوامل المهمة في تقييم الكفاءة وفي تقدمها، فإن وجد في شخص فإنّه يُساهم كثيراً في تحمل المسؤوليات، أياً يكون حجمها، لأنّ الإيمان يعصم الإنسان، ويخلق في نفسه الرّادع الذاتي، ولابدّ أن يرافق الإيمان العلم، وهو أحد الركائز الأساسية للكفاءة.

وإذا علمنا أنّ العلم يعني الحكمة والفهم الواسع فإنه من الضروري توفّره في الشخص الذي يتبوأ مركزاً مهماً في البلاد، فهو يحتاج إلى الحكمة والفهم الواسع، ومعرفة مفردات التطور والتخلف، فالبلد الذي يحتاج تقدمه إلى نهضة عمرانية وعلمية يتوقف على العلماء المخلصين الذين يضعون مصلحة البلاد فوق كل الاعتبارات.

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٣٦٦. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني، ص٢١٦.

(٢) تاريخ دمشق: ابن عساكر، ج٦/ص٣٠٦.

ثمّ إذا جئنا إلى مشروع النهضة فإنّنا بحاجة إلى علماء مخلصين يستطيعون من خلال عقولهم الحصينة تقديم أفضل الخدمات، وتدعيم النهضة بشكل فاعل، وهذا ما حصل في نهضة الإمام أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ جميع أصحاب الإمام عليه السلام كانوا علماء ربانيين، ويأتي في مقدمتهم العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فكان عالماً ومخلصاً ناهيك عن إيمانه العميق.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ ولدي العباس قد زقّ العلم زقاً».

كما أنه امتلأ إيماناً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمي العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقطعت يداه فأبدلهما الله بجناحين يطير بهما في الجنة».

ومن العلماء الربانيين حبيب بن مظاهر الأسدي وهو من الصحابة الأجلاء الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله بإحسان، ولازم أهل البيت عليهم السلام، وجاهد دونهم حتى مضى شهيداً مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

حبيب وما أدراك ما حبيب، فقد امتاز بعلو الهمة والشجاعة، ونفاذ البصيرة، ولا غرو في ذلك إذا علمنا أنه كان يختم القرآن في كل يوم، والقرآن يفجر الينابيع الثرة في الإنسان، ويزيل عنه غشاوة الدنيا، ومن الينابيع المهمة «الحكمة»، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[1].

فالآية تربط بين تعلم القرآن والحكمة، لذلك فإنّ الذين يتلون الكتاب حقّ تلاوته تتفجر بين جنبيهم الحكمة، وتطفح على ألسنتهم، وقد لمست هذا الواقع عند من يكثر تلاوة القرآن، فرأيت كلامه عليه طلاوة، وفيه حلاوة، ويقطّر حكمة.

---

(١) الجمعة: ٢.

وحبيب كان عالماً وفقيهاً، وبلغ أعلى درجات التقوى، والتقوى تفتح الآفاق أمام الإنسان، وتعطيه قوّة تمييز لا مثيل لها.

قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾[1]، ومعنى فرقاناً يفرق بين الحق والباطل.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

وحبيب كان أمة فاختاره الله عز وجل ليكون أحد أعلام النهضة الحسينية المباركة، فأفرد له الإمام السجاد عليه السلام قبراً لوحده.

ومن مزايا حبيب التي انفرد بها طاعته للإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وتفانيه في حب آل البيت عليهم السلام.

وقد شبهه البعض بالمقداد ابن الأسود الكندي الذي ضرب مثلاً رائعاً في طاعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

تقول الروايات: «إنّ حبيب بن مظاهر كان ينتظر اليوم الذي يلتحق بركب الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكان يعلم أنه من أصحابه، لذلك كان يعدّ العدّة، وينتظر اللحظة، فسنحت له في الكوفة، ثم شدّ الرّحال إلى كربلاء، وكان في انتظار الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وعقائل النبوة، وما إن وصل كربلاء حتى استبشر الجميع وغمرتهم الفرحة بالذات الهاشميون.

وبعد وصوله نزل حبيب من على جواده وهوى إلى قدمي الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام يقبّلهما.. يا الله.. يا الله.

---

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

أما لماذا يقبّل حبيب قدمي الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام؟ أولاً لأنّ الإمام أبا عبد الله عليه السلام كان يرتحل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وهو في السجود، وأعظم بها من منزلة.

وثانياً: فإنّ الإمام الحسين عليه السلام هو سيد شباب أهل الجنة، فأنى يكون مقام الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الجنة؟.

بالتأكيد إنّ حبيباً كان يعرف ذلك، ثم إن حبيباً كان يعلم أنّ قدم الإمام الحسين عليه السلام لن تطأ إلا مكاناً عالياً، وحبيب بن مظاهر الأسدي كان من علية القوم ومُبرزاً في قومه.

وأراد لقومه اللحاق بثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلا أنّ ابن زياد ضرب طوقاً ووضع «المسالح» كي يمنع أهل الكوفة من اللحاق بالإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولولا الإجراءات القاسية التي حالت دون التحاق الكثير لتغير ميزان القوى لصالح الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقد ظنّ الإمام بحبيب بن مظاهر فكان يؤخره عن المبارزة بالرغم من إلحاح حبيب، فجاءت اللحظة التي صدق بها حبيب ما وعد الله.

جاء في كتاب (الشهيد والثورة) للعلامة المدرسي: «إنّ التاريخ شهد بطولات كثيرة، ولكن لم يشهد قناعة كقناعات أصحاب الحسين عليه السلام.

لم يشهد التاريخ أن ترتفع رغبة الشهادة لدى المقاتلين كلّما تقلّ لديهم فرص النجاة، فيزداد إصرارهم على مواصلة الحرب، كلّما يسقط منهم ضحايا أكثر، وتبدو نهايتهم المفجعة بشكل أوضح.. إننا أمام نوع فريد من الرجال»[(١)].

إنّ التاريخ ينحني إجلالاً لأصحاب الحق، وكيف لا وهم قد سطّروا صفحات أثرت التاريخ، وجعلته يعيش سعيداً بعد أن مكث في البؤس والشقاء.

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة: العلامة السيد هادي المدرسي، ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

وكما أسلفت فإنّ التاريخ البشري شهد انتكاسات عدة، وفي فترات عصيبة وكاد أن يلفظ أنفاسه.

ولكن جاء من ينتشل التاريخ ويجعله حياً تمشي في عروقه الحياة، وهذه مهمة ليست باليسيرة بالذات إذا علمنا أنّ الحياة تطفح بالجيف، وتحاول أن تأخذ بهم إلى الحضيض. وفي خضمّ هذه الأمواج كيف ينبعث من يكتب التاريخ، ويعيد له الإشراقة، ويتنفس من جديد، إنها مهمة بعيدة المنال، ولكن عند من عزموا على العلو سهلة يسيرة.

ثمّ اقرأ هذه الصفحة من تاريخ البطولات النّادرة وهب المسيحي الذي أسلم في الطريق على يدي الإمام الحسين عليه السلام، ثم جاهد دونه حتى مضى شهيداً.

يقول العلامة المدرسي: «وأبدى وهب استعداده المخلص لتحمل كلّ ذلك، أليس من يتخذ قراراً بالدخول في الإسلام، لابدّ أن يتحمل مسؤولية هذا القرار؟ وإلا فكيف يمكن أن يعتبر إسلامه صادقاً؟. هذه هي بداية قصة العائلة... وهي بداية موفّقة.

ولكن نهايتها تعتبر من أغرب ما عرفه التاريخ فوهب أصبح أول شهيد مسيحي أسلم قبل عاشوراء بأيام.

وأمه أول أم في التاريخ تقول لابنها: «لن أرضى عنك حتى تقتل».

وزوجته أول شهيدة قتلت في كربلاء مع أصحاب الحسين عليه السلام [1].

لقد جاهد وهب كما تقول الروايات جهاداً قلّ نظيره، فقد أثخن الأعداء وعمل فيهم السيف حتى ضجّ منه عمرو بن سعد، فصاح: احتوشوه من كلّ جانب.

فحاصروه وأرادوا قتله، ولكن أبدى بطولة نادرة، وبينما هو يقاتل، وإذا به يسمع صوت زوجته من ورائه وهي تقول: «فداك نفسي يا وهب، قاتل دون الطيبين».

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة: العلامة السيد هادي المدرسي، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.

فرأى زوجته وهي تحمل عموداً من أعمدة الخيمة، وتحاول أن تقاتل به الرجال، فأوصل نفسه إليها وبادرها قائلاً: «ماذا حدث لك؟ أنت كنت تنهيني عن القتال وتقولين لي: لا تفجعني بنفسك ولا ترملني؟ ثم جئتِ تقاتلين معي؟.

فقالت: يا وهب لا تلمني، إنّ واعيةَ الحسين عليه السلام كسرت قلبي، وهدّت أركاني، فلقد سمعته يقول: وا غربتاه.. وا وحدتاه.. وا قلّة ناصراه.. أما من مجير يجيرنا، أما من ذاب يذبّ عنّا.

وسمعت أصوات نسائه قد ارتفعت بالبكاء في الخيمة، فخرجت لأقاتل معك، وأنال السعادة. ثم أراد منها أن ترجع إلى الخيمة، ولكنها رفضت، ثم أخذت تشجّع زوجها إلى أن سقط شهيداً وقد جندل الكثير من أعداء الله والإنسانية.

ثم جاءت فانحنت عليه تصبغ شعرها بدمه، فما كان من اللئيم شمر بن ذي الجوشن الذي أبدى صفحة من صفحات الجبن والعار يأمر أتباعه بقتلها فتضرجت بدم الشهادة (رضوان الله عليها).

يقول أحد العلماء: إنني كلما أحسّ بالضعف والوهن أتصفح تاريخ كربلاء فترجع همتي وتكبر قوتي، وكأني ملكتها تواً.

ويقول آخر: كلما غامت عليَّ الآفاق وادلهمّت الخطوب حتى بات الأمل يغرق في ظلام الاستبداد أتذكر كربلاء فينشق الأمل عن دجى الليل في سماء قلبي فيستيقظ الإحساس أنّ هناك أملاً كبيراً في حياة الإنسان. فكربلاء تحي الأمل في النجاة من الظلام الدامس.

إنّ كربلاء توصلك بأمان إلى ساحل الأمان، ثم تدعك تقطع المسافة حتى لو بعدت الشقّة، وهذا سر من أسرار كربلاء، لذلك فإنّ كبار الثوار لا يصدرون إلا عنها، ومنهم جمال الدين الأفغاني الذي قال: «الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء»[١].

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام. ص٧.

وفي نظري فإنّ جمال الدين الأفغاني لم يبدأ مشروعه الإصلاحي إلا بعد أن درس في جامعة كربلاء، وكذلك الشيخ محمد عبده، والمهاتما غاندي، وكل ثائر ومصلح. ولا زالت كربلاء تحمل السمات نفسها التي ولدت فيها.

إنّ كربلاء تكبر بمرور الأيام وتتسلق سلم الكمال، وها نحن في هذا العصر الذي بدت عليه ملامح الانكسار نرى كربلاء تتألق كما لو أنها ولدت تواً. ومن أسرار كربلاء أنك تجدها كبيرة في كلّ جوانبها الأخلاقية والإنسانية والحكمية.

إن الأجل يخطف كل موجود، وقانون الاندثار ينسخ كل حضارة، وهذا قانون لا يقبل الاستثناء، ولكنه ينحني أمام كربلاء الحسين عليه السلام فلا يستطيع أن ينسخ قيمها وحضارتها، وأنى له ذلك وكربلاء الحسين عليه السلام أضحت مصدر القيم وينبوع الفضائل، وهي الحكم الذي يفصل بين الحق والباطل، فتكشف الباطل مهما تلفّع بالأستار، وتزوق بالطلاءات.

لنفتح صفحة أخرى من تاريخ كربلاء.

فعابس بن شبيب الشاكري البطل الضرغام الذي زلزل الأعداء بنزوله حتى بلغت القلوب الحناجر، وعندما رأى الجبن يتطاير من عيونهم، وتتقلب كما لو أنها نزل بها الموت، عمد إلى درعه فرماها ونزع لامة حربه ومغفرته، وبدأ الهجوم على الأعداء كما لو أنه ذاهب إلى فرحة لقاء ربه.

صاح به زميله: ما أنت صانع؟ أمجنون أنت؟.

فيقول عابس: «لا تلوموني فحبّ الحسين هو الذي أجنني».

ومشى إلى عناق الشهادة فابتسمت وكأنها لامست أحلى ما يكون «حب الحسين بن علي عليه السلام».

فحبّ الحسين عليه السلام يجعل للحب حلاوة، ونكهة الجنان هو ابن فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلها من جبينها، ويقول: «كلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ابنتي فاطمة»[١].

وذكرت في كتاب (قبس من نور فاطمة): «إنّ فاطمة هي الإنسانة الوحيدة في الدنيا التي تفوح منها رائحة الجنة، أما لماذا؟ فلأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يحتاج ليعيش أجواء الجنة التي دخلها فلابدّ أن يعيش عبقها في الدنيا ليكتنز قوةً استثنائية أمام الأعداء الذين تكالبوا عليه، وصاروا أشد الناس قسوة على سيد الكائنات، لاسيما قريش، ومن جانب حتى تتسلق سيدة النساء مدارج الكمال كي تنقلها إلى ذريتها الطيبة»[٢].

فتهيأ أسباب الكمال.

فعابس تشرّب قلبه بحب الإمام الحسين عليه السلام فتوزع حبه في كل خلاياه، لذلك لم يأبه للجيوش حتى لو ملأت الأرض طلاعاً.

ومن يحب الله عز وجل خالصاً من كلّ شائبة ينتشر في قلبه، ثم يسري في كل خلاياه فيأبى الخنوع والخضوع لأنه يلمس قوةً تمنعه من ذلك، وتظل هذه القوة الحاجز المكين الذي يمنع كلّ أشكال الوهن والضعف، وأما الصفحة الخالدة التي تأبى الأفول فهي صفحة أبي الفضل العباس عليه السلام إنها صفحة لو قرأنا سطراً منها لكفانا مؤونة البحث عن العظماء والكبار والرموز التي ضربت مثالاً في التضحية والفداء.

إنه العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يعدّ بحق ساقي عطاشى كربلاء.

إذا كان ساقي الناس في الحشر حيدر فساقي عطاشى كربلاء أبو الفضلِ

---

(١) الأسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي، ص٢٠١.

(٢) قبس من نور فاطمة: للمؤلف، باب نطفتها من ثمار الجنة.

يكفي أبا الفضل عزاً ومقاماً أن فدّاه الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد قال الإمام (صلوات الله عليه) بعد أن اقترب الجيش السفياني: «أخي أبا الفضل اذهب بنفسي أنت وكلّم القوم وقل لهم: ماذا تريدون؟»(١).

جاء في (معالم السبطين) في أحوال أبي الفضل عليه السلام: كان العباس بن علي عليه السلام لا يجلس حتى يستأذن أخاه الحسين عليه السلام، وإذا جلس لا يتكلم بحضرته، وكان أبو الفضل يرافق أخاه الإمام عليه السلام حتى أنه خرج في صفين مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكشف الأعداء عن ماء الفرات.

وأراد أبو الفضل العباس عليه السلام أن يردّ القوم عن جنازة أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فمنعه الإمام الحسين عليه السلام، وقال: إن لك يوماً في كربلاء.

وقد حرس أبو الفضل عقائل النبوة في المدينة، وعندما انفصلت الزينبيات عن المدينة كان أبو الفضل يحوم حولها ويذود عنها، حتى أنّ الأعداء كانوا يهابونه كما كانوا يهابون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي حياة أبي الفضل عليه السلام عبر سامية في الأخوة والطاعة للإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فهو لم يعص له أمراً فكان يتمسك بأوامر أخيه الإمام عليه السلام ويعدّها طاعةً مفروضة، وقد ضرب مثلاً رائعاً في احترامه لسيد شباب أهل الجنة عليه السلام حيث لم يخاطبه إلا بعبارات عالية مثل: «سيدي أبا عبد الله»، و«يا ابن رسول الله»، باستثناء مرة واحدة عندما سقط على الأرض، فقال: «أخي أبا عبد الله أدرك أخاك».

جاء في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة): «عندما نظم الإمام عليه السلام صفوف أصحابه سلّم رايته إلى أخيه من أبيه أبي الفضل العباس عليه السلام، وبذلك فرض

---

(١) تاريخ الطبري: الطبري، ج٤/ص٣١٥.

عليه أن يكون آخر من ينزل إلى المعركة، لأنّ الراية يجب أن ترفرف حتى آخر رجل، كان عمره يومئذ خمساً وأربعين عاماً، وكان غاية في الرشاقة والجمال، حتى أنّ الناس أعطوه لقب قمر بني هاشم، فلم يكن أجمل منه في العائلة كلها.

قام بدور رئيس الأركان في كلّ مراحل المواجهة، فكان هو المعني بتنظيم أمور القافلة، وترتيب عمل الأصحاب، ومعالجة أمورهم، كما كان هو المعني بقضايا النساء والأطفال، وبقي مع الإمام عليه السلام طيلة ساعات القتال ولم يفارقه لحظة، ولم يبتعد عنه إلا لحاجات ضرورية.

وعندما قتل كل رجال الإمام عليه السلام، وتحوّلوا من مدافعين عن حرم الرسول صلى الله عليه وآله إلى جثث موزعة على رمال الأرض، اشترك في هجوم مزدوج على العدو، فالعباس عليه السلام هاجم على ميمنة العدو، بينما الحسين عليه السلام هاجم على ميسرته، ثم رجعا إلى مقرّهما في المخيم»[1].

يقول العلماء: إذا كانت هناك حدود للفضائل أو نهايات للخصال الحميدة فقد بلغها أبو الفضل واجتازها، عندما آثر الإمام الحسين عليه السلام بنفسه، بل لو ملك ألف نفس لقدمها قرباناً لله عز وجل.

ونفس أبي الفضل تختلف عن باقي الأنفس فهي ضمّت كلّ الفضائل، وبلغت في كربلاء أوج عظمتها، وهذه تشكّل معنىً كبيراً.

فالشجاع والجواد والشهم في ساعة العسرة وأيام المحنة قد يتردد بعض الشيء وإن لم يتردد فيحسب لها حساب، ولكن أبا الفضل العباس عليه السلام بلغ القمة في الشهامة والجود والإيثار والطاعة، فهو لم يتردد لحظة، بل ازداد قوة وبسالة، مما يدلّ على نفاذ البصيرة

(١) الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة: العلامة السيد هادي المدرسي، ص٢٩٣.

وقوة الإيمان والشجاعة، والجواد والشهم في الأحوال الطبيعية يتصرف بصورة طبيعية، وفي حالات الشدة يبدي سلوكاً فائقاً، أما أن يبلغ القمة في الشهامة فهذا شيء يعدّ استثناءً إلا في سلوك أبي الفضل عليه السلام حيث ترجم الشّهامة بحذافيرها، وأعطاها معنىً كبيراً كما لو أنها جمعت شهامة العظماء بأكملها، ويدلّ على ذلك زيارة الإمام الصادق عليه السلام:

«سلام الله وسلامُ ملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين وجميع الشهداء والصديقين فيما تغتدي وتروح». إنها كلمات تعبّر عن معاني كبيرة لاسيّما إذا عرفنا أنها جاءت من الإمام الصادق عليه السلام.

جاء في كتاب (الأيام الحسينية): «أأحكي عن صفاته، أم عن منزلته، أم عن جلالة قدره؟.

للعباس عليه السلام ثلاثة ألقاب، أحدها قمر بني هاشم، وقد عُرِف به من قبل.

الثاني: الطيار، إذ قال الإمام عليه السلام: أعطاه الله كجعفر الطيار جناحين يطير بهما مع الملائكة إلى حيث يشاء من الجنة.

ثالث ألقابه: لقب السقاء.

أحكي الآن عن جوده بالروح من أجل أخيه، كان عماد الحماية والذود هذه الأيام بعهدة العباس، وفي الحديث: «عندما قتل العباس زادت جرأة العسكر على قصد ناحية المخيم، أو لم تكن لهم هذه الجرأة ـ أصلاً ـ قبل مقتله.

أأتكلم عن جماله! عن قامته المديدة!. أأحكي عمّن إذا ركب الفرس العالي.

كان الحسين عليه السلام يحبّه حباً عظيماً حتى قال له: «بنفسي أنت».

إخوته لأمه قدّمهم من قبل للقتل، ثم جاءت نوبته، فعزم على الذهاب إلى الميدان، ولما رأى الأطفال يتهاوون من العطش، وبعضهم قد أسلم الروح.. أرجأ

الذهاب إلى الميدان واتّخذ طريقه إلى مشرعة الماء، وعندما ركب جواده ركب الإمام جواده كذلك ومضى وراءه، وما أن ركب هذان الأخوان حتى هجم العسكر وحال بين الأخوين.

رجع سيد الشهداء عليه السلام وكض العباس فرسه مسرعاً نحو شريعة الماء، وهناك كان ما كان من مقاتلته، إذ فرّق ألف فارس حتى بلغ الماء»[1].

ولكنه توقف فجأة ولم يشرب، لأنه تذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام، وتذكر عطش النساء والأطفال، فرمى الماء على الماء وأخذ ينشد:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنتِ أن تكوني

هذا حسين شارب المنونِ ... وتشربين بارد المعينِ

تالله ما هذا فعال ديني ... ولا فعالُ صادقِ اليقينِ[2]

وكما هو معهود فإنّ العطشان ينسى كل شيء باستثناء عطشه، أما إذا أخذ منه العطش فلا يعير اهتماماً لأيّ كان إلا إرواء غليله فلو أن الدنيا انصت عليه فلا يلتفت.

ولكن أبا الفضل (صلوات الله عليه) وهو في أشدّ حالات العطش نسي عطشه وتذكّر عطش أخيه والعقائل ممّا يدلّ على عمق المحبة والفهم الواسع لمقام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والأكثر من ذلك ملأ القربة وهو عطشان وحملها وهو عطشان وقاتل ومعه الراية والقربة وهو عطشان، حتى قال:

والله إن قطعتم يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقينِ ... نجل النبيّ الطّاهر الأمينِ

---

(١) الأيام الحسينية: العالم الرباني الشيخ جعفر التستري، ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٥/ص٤١.

إنه الإيثار في أعلى صوره، والشهامة في أروع معانيها، واليقين في أقصى درجاته.

هذه هي كربلاء تُثبت المعنى الصحيح للقيم العالية، ثم تؤكدها بكلّ قوة، فنحن محقّين عندما نقول: إن المعاني الجليلة لا تكبر إلا في كربلاء ولا تأخذ شكلها الصحيح إلا فيها.

يمكن أن نقول وبحق: إنّ أيَّ معنى من معاني الحياة الكريمة لا يمكن أن ينمو ويأخذ مداه إلا في كربلاء الحسين عليه السلام.

لقد ألحقت كربلاء هزيمة منكرة بترّهات الحكم السفياني، وكبدته خسائر فادحة.

لماذا؟ فلأنّ كربلاء هي الحلبة الأساسية لأيّ منازلة حقيقية مع الباطل، فلن تكون المنازلة مع الباطل إلا في كربلاء.

ونحن لا نعرف حقيقة الهزائم المنكرة للباطل إلا في ساحة كربلاء، فساحة كربلاء تكشف حقيقة الانتصار وماهية الهزائم، لذلك يريدون لكربلاء الأفول.

لقد وعد «ستالين» كربلاء بالذبح، فقال لجلاوزته: اقتلوا كلّ من يلبس العمامة.

فذهبوا وقتلوا كما يقول التاريخ (٩٠ ألفاً).

ثم جاؤوا إلى ستالين مكلّلين «بشارات النصر»، فقالوا: لقد أتممنا المهمة.

قال: أنتم لم تعملوا شيئاً.

قالوا: كيف وقد قتلنا الكثير.

فرد: وهل قتلتم كربلاء؟ إنكم إذا قتلتم كربلاء فقد أتممتم المهمة، وتخلصتم من مصدر الثورات على الحكام والدول:

ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداءُ

نعم فكربلاء هي المصدر الثرّ لكل الثورات الحقيقية، ولكل معاني السماء.

إنّ أرض كربلاء هي أقرب نقطة إلى السماء، وهي من جنسها، فلا غرابة إذا ألحقت بالجنة، وتكون من أفضل بقاعها، وتصبح موطن الأنبياء، كما جاء في (البحار: كتاب البلدان) للعلامة المجلسي قدس سره.

من هنا فإنّ الله عز وجل اختارها لأبي عبد الله الحسين عليه السلام ثم لأصحابه الميامين.

لقد أبلى أبو الفضل العباس عليه السلام بلاءً حسناً في الذود عن إمام صادق حتى إنه زرع اليأس في أعدائه.

لقد احتوشوه كما تقول الروايات أربعة آلاف لكنه لم يأبه بهم، هذا هو الإيمان، فإنه يجعل الإنسان أقوى ما يكون في ساعة الشدّة.

تقول الروايات: «فالتفت إلى القربة، فرآها لا تزال سليمة، فوضعها على قربوس الفرس، بينما أمسك عنقها بأسنانه، وكان ينشد:

يا نفس لا تخشي من الكفارِ وأبشري بنعمة الجبّارِ

قد قطعوا ببغيهم يساري فأصلهم يا ربّ حرّ النارِ

لم يُصب العباس عليه السلام باليأس رغم أنهم قطعوا يديه، فالمعاني الذليلة تلاشت فهي لم تجد موقعاً ولو ضئيلاً في نفس أبي الفضل عليه السلام فانهزمت شر هزيمة.

إنّ المعاني الذليلة لا تكمن في نفوس الكبار لأنها تفتضح وتظهر سوءاتها، وإنما تستوطن نفوسهم المعاني الكبيرة كي تكبر فتظهر حقيقتها، إنّ نفس أبي الفضل العباس كانت موطناً أساسياً للمعاني الجليلة.

لقد قطعوا يمينه ولكن ماذا كان رده؟:

يا نفس لا تخشي من الكفارِ وأبشري بنعمة الجبّارِ

يبشر نفسه بالشهادة ولكنه يعطيها معنىً كبيراً حيث يطلق عليها بـ«النعمة».

هـذه هـي كـربلاء ولـن تكـون كـربلاء إلا لقـيم الحـق، ولكـن هـل انحنـى أبـو الفضل عليه السلام؟! كلا لقد تمسك بالراية وبالقربة.

كان همّه إيصال الماء إلى عقائل النبوة، وقد كشف الأعداء وهم ألوف عن يد واحدة، ولكن الجبن واللؤم تمثّل بكلّ قبح فهوى على شماله فقطعها لكنه لم يقطع عزم أبي الفضل عليه السلام، فاحتضن الراية وضمّها إلى صدره الشريف، ثم توجه إلى الخيام، ولم يلتفت كما تقول الروايات إلى يمينه وشماله، وكاد أن يصل ولكن السهام جاءته كالمطر، فسهم أصاب القربة، وسهم أصاب عينه فنزل الدم على وجهه المبارك ولم يلتفت (لكن وا أسفاه) فجاءه وغد لئيم من خلفه فضربه بالعمود على رأسه، فهوى قمر العشيرة وعينه على القربة، وقلبه عند الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فصاح: أخي أبا عبد الله أدرك أخاك.

تقول الروايات وأيضاً في (معالي السبطين) نقلاً عن حميد بن مسلم يقول: «رأيت الحسين عليه السلام نزل من على جواد فأخذ كفاً فقبلها ثم بكى عالياً فاقترب من العباس».

جاء في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة):

«كان الإمام عليه السلام يراقب تحركات العباس عليه السلام من خلال رأس الراية الذي كان يلاحقه وهو يدور بين النخيل، ولما سقطت الراية عرف الإمام حقيقة ما حدث فأسرع إلى مصرعه.

ولكن عندما وصل إليه كان العباس عليه السلام يجود بنفسه، فسمع صوت اقتراب أحد إليه فظنّ أنه العدوّ جاء ليحتزّ رأسه، إذ لم يكن قادراً على أن يرى لأنّ عينه اليمنى

كانت ممزّقة بسهم، وعينه اليسرى كانت ممتلئة بالدم، فقال: يا هذا... بالله عليك أمهلني حتى أودّع أخي.

ومع الدموع أجابه الإمام عليه السلام: فداك أخوك أنا أخوك.

ورمى بنفسه على الأرض، وحاول أن يحمله إلى الخيام ليموت إلى جنب إخوته، وبني عمه، ولكنه إلتمس الإمام عليه السلام أن يتركه حيث هو، ولما سأله الإمام عليه السلام عن السبب، قال: «أخي... لقد وعدت سكينة والأطفال بالماء ولا أريد أن يروني فيتذكروا الوعد...».

وطارت روحه إلى الجنة.

يقول شهود عيان: «إنّ راية الحسين عليه السلام لما حُملت إلى يزيد ونشروها أمامه لم يجد فيها موضعاً سالماً من السهام، إلا موضع قبضة الكف التي كانت تمسك بها».

فسأل يزيد: من كان يحمل لواء الحسين.

فقالوا له: كان يحمله العباس.

فقال: أبيت اللعن يا أبا الفضل هكذا يصنع الأخ لأخيه[1].

وأخيراً وليس آخراً:

يمكن أن نقول إن الكفاءة كان لها دوراً كبيراً في نجاح النهضة الحسينية المباركة، فقد أسهمت بشكل فعال في إنجاح الثورة وفي أدق مراحلها، وبذلك فإن اختيار الإمام أبي عبد الله عليه السلام للكفاءة يعد إنجازاً بحد ذاته، ونصراً حقيقياً للقيم الإسلامية.

فالعنصر الكفوء بإمكانه أن يعطي صورة عالية عن المبادئ ويجعلها كبيرة في واقع الناس، وقد يخلق واقعاً مثالياً بمستوى القيم.

(١) الإمام الحسين عليه السلام الشهيد والثورة: العلامة السيد هادي المدرسي، ص٢٩٩/٣٠١.

إن الإمام علياً عليه السلام خلق واقعاً مثالياً جعله بمستوى القيم مما أسهم كثيراً في تثبيت القناعة لدى الناس، واستمرت القناعة وإلى يومنا هذا.

ومما زاد في قناعة الناس ثورة أبي الضيم الإمام أبي عبد الله الحسين السبط عليه السلام، فكربلاء عمقت القناعة، وغلغلتها في قلوب الناس حتى غدت جزءاً من حياة الكبار، وظلت تتحدى الأعاصير.

فعلى المؤسسات أن تهتم بالكفاءة، وتجعلها المعيار في ملء الفراغات حتى لو طال بها الأمد، ثم هناك واجب وأحسبه ملحاً أن تضع برنامج عمل لرفع مستوى الأفراد علمياً وأخلاقياً.

إنّ العلم يشكّل أهمية استثنائية، فهو يجعل الإنسان يفكر قبل أن يعمل، ثم يحسب بدقة نتائج العمل، وهذا شيء مهم للغاية، ولكن الأهم منه الصمام الذي يضمن العملية العقلية ويتمثل بالأخلاق، ولابدّ للمؤسسات توفر «صمام الأمان».

فالأخلاق تحفظ العلم، وتضبط مساره بحيث لا يؤدي به إلى الهبوط، وإلى خدمة المصالح الذاتية، فالعلم سلاح ذو حدين، فإذا اقترن بالأخلاق صار ربّانياً، ويخدم الأمة، أما إذا تجرّد عن الأخلاق صار شيطانياً، إن العلم إذا تجرّد عن الأخلاق يتحول إلى مكيدة يستغلها الشيطان.

لذا أوصي نفسي وطلاب العلم الالتزام بالأخلاق، وقد أكدت في كتاباتي ومحاضراتي أنّ طالب العلم أحوج ما يكون إلى الأخلاق لأنها تضبط مساره، لأن العلم يشكل أقصر الطرق إلى التكبر والمباهاة.

وقد يتحول إلى أخطر وسيلة، فكم من عالم جرّ الوبال على أمته لتكبّره، وباتت هذه الظاهرة طاغية على سلوك العلماء والأغنياء.

وهي عند العلماء أقرب منها إلى الأغنياء، وقد يتجرّد منها الغني إذا فقد المال، ولكن العالم لا ينسلخ منها إلا إذا توفاه الله عز وجل.

وقد شاهدت بنفسي بعض هؤلاء، فقد أسمعني أحد أنصاف العلماء «عبارة» لم أسمعها في حياتي، ولم أتوقعها من أرذل الناس، وإن كنت لا أحب أن أطلق هذه العبارة، وعندما نقلت العبارة إلى أحد السادة الخطباء، قال لي:

إنّ هذا الأستاذ في الحوزة العلمية في السيدة زينب عليها السلام قال لي:

«إنّ الخطباء كالفاحشات، فالخطيب يأكل من لسانه والفاحشة من فرجها».

وقد استخرت الله عز وجل في تثبيت هذه الواقعة المؤلمة بتفاصيلها، لأنها قد تحرج البعض فخرجت الآية: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾[1].

لقد اقشعرّ بدني، ويشهد الله أنّ هذه العبارة أرقتني كثيراً، وكلما أتذكّرها تسود الدنيا في عيني، وأحسّ بالوحشة، فكل شيء كنت أتوقّعه في حياتي إلا هذه العبارة التي كادت أن تغيّر مسيرة حياتي لولا تمسّكي بأئمتي (صلوات الله عليهم أجمعين).

لذلك وحتى أكون صريحاً فإني لا أقيم وزناً للعلماء ما لم يتخلّقوا بآداب القرآن الكريم وأخلاق أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الأخلاق هي المعيار أولاً وأخيراً.

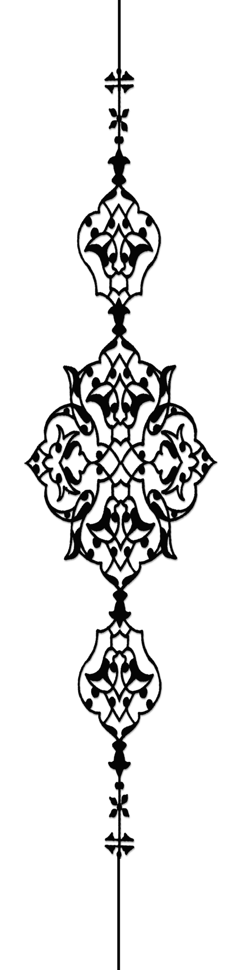
قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

---

(١) النمل: ٨٩.

(٢) القلم: ٤.

الفصل العاشر



مسلم بن عقيل

صلوات الله وسلامه عليه

الرجل المناسب في المكان المناسب

لقد أولى الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام هذه الخطة اهتماماً بالغاً، ثم إنه اعتمدها في كلّ تفاصيل الثورة، لقد وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

مصداق ذلك مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليهم السلام الرجل الكبير والعظيم، وقد حمّله الإمام عليه السلام مسؤولية إدارة الصراع في الكوفة، فنهض بها، وفاق التوقعات في انجازاته وأدائه، لأنّ مسلم بن عقيل امتاز بصفات عالية أهلته بجدارة لإدارة الصراع، ثم توجيه المعركة لصالح الثورة الحسينية، بالرغم من شدّة الضغوط وقساوة الصراع، فاستطاع أن يخرج بنتائج باهرة ظلّت لهذه الساعة تشغل أذهان العلماء والمفكرين وأصحاب النظريات.

مسلم بن عقيل

تقول الروايات أنه ولد في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقال فيه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله الإمام علي عليه السلام عن حبه لعقيل، قائلاً: «يا رسول الله إنك لتحب عقيلاً؟».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إي والله! إني لأحبه حبين، حباً له، وحباً لحبِّ أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون».

ثم بكى الحبيب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: «إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي»[1].

(١) الأمالي: الصدوق، ص١١٤.

يقول (البلاذري):

«وكان مسلم بن عقيل من أرجل ولد عقيل وأشجعهم»[١].

وقد اشترك في صفين، وكان أحد قادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أبلى بلاءً حسناً[٢].

ولا غرو في ذلك، وهو قد تخرّج من مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

جاء في كتاب (مبعوث الحسين عليه السلام):

«الشجاعة الخارقة المشهودة لمسلم كسمة من أشهر سماته، لم تأتِ من التدريبات البدنية فحسب، وإنما جاءت أيضاً من تعاطيه العلم والعرفان في مدرسةٍ وفقت بنجاح بين دروسها السلاح، مدرسة أفلحت بمعلمين غير عاديين وحظيت بأساتذة غير ضعفاء ولا نظريين فمن هم هؤلاء الذين علّموه ودرّسوه؟! إنهم معلّمو الأمة وأساتذة الإنسانية الذين كان سيد الكائنات وأشرف البشرية قد خصّهم بعلمه وحكمته دون غيرهم من الناس، إنهم: أخو النبي وابن عمّه، وريحانتاه من الدنيا.

قد زاحم أقرانه والصحابة والتابعين في وقوفه عند باب مدينة العلم علي أمير المؤمنين عليه السلام، وريث خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، فتشرّب من عمه التقوى واليقين، وارتوى من نمير علوم عليّ العظيم، مستلهماً منه الصفات والمزايا الحيدرية.

إنه شاطر الهاشميين الهيبة والشمائل، وسائر السمات كالعلم والحلم والأناة والسؤدد والإباء والشمم، يلتهب حماساً ليمتلئ وعياً وعرفاناً، وعلماً جماً»[٣].

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢/ص٧٧.

(٢) المناقب: ابن شهر آشوب، ج٣/ص١٦٨.

(٣) مبعوث الحسين: محمد علي عابدين، ص٤٩، ط مؤسسة النشر الإسلامي.

ومسلم كان قائداً عسكرياً في صفين جعله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على فيلق من الجيش على الميمنة التي ضمّت كبار القادة، مثل: سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، وعبد الله بن جعفر زوج العقيلة زينب عليها السلام»[١].

وجاء في كتاب (مبعوث الإمام الحسين عليه السلام) أيضاً:

قال البياسي في (الأعلام) بسنده:

«كان مسلم بن عقيل مثل الأسد، وقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت»[٢].

يقول الزركلي عنه: «إنه كان من ذوي الرأي والعلم والشجاعة»[٣].

وتزوج الشهيد مسلم بن عقيل من رقية بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت زوجته الفضلى التي أنجبت عبد الله بطل من أبطال كربلاء.

وتقول الروايات: إن مسلم صاهر الإمام عليه السلام ثانية عقب وفاة الأولى برقية الصغرى، وقيل بأم كلثوم.

كما اختلف المؤرخون حول أولاد مسلم، فقيل خمسة وبنت واحدة، وقيل أربعة وبنت واحدة، من رقية الأولى، أو أختها بعد وفاتها.

لكن المتفق عليه لدى سائر المحققين أنه لم يبق لمسلم عقب.

ولمسلم عشرة أو أحد عشر من إخوته الكرام، وقد استشهدوا في كربلاء الحسين عليه السلام، وهم يجودون بمهجهم من أجل القرآن والعقيدة»[٤].

---

(١) المناقب: ابن شهر آشوب، أولاد عقيل بن أبي طالب.

(٢) مبعوث الحسين: محمد علي عابدين، ص٥٢.

(٣) مبعوث الحسين: محمد علي عابدين، ص٥٢، نقلاً عن: الأعلام: للزركلي، ج٧.

(٤) نفس المصدر: ص٥٥.

وقد أثبتت الوقائع في الكوفة أنّ مسلماً كان بطلاً شهماً، ورفيعاً في أخلاقه وعبادته، وقد سجل في تاريخ الإسلام صفحات بيضاء لا يمكن أن تنمحي من ذاكرة الزمن.

إنّ التاريخ المشرق يشكّل أحد الروافد في استنهاض الأمة، وعندما تجد الأمة تاريخاً مشرقاً ومفعماً بالمواقف الكبيرة فإنّ بإمكانها أن تكتب المواقف بقوة وبروح عالية.

إنّ مسلم بن عقيل كان الرجل المناسب للكوفة لأنها تشكّل أحد الحواضر المهمة، فكانت عاصمة الدولة الإسلامية في زمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم أصبحت العاصمة الثقافية للدولة مما أكسبها موقعاً استراتيجياً، فكان لابدّ من رجل يحمل المؤهلات الكافية ليكسب الموقع الاستراتيجي، لذلك جاء مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) مبعوثاً إليها. وقد أختار الإمام الحسين عليه السلام مسلماً لعدّة اعتبارات:

الاعتبار الأول ـ مؤهلات مسلم بن عقيل

«فهو رجلٌ يحمل هموم تقرير المصير، قد توفّرت فيه الكفاءات كافة، وتجمّعت لديه معالم الجد والجدارات، ليكون خليقاً بنيابة سبط رسول السماء صلى الله عليه وآله وسلم، متكامل اللياقة في الولاية المطلقة لإدارة حركة الكوفة بقابلية نادرة، إذ كان هذا الرجل واعياً للواقع المرير، معاصراً للآلام التي اعتصرت الشعوب المسلمة، مواكباً لمسار الوقائع ومجريات الأحداث، ونكبات الأمة، محيطاً بالحكم القائم، والنحو السياسي الذي ينحوه، مشاطراً الإمام في أهم آراء علاج الأزمة، ملماً بمنهج الإمام الحسين عليه السلام في القضايا المهمّة، فهو عضد ابن عمه السبط، ونجيته في تبادل وجهات النظر المصيرية الحاسمة، يتداول معه مظالم المسلمين، ومشكلاتهم التي تنقد بهم للثأر لدين الله، باعتبارهم أمناء الرسالة، وأحوط الناس على الإسلام الحنيف»[1].

---

(١) مبعوث الحسين: محمد علي عابدين، ص٨٢.

فهذه الميّزات أهّلت الشهيد مسلم ليكون سفيراً للإمام الحسين عليه السلام بحق، وممّا أكّد هذه المؤهلات رسالة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

جاء في (الطبري): إنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما وجّه مسلماً (رضوان الله عليه) حمل أهل الكوفة الرسالة التالية:

«لقد أرسلت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي»[١].

إنّ هذه الرسالة لها دلالات مهمة فيما يخصّ الشهيد مسلم حيث عدّه الإمام أخاه، وهذه منزلة عظيمة لمسلم، ومن جانب تدلّ على دور مسلم الكبير «وابن عمي وثقتي من أهل بيتي».

وقد ارتقى مسلم الشهيد أعلى سلّم الكمال، وكان بحق الثقة، فهو لم يتلكأ لحظة في أداء واجبه، ولم يساوم السلطة في الكوفة حتى في السلام.

فكان في منتهى الاستقامة والأخلاق، إذ لم يجنح إلى أيّ شكل من أشكال الختل والمراوغة، آية ذلك عندما طلب منه الشريك بن الأعور اغتيال عبيد الله بن زياد، وهو في داره، فرفض مسلم، وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«الإيمان قيّد الفتك، المؤمن لا يفتك».

الاعتبار الثاني ـ في اختيار مسلم

فعلمه بالتركيبة السكانية المعقّدة في الكوفة، فالكوفة كانت خليطاً من القوميات، فقد سكنها الفرس، والنبط، واليهود، والسريان، والعرب، والأتراك، والأكراد، والروم الذين كانوا يشكّلون النسبة العددية الثّانية بعد الفرس[٢].

(١) تاريخ الطبري: الطبري، ج٤/ص٢٦٢.

(٢) مبعوث الحسين: محمد علي عابدين، ص٦١.

وأصحاب الديانات:

١ ـ اليهود: لاسيما يهود المدينة والحجاز فهم استوطنوا الكوفة وشكّلوا شريحة صناعية مهمة.

٢ ـ النصارى: يقسمون إلى طائفتين: النساطرة واليعاقبة، ونصارى نجران الذين سكنوا في محلة سميت باسمهم «محلة النجرانية»، والنصارى كانت لهم علاقات مهمة مع البلاط الأموي، لاسيما الخلفاء منهم، كما جاء في (عيون الأخبار) لابن قتيبة[1].

٣ ـ المجوس: وبعض الديانات القادمة مع أسرى الحروب كالزرادشتية، والمانوية، والمزدكية التي كانت يعتقد بها البعض، أو يعتنقها، ولها أنصارها[2].

٤ ـ الفرس: فقد استوطنوا الكوفة وتحالفوا مع قبيلة بني تميم، وأكثرهم من بقايا فلول الجيش الساساني، وقد عرفت في التاريخ باسم «حمراء ديلم».

٥ ـ الأنباط: وكانت الأنباط من العناصر التي سكنت الكوفة، وهم فئة من العرب يستخدمون اللغة الدارمية في كتاباتهم، وكانوا يستوطنون بلاد العرب الصخرية، وقد انتقلوا منها إلى العراق، واشتغلوا بالزراعة، وكانوا ينطقون بلغتهم الدارمية[3].

وأما القبائل العربية:

فقد تسابقت القبائل اليمنية إلى سكنى الكوفة منها:

١ ـ قضاعة.

٢ ـ غسان.

---

(١) الأخبار: ابن قتيبة الدينوري، ج١/ص٤٣.

(٢) مبعوث الحسين: محمد علي عابدين، ص٥٨.

(٣) الحضارة الإسلامية: آدم متز، ص٩٧.

٣ ـ بجيلة.

٤ ـ خثعم.

٥ ـ كندة.

٦ ـ حضر موت.

٧ ـ الأزد.

٨ ـ مذحج.

٩ ـ حمير.

١٠ ـ همدان.

١١ ـ النخع.

وهذه القبائل نزلت في الجانب الشرقي من مسجد الكوفة.

وأما القبائل العدنانية، فهي:

١ ـ تميم.

٢ ـ بنو العصر.

وقبائل بني بكر:

١ ـ بنو أسد.

٢ ـ غطفان.

٣ ـ محارب.

٤ ـ نمير.

وكان في الكوفة الخوارج، فقد سكنوها وجعلوها قاعدة انطلاق لعملياتهم العسكرية ضد الحكومات.

والنواصب، فقد تكاثروا في الكوفة بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والأمويون، فإنهم شكّلوا جزءاً مهماً من المجتمع الكوفي، وقد ساهم معاوية كثيراً في سكناهم، وحاول أن يحدث توازناً سكانياً بينهم وبين شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

إنّ هذا الخليط السكّاني جعل الكوفة صعبة المراس، وعصيةً دائماً، وبالتالي لا ترسو على قرار، من هنا فإنّنا لا نقبل ما تفوّه به القاضي ابن العربي في (العواصم من القواصم) بأنّ أوباش الكوفة غرّوا الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام فخرج استجابة لهم، فهذا الكلام غير واقعي ويجانب الصواب، لأنّ الكوفة كما هو ثابت خليط غير متجانس من القوميات، ولا تشكّل الشيعة إلا نسبةً قليلةً بعد التسفير القهري الذي قام به عبيد الله بن زياد.

فعليه فإنّ سفير الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل كان ملماً بالتركيبة السكانية لأهل الكوفة، وهي إحدى الاعتبارات في اختياره.

الاعتبار الثالث ـ وجود المذاهب والديانات

فكانت الكثير من المذاهب والديانات تسكن الكوفة، فالخوارج كما ذكرنا استوطنت الكوفة والنواصب والعثمانية ومن الديانات الأخرى.

الاعتبار الرابع ـ إنّها العاصمة الثانية بعد الشام

كلّ هذه الاعتبارات وغيرها جعلت الشهيدَ مسلماً مرشحاً لسفارة النهضة الحسينية.

وكما هو ثابت في الدبلوماسية الدولية أنّ السفير يمثّل الدولة فلابدّ أن يملك المؤهّلات الكافية لتسيير دقّة الحركة الدبلوماسية، وقد مثّل الشهيد مسلم السفارة خير تمثيل ممّا جعله يدخل سجلّ السفراء الخالدين.

فهو دخل الكوفة وكانت تموج بالفتن والاضطرابات، فاستطاع بفترة قياسية تطويق الفتن، ومحاصرة الاضطرابات، مما خلق جواً إيجابياً ساهم في تدعيم حركة السفير مسلم الإصلاحية، فالتحق به الكثير.

جاء في (تاريخ الطبري):

«أما بعد: فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإنّ الناس كلّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام»[1].

إنّ هذا العدد يدلّ على سرعة استجابة الناس لحركة الشهيد مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه)، فاستطاع أن يوسع حركته بحيث شملت الكثير من القبائل العربية وغير العربية، فرجحت كفّة الشهيد مسلم بن عقيل ممّا اضطر أعوان السلطة إلى مراسلة يزيد بن معاوية يحذّرونه من التحولات الخطيرة.

فبادر عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي بالكتابة إلى يزيد:

«أما بعد: فإنّ مسلم بن عقيل، قد قدِم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعّف»[2].

وقد توالت الرسائل على يزيد بن معاوية من أعوان السلطة، أمثال عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد، وغيرهما، مما حفّز يزيد بن معاوية إلى استنفار قواته ومستشاريه، ومنهم «سرجون المسيحي المتهتك»، فأشار عليه بتوليه عبيد الله بن زياد، فقبل استشارته.

---

(١) تاريخ الطبري: الطبري، ج٤/ص٢٨١.

(٢) تاريخ الطبري: الطبري، ج٤/ص٢٦٥.

٢ ـ استطاع مسلم بن عقيل المبعوث الحسيني أن يوحّد القبائل العربية، ويجعلها تنتظم في سلك العقيدة الإسلامية بعد أن شهدت القبائل حوادث مرّة كادت أن تعصف بقيمها الإسلامية، ومثلها العربية، فجمع مذحج، وهمدان، وتميم، وكندة، في ثورته الإصلاحية.

تقول الروايات:

قام مسلم بتنظيم جيشه، وأسند القيادات في الجيش إلى من عرفوا بالولاء والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام، وهم:

أ ـ عبد الله بن عزيز الكندي: جعله على ربع كندة.

ب ـ مسلم بن عوسجة: جعله على ربع مذحج.

ج ـ أبو ثمامة الصّائدي: جعله على ربع قبائل بني تميم، وهمدان.

د ـ العباس بن جعدة الجدلي: جعله على ربع المدينة[1].

لقد جعل الشهيد مسلم هذه القبائل تتوحد وتتآلف، وتنبذ جميع الاختلافات، وهذه الخطوة إنما تدلّ على حنكة الشهيد مسلم وبعد نظره، فإنّ القائد الناجح هو الذي يوحد، ويعمق العلاقات بين الطوائف، ويجعلها في خندق واحد.

وتعدّ هذه الخطوة من أهمّ الخطوات في تقدّم القادة، وسرّ نجاحهم، لذلك فإنّ العدو يحسب لهذه الخطوة ألف حساب، فيصنع المستحيل كي لا تجتمع الفئات وتتوحد.

وهكذا أسرع يزيد بن معاوية بعد أن تناهت إلى سمعه أخبار توحد المجتمع الكوفي في ظلّ مبعوث الإمام الحسين عليه السلام، فأرسل مضطراً عبيد الله بن زياد ليجهز على الوحدة التي ظهرت بقوة.

---

(١) موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: العلامة الشيخ القرشي، ج٢/ص٣٨١.

٣ ــ إنّ طاعة مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) لإمامه الحسين عليه السلام، وفي ظروف غاية في التعقيد يدلّ على عمق إيمانه، ونفاذ بصيرته، بالنهضة الحسينية، وهذا مما ساهم كثيراً في قوة تحديه للطغمة الحاكمة.

إنّ تحدّي مسلم شكّل مَعْلماً من معالم الثورة الحسينية، ومفصلاً مهماً من مفاصلها، ممّا أثار الدهشة حتى عدّوه أحد أبرز قادة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

جاء في كتاب (مبعوث الإمام الحسين عليه السلام):

يقول الزركلي عنه: إنه كان من ذوي الرأي، والعلم، والشجاعة.

بينما قال أحد معاصري مسلم شعراً ينص على مدى مجد قوته:

فتى كان أحيى من فتاة حييةٍ وأقطع من ذي شفرتين صقيلِ

وأشجعُ من ليثٍ بخفان مصحرٍ وأجرأ من ضارٍ بغابةِ غيلِ[1]

والعجيب في الأمر:

إنّ الناس عندما انفضّوا من حوله ازداد شجاعة واستقامة، فبلغ أعلى درجاتها.

لهذا نقول: إنّ فرداً واحداً إذا تجسّد فيه خلق الإسلام، ومثله العليا يغني عن الآلاف، بل عن الملايين، فيصبح أمة كاملة، كإبراهيم النبي عليه السلام الذي قال فيه الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾[2].

وهكذا هو مسلم بن عقيل أصبح أمة كاملة بعد أن جسد كل معاني الإسلام ومثله العليا. لقد ترك صوراً عن خلق الإسلام لا تنمحي أبداً من ذاكرة الإنسانية، فقد أطاع الإمام عليه السلام، وهو يعلم أن طاعته زلفى لله عز وجل.

---

(١) مبعوث الحسين: محمد علي عابدين، ص٥٢.

(٢) النحل: ١٢٠.

ومن جانب فأنّ مسلماً استوعب تماماً مقام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذه خصلة تحتاج إلى عقل كبير، وإيمان عميق، وقد توفرت في مسلم طاعة الإمام الحسين عليه السلام وأثرت تماماً على أخلاقه، بحيث جعلته يدور حول شخص الإمام عليه السلام في كل صغيرة وكبيرة.

وبذلك حقق نجاحاً كبيراً في مجال الأخلاق والمثل، وهل الانتصار إلا تحقيق المثل؟ لعل الكثير لا ينسى شهامته وهو في بيت هاني بن عروة، وقد أبى أن يقتل عبيد الله بن زياد قائلاً:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المؤمن لا يفتك، إن الإيمان قيّد الفتك».

وكذلك وقوفه إلى آخر لحظة يتحدى الطغيان، فعندما انهزم الناس وتركوه لوحده مع ثلة من أصحابه لم يترك الكوفة وكان بإمكانه ذلك، ولكنه أبى أن يتراجع، بل تقدم بخطوات كبيرة تعد بحق من أروع ما سجله التاريخ في حياة مسلم، وهكذا ظل يتحدى الطغاة ويقاتل بقوة لا مثيل لها إلا عند أهل البيت عليهم السلام، وهذا الموقف ردٌ قاطع لمن تقوَّل على مسلم ووصفه بالجبان في رسالة منسوبةٍ إلى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

٤ ـ استقامة مسلم بن عقيل: ثم إن مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) جعل الهدف السامي أمامه في كل خطوة، فكان دقيقاً في خطواته وحساباته، وإدارته للصراع.

فكان يسعى إلى خلق أجواء إيمانية عبر تركيزه على الصلاة جماعة في المسجد في أخذ البيعة، فأخذ الناس يرتادون المسجد ويسلموا أمرهم لقائدهم مسلم بن عقيل.

فسيطرة أجواء عبقة على الكوفة مما جعل الكثير يسترجع الصور المشرقة لمثل الإمام عليه السلام أمير المؤمنين في الكوفة، فتهيأت النفوس للدفاع عن نهضة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

إن من الضروري تهيأة الأجواء الإيمانية لأي نهضة، فما لم تتهيأ الأجواء لا يمكن للنهضة أن تتقدم وتستقيم، إن الدافع الروحي من أقوى الدوافع لدى الإنسان، فهو الذي يمد الإنسان بالقوة والصبر والشجاعة في ساعة العسرة، ولا يقهر العدو إلا الإستقامة والصبر.

وشاهدت بنفسي كيف أن الإستقامة ترغم العدو على التراجع، وتعلمت الكثير من السجن، منها أهمية القوة الروحية، فإنها كانت تعطينا عزماً عالياً، وثباتاً قوياً، جعلنا نقف بقوة أمام الطغيان ونستصغر شأنه.

وكلما تقدم الإنسان نحو الاستقامة أزداد عزماً ومضياً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[1].

وقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وآله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[2].

ومن الحقائق الثابتة أن الاستقامة على المبدأ حتى لو كان سقيماً ترفعه في أعين الناس، ويكتسب الاحترام والتقدير، أما إذا استقام الإنسان على المبدأ الصحيح فهو يرتفع في عين الله عز وجل، ثم يكتسب المصداقية التي هي أمثل طريقة في زرع الثقة بالمبدأ.

لهذا فإن مسلماً (رضوان الله عليه) عندما استقام على الطريقة وضرب بها أروع الأمثلة، ارتفع في عين الله عز وجل واكتسب المصداقية اللازمة لثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فحفر نهراً من المعرفة في الكوفة ظل يرفد الثورة لحد الآن.

ومن الصور الفذة في الاستقامة إن الجيش السفياني الذي حاصر بيت طوعة لم يتمكن من القبض عليه، فاضطره للخروج من البيت، ثم هجم عليهم مسلم فقتل

(١) الكهف: ١٣.

(٢) محمد: ١٧.

الكثير منهم، حتى ضج الخبيث ابن الخبيث محمد بن الأشعث بن قيس، وطلب المزيد من الأراذل مما أثار حنق ابن زياد، فقال: ويحك يا محمد إنما تقاتل رجلاً وليس جيشاً!.

فرد عليه محمد: أتحسب أنك أرسلتني إلى بقال من بقالين الكوفة؟ أو جرمق من جرامقتها؟! إنه مسلم بن عقيل فارس بني هاشم.

فأرسل المدد ولكن لم يستطع القضاء على الشهيد مسلم، فأثخن فيهم الجراح وكان يأخذ الواحد منهم ويرميه فوق السطح، فأثار الرعب، عندها عرض عليه محمد بن الأشعث الأمان، وأقسم أنه يفي به.

وتقول الروايات: أن مسلماً لم يصدق، ولكن محمد حلف بالأيمان المغلظة أنه آمنٌ.

ولكن رواية أبي مخنف تقول: إنهم عملوا له حفيرةً وستروها بالتراب، ثم انكشفوا بين يديه، فلما انتهى إليها سقط فيها مسلم (رضوان الله عليه) فازدحموا عليه وأسروه.

مع ابن زياد

دخل الشهيد مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) على ابن زياد فلم يحفل بابن زياد، فسلم على الناس ولم يسلم على ابن زياد، فصاح به أحد الحراس: هلا سلمت على الأمير؟.

فصاح به مسلم محتقراً له ولأميره:

أسكت لا أم لك، ما لك والكلام؟ والله ليس لي بأمير فأسلم عليه.

وفي رواية: أن أميري الحسين بن علي عليه السلام.

فغضب ابن زياد وصاح: لا عليك، سَلَّمتَ أم لم تسلم فأنت مقتول.

واندفع الطاغية يصيح بمسلم: يا شاق، يا عاق، خرجت على إمام زمانك، وشققت عصا المسلمين، وألحقت الفتنة.

فانبرى مسلم العظيم قائلاً: والله ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب على وصي النبي ﷺ بالحيلة، وأخذ منه الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد وأما الفتنة فإنما ألقحتها أنت وأبوك زياد من بني علاج.

وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شر بريته، فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت، وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

فصاح ابن مرجانة: بماذا أتيت إلى هذا البلد؟.

شتت أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم ببعض؟.

فرد عليه فخر هاشم بكل اعتزاز وشموخ: لست لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضى، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهلاً لذلك، فإنه لم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا فإنا قهرنا عليها، إنكم أول من خرج على إمام هدى، وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان[1].

يقول كونفوشيوس: «إذا أردت أن تعرف رجلاً فأعطه عملاً».

ويقول حكيم آخر:

«إذا أردت أن تعرف قدر الرجال، وعمق إيمانهم بالمبادئ التي يحملونها، فاعرفهم عند المواقف العصيبة التي يمرون بها».

(١) الفتوح: ابن أعثم، ج٥/ص١٠١.

وقد ثبت أن فخر هاشم مسلم بن عقيل كان رجلاً تربع قمة الفضائل من خلال أعماله الجليلة، ومواقفه السامية، بالذات موقفه مع عبيد الله بن زياد الذي أركسه وصغّره بحيث لم يستطع أن يجابه مسلم فما كان منه إلا أن أمر بضرب عنق الشهيد مسلم.

فندب لقتله بكيراً بن حمران الذي ضربه مسلم، فقال له:

خذ مسلماً، واصعد به إلى أعلى القصر وأضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك.

واستقبل الشهيد مسلم الموت بكل شموخ وكبرياء، فصعدوا به إلى أعلى القصر، وهو يسبح الله ويستغفره.

وفي رواية: اتجه إلى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام قائلاً: السلام عليك أبا عبدالله، وعلى أصحابك، المنتجبين وأهلك الطيبين.

ثم قال: «اللهم أحكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا».

ثم أشرف به الجلاد على موضع الحذائيين.

فضرب عنقه، ورمى برأسه وجسده إلى الأرض.

فالسلام عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا، ويخاصم الجبارين الذين ظلموا محمداً وآل محمد.

ولنا وقفة قصيرة حول الأحداث في الكوفة:

١ ـ لقد شارك وعاظ السلاطين، وعلى رأسهم شريح القاضي في تخذيل الناس، وتثبيط هممهم في الوقوف إلى جنب مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه).

٢ ـ إن سرقة المناصب العشائرية كان لها الدور الفعال في تمزيق «الوحدة العشائرية»، وتهميش دورها، وخذلانها لمسلم بن عقيل.

فقد سرق شمر بن ذي الجوشن المنصب العشائري، وأيضاً شبث بن ربعي والحجار بن أبجر وعمر بن سعد فساهموا في تفتيت الوحدة العشائرية التي أعاد لحمتها الشهيد مسلم بن عقيل كما أسلفنا.

٣ ـ التحالف الرومي الأموي كان له الأثر البالغ في ترجيح كفة الدولة الأموية في الكوفة، فسرجون المستشار السياسي لمعاوية ويزيد كان منسقاً بين الدولة الأموية والرومية فيما يخص الحركات التي تستهدف ضرب الدولة السفيانية.

٤ ـ الاختراق الذي خبر به عبيد الله بن زياد فقد اخترق النهضة في الكوفة واستطاع معقل أن يصل إلى القيادة ويقتنص أخباراً غاية في الأهمية، مما سهل مهمة ابن زياد في القبض على هاني بن عروة، ومعرفة الكثير من أصحاب مسلم.

وقد أسلفت في فصل «درء الاختراق» أن أسلوب الاختراق يعد الآن من الأساليب المهمة للعدو.

٥ ـ الدعاية المضللة فقد أتقنها ابن زياد واستطاع أن يضلل الكثير عبرها حتى تمكن من سلخ الكثير، وتثبيط الهمم المتأججة في النفوس، وقد أوعز عبيد الله إلى جلاوزته أن يبثوا إشاعة هجوم جيش الشام على الكوفة، ومما يحز في النفس أن الكثير صدقوا الإشاعة، وكان ينبغي معرفة مصدرها والناقل لها.

٦ ـ رشوة الرؤوس: فقد رشا عبيد الله بن زياد بعض رؤساء العشائر، فانفضت عن مسلم بن عقيل، ثم اصطفت مع حكومة السفيانيين، ولكن ـ وهذه سنة الله الثابتة ـ فإن الحكم السفياني أذاقها الويل، فقبيلة مذحج التي سرق منصبها عمرو بن الحجاج الزبيدي لم تر العز بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام يوماً واحداً فظلت تعاني من الذل والهوان.

ومن القوانين الثابتة: إن من يصطف مع الباطل لا يرى العز، ويكون أمره سفالاً ولا يذوق طعم الراحة، ولا تمر الأيام إلا ويكون هو الضحية لأن الباطل ليس له صديق، وإنما يرافق الإنسان لفترة حتى إذا حقق مصلحته ينقلب على رفيقه فيمزقه شر ممزق.

٧ ـ إن الخليط غير المتجانس جعل المجتمع الكوفي لا يرسو على قرار مشترك.

يقول علماء النفس الاجتماعي: إن المجتمع الخليط من عدة قوميات إذا لم تجمعهم مشتركات دينية وثقافية تتقوقع كل طائفة حول نفسها، وتحاول أن تقوي كيانها.

وهذا ما حصل في مجتمع الكوفة فإن بعض الشرائح التي سكنت الكوفة، مثل الفرس، والرومان، وغيرهم شكلوا لأنفسهم كيانات، وقد سرت موجة التشكيل إلى باقي الشرائح، مما أضعف قدرتها على اتخاذ قرار مشترك.

لذلك فإن بعض الفئات لم تشترك في نهضة الشهيد مسلم بن عقيل، بل وبعضها تعاون مع السلطة وشكل حلفاً معها، لذلك لا يمكن أن نلقي اللوم على مجتمع الكوفة في خذلان الإمام الحسين عليه السلام إلا إذا حشرنا جميع الشرائح.

٨ ـ لقد ظلت الكوفة بعد استشهاد مسلم بن عقيل تلعق الضيم والصغار، فمن سنن الله عز وجل الثابتة أن الكبير إذا أُهين أو سقط ولم تنهض الأمة بأخذ حقه فإن الله عز وجل يسلط عليها من لا يرحمها، ولا يقيم لها وزناً، حتى تفهم معنى الاعتبار وتقييم الرجال ولا تفرط بهم.

جاء في الحديث القدسي: «من عصاني وعرفني سلطت عليه من لا يعرفني».

٩ ـ ومن سنن الله عز وجل أنّ من يخذل الحق تباعاً يرميه الله عز وجل بذلٍ في نفسه بحيث لا يستطيع نصرةَ نفسه، فيظل تبعاً لكل من هب ودب، وقد جرت هذه السنة على أهل المدينة ومكة وباقي المدن.

المكان المناسب

ومـن الخطـط الإسـتراتيجية الـتي اعتمـدها الإمـام الحـسين عليه السلام اختيـار الأرض والزمان. وتعدُ هذه الخطة من الخطط الإستراتيجية التي تلعب دوراً مهماً في النتائج.

لقد اختار الإمام الحسين عليه السلام كربلاء الأرض المقدسة التي باركها جميع الأنبياء والأوصياء. وهنـاك روايـات مؤكـدة تثبت أن الكـثير مـن الأنبيـاء وطـؤوا أرض كـربلاء وذكروا الإمامَ الحسين عليه السلام. وأرض العراق فيهـا مـن الأسـرار لا تُعـدُّ، بالـذات كـربلاء فما من حدث يقع فيها إلا ويكبر، ويترك صدىً واسعاً في أرجاء الدنيا.

٢ ـ إن اختيار الإمام عليه السلام لكربلاء يقع ضمن المخطط المهدوي.

فإن شهادة الإمام عليه السلام في كـربلاء لهـا أثـر كـبير في إلهـام النفـوس وتـأجيج الحـس الثوري لكي تتهيأ النفوس لاستقبال الدولة الإسلامية بقيادة الإمام المهدي عليه السلام.

وإذا علمنا أن الدولة الإسلامية بقيادة الإمـام المهـدي عليه السلام عالميـة فإنهـا تحتـاج إلى قلوب كزبر الحديد، ورجال أشد من الجبال.

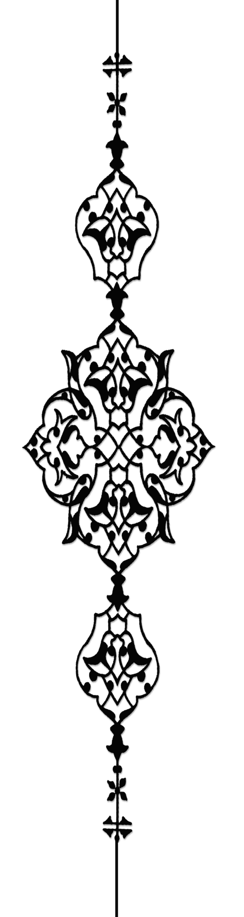
فـإذن لابـد مـن حـدث مهـم يظـل دائمـاً يلـهم ويفجـر، وهـذا يتمثـل في نهـضة الإمـام الحسين عليه السلام. فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تكتنز من قوة التفجير ما لا يضاهيها أي حـدث أو واقعة، فلا زالت تلهم وتفجر كأقوى مما كانت عليه، وهذا سر كبير من أسـرار كـربلاء، فكـل حدث يصغر على مرور الأيام وتقادم الزمن إلا كربلاء الحسين عليه السلام فهي تكبر وتسمو.

ثم هناك مواقع إستراتيجية توفرت في كربلاء مثل الماء والتلال، فهي تعدّ مهمـة، ولكـن الأهم موطن الأنبياء. أسأل الله عـز وجـل أن يجعـل هـذا الـسفر المتواضـع ذخـراً لـي ولوالـدي، وكل من ساعدني على انجازه في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الحادي عشر

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في الشعر العربي



فداءاً لمثواك

الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري[1]

من القصائد الرائعة التي قيلت في الامام الحسين عليه السلام هي القصيدة التي قالها الشاعر الراحل محمد مهدي الجواهري ، وقد كتب خمسة عشر بيتاً منها بالذهب على الباب الرئيس الذي يؤدّي الى الرواق الحسيني الطاهر في كربلاء.

---

(١) الشاعر محمد مهدي الجواهري (١٨٩٩ ـ ١٩٩٧م)، شاعر من العراق ولد في النجف، نظم الشعر في سن مبكرة وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب فأخذ يقرأ في كتاب (البيان والتبيين) و(مقدمة ابن خلدون) ودواوين الشعر، كان في أول حياته يرتدي لباس رجال الدين، واشترك في ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ضد السلطات البريطانية.

صدر له ديوان (بين الشعور والعاطفة) عام ١٩٢٨. وكانت مجموعته الشعرية الأولى قد أعدت منذ عام (١٩٢٤) لتُنشر تحت عنوان (خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح).

أصدر مجموعة من الصحف منها جريدة (الفرات) وجريدة (الانقلاب) ثم جريدة (الرأي العام) وانتخب عدة مرات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين.

(شاعر العرب الأكبر) اللقب الذي استحقه بجدارة في وقت مبكر في حياته الشعرية، وعلى الرغم من أن الساحة العربية كانت مليئة بالشعراء الكبار في عصره.

فقد حصل على هذا اللقب عن جدارة تامة واجماع مطلق.

توفي الجواهري في دمشق سنة ١٩٩٧ عن عمر يناهز الثامنة و التسعين.

فِـــداءً لمثـــواكَ مـــن مَــضْجَع ... تَنَـــــوَّرَ بــــــالأبلَجِ الأروَعِ

بـــأعبقَ مـــن نَفحـــاتِ الجِنـــانِ ... رُوْحَـــاً ومـــن مِـــسْكِها أضْـــوَعِ

وَرَعْيَــاً ليومِــكَ يــومِ «الطُّفــوف» ... وسَــقْيَاً لأرضِــكَ مِــن مَــصْرَعِ

وحُزْنــاً عليــكَ بِحَــبْسِ النّفــوس ... علــى نَهْجِــكَ النَّيِّـــرِ المَهْيَـــعِ

وصَـــوْنَاً لمجـــدِكَ مِـــنْ أنْ يُـــذَال ... بمـــا أنـــتَ تأبـــاهُ مِـــنْ مُبْـــدَعِ

فيـــا أيُّهـــا الـــوِتْرُ في الخالـــدِينَ ... فَـــــذَّاً ، إلى الآنَ لم يُـــــشْفَعِ

ويـــا عِظَـــةَ الطّـــامحينَ العِظـــامِ ... للاهـــينَ عـــن غَـــدِهِمْ قُنَّـــعِ

تعاليـــتَ مـــن مُفْـــزِعٍ للحتـــوفِ ... وبُـــورِكَ قـــبرُكَ مـــن مَفْـــزَعِ

تلـــوذُ الـــدُّهورُ فَمِـــنْ سُـــجَّدٍ ... علـــى جانبيـــه ومـــن رُكَّـــعِ

شَـــمَمْتُ ثَـــرَاكَ فَهَـــبَّ النَّـــسِيمُ ... نَـــسِيمُ الكَرَامَـــةِ مِـــنْ بَلْقَـــعِ

وعَفَّـــرْتُ خَـــدِّي بحيـــثُ اســـتراحَ ... خَـــــدٌّ تَفَـــــرَّى ولم يَـــــضْرَعِ

وحيـــثُ سَـــنابِكُ خيـــلِ الطُّغَـــاةِ ... جالـــتْ عليـــهِ ولم يَخْـــشَعِ

وَخِلْـــتُ وقـــد طـــارتِ الـــذّكرياتُ ... بِروحـــــي إلى عَـــــالَمٍ أرْفَـــــعِ

وطُفْـــتُ بقـــبرِكَ طَـــوْفَ الخَيَـــالِ ... بـــــصومعةِ المُلْهَـــــمِ المُبْـــــدِعِ

كـــأنَّ يَـــداً مِـــنْ وَرَاءِ الـــضَّريحِ ... حمـــــراءَ «مَبْتُـــــورَةَ الإصْـــــبَعِ»

تَمُـــــدُّ إلى عَـــــالَمٍ بـــــالخُنُوعِ ... وَالـــضَّيْمِ ذي شَـــرَقٍ مُتْـــرَعِ[1]

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

(١) ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم في كربلاء يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧م، لذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. ونُشرت في جريدة (الرأي العام) العدد ٢٢٩ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧. وكُتب خمسة عشر بيتاً منها بالذهب على الباب الرئيس الذي يؤدي إلى الرواق الحسيني.

مناجاة الحسين عليه السلام

الأُستاذ بولس سلامه[١]

نـــاولوني القـــرآن قـــال حـــسين:	لذويـــــه وجـــــدَّ في الرّكعـــــاتِ
فـــرأى في الكتـــاب سِـــفرَ عـــزاء	ومـــشى قلبـــهُ علـــى الـــصّفحاتِ
لـــيس في القـــارئين مثـــلُ حـــسينٍ	عالمـــــاً بـــــالجواهر الغاليـــــاتِ
فهـو يـدري خلـف السّطور سطوراً	لـيس كـلُّ الإعجـاز في الكلمـاتِ
للبيان العُلوي، في أنفس الأطهار،	مـــسرى يفـــوقُ مـــسرى اللغـــاتِ
وهو وقفٌ على البصيرة، فالأبصار	تعـــشو، في الأنجـــم البـــاهراتِ
يقـــذف البحـــرُ للـــشواطئ رمـــلاً	واللآلـــي تغـــوص في اللُّجـــاتِ
والمـــصلُّون في الـــتلاوة أشـــباه	وإنَّ الفـــــــــروق بالنيّـــــــــاتِ
فالمناجـــاة شـــعلةٌ مـــن فـــؤادٍ	صـادقِ الحـسّ مُرهـف الخلجـاتِ
فـإذا لم تكـن سـوى رجـع قـولٍ	فهـــي لهـــوُ الـــشّفاه بالتمتمـــاتِ
إنّمـــا الـــساجد المُـــصلي حـــسين	طـاهرُ الـذيل، طيّـب النفحـاتِ
فتقبّـــلْ جبريـــلُ أثمـــارَ وحـــي	أنـــت حُمّلتـــهُ إلى الكائنـــاتِ

(١) الأديب اللبناني الكبير الأستاذ بولس سلامه: ولد سنة ١٩١٠م في قضاء جزين لبنان، درس الحقوق في الجامعة اليسوعية، وعمل قاضياً سنة ١٩٢٨م، وتوفي سنة ١٩٧٩م، له عدّة دراسات أدبية وفكرية معروفة، من مؤلفاته: (أيام العرب: ملحمة)، (عيد الغدير: ملحمة إسلامية)، تناول فيها سيرة أهل البيت عليهم السلام ـ في أهم ما يتصل بهم واختتمها بمأساة كربلاء، وقد انتج هذه الملحمة على فراش الألم كما يُذكر، وذلك باقتراح من المرحوم الحجة السيد عبدالحسين شرف الدين قدس سره.

إذ تلقَّــاه جــدُّه وتــلاه   مُعجــزات تــرنُّ في السّجعاتِ

وأبــوه مُـدوِّن الـذّكر، أجــراه   ضــياءً علــى ســوادِ الـدّواةِ

فالحــسين الفقيــهُ نجــلُ فقيــه   أرشــد المــؤمنين للـصّلواتِ

أطلــق الــسّبط قلبــه في صــلاةٍ   فــالأريج الزّكــي في النّــسماتِ

المناجــاة ألــسُنٌ مــن ضــياءٍ   نحــو عــرشِ العلــيِّ مرتفعــاتِ

❖❖❖   ❖❖❖   ❖❖❖

الامام الحسين عليه السلام يرى جدّه صلى الله عليه وآله

وهمــت نعمــةُ القــدير ســلاماً   وســكوناً للأجفــن القلقــاتِ

ودعــاهُ إلى الرّقــاد هــدوء   كهُــدوءِ الأســحار في الرّبــواتِ

وصــحا غــبَّ ســاعة هاتفــاً   أختــاهُ بنــت العواتــك الفاطمــاتِ

إنــني قــد رأيــت جــدّي وأُمــي   وأبــي والــشّقيقُ في الجنّــاتِ

بَــشّروني أنــي إلــيهم ســأغدو   مُــشرقَ الوجــه طــائرَ الخطــواتِ

فبكــت والــدّموع في عــين أُخــتٍ   نفثــات البُركــان في عــبراتِ

صرختْ: ويلتاه، قال: خلاك الشرُّ   فالويــل مــن نــصيب العتــاةِ



مَاتَ التصبُّرُ في انتظارك

السيد حيدر الحلي[1]

في قصيدته الشهيرة والتي يستنهض بها الإمام الحجة عليه السلام.

مَـــاتَ التــــصبُّرُ في انتظـــارك	أيُّهَـــا المُحيِـــي الـــشَّريعَةْ
فَـــانهَض فَمـــا أبقـــى التحمُّـــل	غـــيرَ أحـــشاءٍ جَزُوعَـــةْ
قـــد مَزَّقـــت ثـــوبَ الأســـى	وشَـــكَت لواصِـــلِها القطيعَـــةْ
فالـــسيف إنَّ بِـــهِ شـــفاء	قلـــوبِ شِـــيعَتِكَ الوَجيعَـــةْ
فَـــسواه مـــنهم لـــيس يُـــنعش	هـــذه الـــنّفس الـــصّريعَةْ
طالَـــت حِبـــال عواتـــق	فمتـــى تكـــون بـــه قطيعَـــةْ
كـــم ذا القعـــود وديـــنُكم	هُـــدمت قواعـــدُهُ الرَّفيعَـــةْ
تنعـــى الفـــروعُ أصـــولَه	وأصـــولُهُ تنعـــى فروعَـــهْ
فيـــه تَحَكَّـــم مـــن أبـــاح	اليـــوم حوزتَـــهُ المنيعَـــةْ
مـــن لـــو بقِيمَـــة قـــدره	غاليـــتُ مـــا سَـــاوى رجيعـــةْ
فاشـــحَذ شـــبا عـــضب لـــه	الأرواحُ مذعنـــــةٌ مطيعَـــــةْ

(١) الشاعر السيد حيدر الحلي (١٢٤٠ ـ ١٣٠٤هـ): السيد حيدر بن سليمان بن داود، وُلد بالحلة في العراق ما بين سنة (١٢٤٠ ـ ١٢٤٦هـ)، نشأ السيد حيدر في حجر عمه السيد مهدي، شهماً، أديباً، وقوراً، تقياً، عليه سمات العلماء الأبرار. كثير العبادة والنوافل، كريم الطبع، فاق شعراء عصره في رثاء الإمام الحسين عليه السلام. فكان شاعراً بارعاً لا منازع له، وله إلمام بالعربية، مصنفاً تقياً، ناسكاً متقرباً إلى الله عزَّ وجلَّ بمدح آل البيت عليهم السلام ـ . له من المؤلفات: ١ ـ ديوان شعره، وهو كبير ومطبوع. ٢ ـ العقدُ المُفَصل في قبيلة المَجدِ المؤثل، وهو كتاب أدبي، فيه مدائح وتهاني في عشيرة آل كبة البغدادية. توفّي سنة (١٣٠٤هـ)، وحمل جثمانه الشريف إلى مدينة النجف الأشرف، فدفن في مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أمام الرأس الشريف. وأُقيمت له المآتم، ورثاه الكثير من شعراء العراق.

أن يَــــدعُهَا خَفَّـــت لدعوَتـــه	وإن ثقُلَـــــــت ســــــريعَةْ
واطلـــب بـــه بـــدم القتيـــل	بكـــــربلا في خــــير شِــــيعَةْ
مـــــاذا يُهيجُـــك إن صَـــبرتَ	لِوقعَـــةِ الطـــفِّ الفـــضيعَةْ
أتُـــــرى تجــــيءُ فجيعـــــة	بـــأمَضَّ مـــن تلـــك الفجيعَـــةْ
حيـــث الحـــسين علـــى الثـــرى	خيـــل العـــدى طَحَنَـــت ضُـــلوعَهْ
قَتَلَتـــــهُ آلُ أميـــــة ظـــــامٍ	إلى جنــــــبِ الــــــشّريعَةْ
ورضــــيعُه بــــدم الوريـــــد	مخـــضَّبٌ فاطلُـــب رضـــيعَهْ
وَا غـــــــيرةَ اللهِ اهتفـــــــي	بحمِيَّــــــة الــــدين المنيعَــــةْ
وضــــبا انتقامــــك جرِّدِيــــل	طــــلا ذوي البغــــيِ التليعَــــةْ
ودَعـــــي جنــــودَ اللهِ تمــــلأ	هــــذه الأرض الوســــيعَةْ
واستأصــــلي حتــــى الرضـــيع	لآل حــــــرب والرضــــــيعَةْ
مــــا ذنــــبُ أهـــل البيـــت حتـــى	مـــــنهم أخلَـــوا رُبُوعَـــــهْ
تركـــوهُمُ شَـــتَّى مـــصائبهم	وأجمَعُهـــــــا فـــــــضيعَةْ
فَمُغَيَّـــبٌ كالبــــدر ترتقـــب	الـــورى شــــوقاً طلوعـــــهْ
ومُكَابِــــدٍ للـــــسَّمِ قـــــد	سُـــقِيت حـــشاشَتَهُ نقيعَـــهْ
ومُـــضَرَّجٌ بالــــسيف آثَـــرَ	عـــزَّهُ وأَبَـــى خُـــضوعَهْ
ألفـــى بمـــشرعة الــــرَّدَى	فخـــراً علـــى ظلمـــاه شـــروعَهْ
فقـــضى كمــا اشــتهت الحميَّـــةُ	تـــشكر الهيجـــا صـــنيعَهْ
ومُـــــصَفَّدٌ لله سَـــــلَّمَ	أمــــرَ مــــا قَاسَـــى جميعَـــهْ
فَلِقَـــسرِهِ لم تَلـــقَ لـــولا	الله كفـــــــاً مـــــستطيعَةْ
وَسَـــبِيَّةٌ باتَـــت بـــأفعى	الهَـــمِّ مهجتُهـــا لَـــسِيعَةْ

سُــلِبَت ومــا سُــلِبَت مَحَامِــدَ   عزِّهــا الغُــرِّ البديعَــةْ
فَلتَغــدُ أخيَــةُ الخــدورِ   تُطــيحُ أعمــدَهَا الرفيعَــةْ
ولتُبــدِ حاســرةً عــن الوجــه   الــشريفة كالرضــيعَةْ
فــأرى كريمــةَ مــن يُــوَار   يالخــدرَ آمنــةً منيعَــةْ
وكــرائمُ التنزيــل بــين   أميــة بــرزت مَرُوعَــةْ
تــدعو ومــن تــدعو وتلــك   كُفَــاةُ دعوتِهــا صــريعَةْ
واهــاً عــرانين العلــى   عــادت أنــوفُكُمُ جذيعَــةْ
مــا هــزَّ أضــلُعِكُم حِــداءَ   القــوم بــالعيس الــضَّليعَةْ
حُمِلــت وَدائِعِكُــم إلى   مَــن لــيسَ يَعــرفُ مــا الوَدِيعَــةْ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

الله أيّ دم في كربلا سفكا

السيد رضا الهندي[1]

اللهُ أيُّ دمٍ في كــربلا سُــفِكا   لم يجرِ في الأرض حتى أوقف الفلكا

(١) السيّد رضا بن السيّد محمّد بن السيّد هاشم الموسوي الهندي (١٢٩٠ ـ ١٣٦٢هـ): ولد السيّد الهندي في الثامن من ذي القعدة ١٢٩٠ هـ بمدينة النجف الأشرف، سافر مع والده إلى مدينة سامرّاء (١٢٩٨هـ) وعمره ثمان سنوات، وبقي فيها يطلب العلم حتّى عام (١٣١١هـ)، ثم رجع إلى النجف الأشرف لمواصلة دراسته الحوزوية، حتّى أصبح عالماً فاضلاً، وأديباً شاعراً. فقد غذّاه والده بحب العلم، والذوبان في حُبِّ آل محمّد عليهم السلام ـ ، كما كان له إلمام بعلم الرياضة الروحية، والأوراد، والرمل، والجفر، والأرفاق. مؤلفاته: ١ـ الوافي في شرح الكافي في العروض والقوافي. ٢ـ الميزان العادل بين الحق والباطل. ٣. سبيكة العسجد في التاريخ بأبجد. ٤. الرحلة الحجازية. ٥ـ بُلغَة الراحل. ٦ـ ديوان شعر. وتوفّي السيّد الهندي في الثاني والعشرين من جمادى الأُولى (١٣٦٢هـ) بناحية المشخاب، ودفن في النجف الأشرف.

وأيّ خيل ضلالٍ بالطّفوف عدت ... على حريم رسول الله فانتهكا

يوم بحامية الإسلام قد نهضت ... له حمية دين الله إذ تركا

رأى بأنَّ سبيل الحقِّ متبع ... والرّشد لم تدر قوم أيّة سلكا

والنّاس عادت إليهم جاهليتهم ... كأنّ من شرع الإسلام قد أفكا

وقد تحكّم بالإسلام طاغيةٌ ... يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا

لم أدرِ أين رجال المسلمين مضوا ... وكيف صار يزيدٌ بينهم ملكا

العاصر الخمر من لؤمٍ بعنصره ... ومن خساسة طبعٍ يعصر الودكا

هل كيف يسلم من شركٍ ووالدهُ ... ما نزّهت حمله هندٌ عن الشّركا؟

لئن جرت لفظة التّوحيد من فمه ... فسيفه بسوى التّوحيد ما فتكا

قد أصبح الدّين منه يشتكي سقماً ... وما إلى أحدٍ غير الحسين شكا

فما رأى السّبط للدّين الحنيف شفا ... إلا إذا دمه في كربلا سفكا

وما سمعنا عليلاً لا علاج له ... إلا بنفس مداويه إذا هلكا

بقتله فاح للإسلام نشر هدى ... فكلّما ذكرته المسلمون ذكا

وصان ستر الهدى من كلّ خائنةٍ ... ستر الفواطم يوم الطفّ إذ هُتكا

نفسي الفداء لفادِ شرع والده ... بنفسه وباهليهِ وما ملكا

وشبها بذباب السّيف ثائرة ... شعواء قد أوردت أعداءه الدّركا

وأنجم الظّهر للأعداء قد ظهرت ... نصب العيون وغطّى النّقع وجه دكا

أحال أرض العدا نقعاً بحملته ... وللسماء سما من قسطلٍ سمكا

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

وفاء الأصحاب

الشيخ ابن حمّاد رحمه الله[١]

لست أنساهُ حين أيقن بالموت	دعاهم فقام فيهم خطيبا
ثمّ قال: إلحقوا بأهليكم إذ	ليس غيري أرى لهم مطلوبا
شكر الله سعيكم إذ نصحتم	ثمّ أحسنتم لي المصحوبا
فأجابوه: ما وفيناك إن نحن	تركناك بالطّفوف غريبا
أيّ عذر لنا يوم نلقى	الله والطهر جدّك المندوبا
حاش لله بل نواسيك أو يأخذ	كلّ من المنون نصيبا
فبكى ثم قال: جزيتم الخير	فما كان سعيكم أن يخيبا
ثم قال: أجمعوا الرجال وشبّوا	النّار فيها حتى تصير لهيبا
وغداً للقتال في يوم عاشوراء	فأبدى طعناً وضرباً مُصيبا
فكأنّي بصحبه حوله صرعى	لدى كربلا شباباً وشيبا[٢]

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

---

(١) لم نقف على تاريخ ولادة ابن حماد ووفاته غير أن النجاشي الذي أدركه و رآه ولم يرو عنه ولد في صفر سنة ٣٧٢هـ، وشيخه الذي يروي عنه وهو الجلودي البصري توفي ١٧ ذي الحجة سنة ٣٣٢ فيستدعي التاريخان أن المترجم ولد في أوائل القرن الرابع وتوفي في أواخره.

(٢) المنتخب للطريحي: ص٣٩٩ ـ ٤٠٠.

تأملات في ليلة عاشوراء

الشاعر الأستاذ جاسم الصحيّح[1]

ذكــراكِ مــلءُ مَحــاجِرِ الأجيــالِ — خَطَـراتُ حــزْنٍ يَزْدَهِــي بِجَــلالِ
وَرَفَيـفُ سـربٍ مـن طُيُـوفِ كآبـةٍ — تختــالُ بــينَ عَوَاصِــفٍ ورمــالِ
يَــا لَيْلَــةً كَـست الزمــانَ بِغَابَــةٍ — مِــنْ رُوحِهــا، قَمرِيَّــةِ الأَدْغَــالِ
ذكــراكِ مَلْحَمــةٌ تَوَشَّــحَ سِــفْرُهَا — بروائــعٍ نُــسِجَت مــن الأَهْــوَالِ
فَهنـا «الحسينُ» يَخِيطُ مـن أحْلامِـهِ — فَجْـرَيْنِ: فَجْـرَ هـوىً وَفَجْـرَ نِـضَالِ
وَ أمامَـهُ الأجيـالُ... يلمـحُ شَـوْطَها — كَــابٍ علــى حَجــرٍ مــن الإِذْلالِ
فيجـيشُ في دَمِـهِ الفـداءُ ويـصطلي — عَزْمــاً يُــرَمّمُ كَبْــوَةَ الأجيــالِ

❖ ❖

وَهُنـا «الحسينُ» يُرِيـقُ نـبضَ فـؤادِهِ — مُتَمَرِّغــاً في جَهْــشَةِ الأطفــالِ
طَعَنُــوهُ مــن صَــرخاتِهِمْ بِأَسِــنَّةٍ — ورَمَــوْهُ مــن أنَّــاتِهِمْ بِنِبــالِ
«فَأَحَـلَّ» مـن ثَـوْبِ التجلُّـدِ حَانِيـاً — وَ «أفَـاضَ» في دَمْـعِ الحنـانِ الغـالي
وانْهــارَ في جُـرْحِ الإبــاءِ مُـضَرَجاً — بِــالحُزْنِ... مُعْــتَقَلاً بِغَــيرِ عِقَــالِ
فَتَجَلَّـتِ «الحـوراءُ» في جَبَرُوتِهـا الــ — ــقُدْسِيِّ تجلــو موقــفَ الأبطــالِ
مَـدَّتْ على البَطَـلِ الجريحِ ظِلالَهـا — وَ طَوَتْــهُ بــين سَــوَاعِدِ الآمــالِ
فَتَعانَقـا... رُوحَـينِ سَـلَّهُما الأسـى — بِــصَفَائِهِ مــن قَبْــضَةِ الصَلْــصَالِ

---

(١) الشاعر جاسم محمد أحمد الصحيّح: ولد سنة ١٣٨٤هـ في الجفر إحدى قرى الأحساء، حاز على بكالوريس في الهندسة الميكانيكية، ومن نتاجه الشعري الرائع، أربعة دواوين، وهي: (عناق الشموع والدموع)، (خميرة الغضب)، (ظلّي خليفتي عليكم)، (سهام أليفة)، وله مشاركات في النوادي الأدبية والثقافية والدينية.

وعلــى وَقِيــدِ الهَــمِّ في كَبِــدَيْهِما ❖ نَــضَجَ العِنَــاقُ خَمَــائِلاً و دَوَالــيِ

وَهُنــاكَ «زيــنُ العابــدين» يَــشُدُّ في ❖ سَــاقَيْهِ صَــبْرَهُماَ علــى الأغْــلالِ

و «سُــكَيْنَةٌ» بَاتَــتْ تــوَدِّعُ خِــدْرَهاَ ❖ فَتــدِبُّ نــارُ الــشوقِ في الأسْــدَالِ

والنــسوةُ الخَفِــرَاتُ طــرَنَ حمائمــاً ❖ حــيرى الرفيــفِ كئيبــةَ الأَزْجَــالِ

مَــا زِلْــنَ خلــفَ دمــوعِ كــل صَــغِيرةٍ ❖ يَخْمِــشنَ وَجْــهَ الــصبرِ بالأذيــالِ

حتَّــى تفجَّــرَ سِــرْبُها في سَــرْوَةِ ال ❖ أحــزانِ فاحْترَقــتْ مِــنَ المَــوَّالِ

ووراءَ أروِقَـــةِ الخيـــامِ حكايـــةٌ ❖ أُخْــرَى تتيــهُ طُيُوفُهــا بِجَمَــالِ

فَهُنَالِــكِ «الأَسَــدِيُّ» يُبْــدِع صــورةً ❖ لِفِدائِـــهِ، حُورِيَّـــةَ الأشـــكالِ

ويحــاولُ اســتنفارَ شِــيمَةِ نخْبَــةٍ ❖ زرعــوا الفَــلأةَ رُجُولَــةً ومعــاَلي

نــادى بِهِــمْ... والمجــدُ يــشهدُ أنَّــهُ ❖ نــادى بِــأعظمِ فَــاتِحِينَ رِجــاَلِ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً

الشاعر دعبل الخزاعي(١)

أفــاطم لــو خلــت الحــسين مجــدلاً ❖ وقــد مــات عطــشاناً بــشطّ فــراتِ

إذاً للطمـــت الخـــدّ فـــاطم عنـــده ❖ وأجريــت دمــع العــين في الوجنــاتِ

أفـــاطم قـــومي يـــا ابنـــة الخـــير ❖ واندبي نجوم سماوات بأرض فلاةِ

(١) دعبل الخزاعي: واسمه محمد بن علي بن رزين، من مشاهير شعراء العصر العباسي. اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين، ولد أبو علي محمد بن علي بن رزين بن ربيعة الخزاعي في الكوفة سنة (١٤٨هـ). ولقبته (الداية) بدعبل، لدعابة كانت فيه.

قبــورٌ بكوفــان وأخــرى بطيبــةٍ وأخــرى بفــخ نالهــا صــلواتي
قبــور بــبطن النّهــر مــن جنــب كـربلا معرّسـهم فيهـا بـشطّ فـراتِ
توفّــوا عطاشــاً بــالعراء فليــتني توفّيـت فـيهم قبـل حـين وفـاتي
إلى الله أشـكو لوعـة عنـد ذكـرهم سـقتني بكـأس الثّكـل والفـضعاتِ
إذا فخــروا يومــاً أتــوا بمحمّــد وجبريــل والقــرآن والــسّوراتِ
وعــدّوا عليــاً إذا المناقــب والعــلا وفاطمــة الزّهــراء خــير بنــاتِ
وحمـزة والعبّـاس ذا الـدين والتّقـى وجعفرهــا الطيّــار في الحجبــاتِ
أولئــك مــشؤمون هنــداً وحربهــا سميّــة مــن نــوكى ومــن قــذراتِ
هـم منعـوا الآبـاء مـن أخـذ حقّهـم وهـم تركـوا الأبنـاء رهـن شـتاتِ
ســأبكيهم مــا حــجّ لله راكــب ومـا نـاح قمـري علـى الـشّجراتِ
فيـا عـين أبكـيهم وجـودي بعـبرة فقــد آن للتّــسكاب والهمــلاتِ
بنــات زيــاد في القــصور مــصونة وآل رســـــول الله منهتكــــــاتِ
وآل زيـــاد في الحـــصون منيعـــة وآل رســـــول الله في الفلـــــواتِ
ديــار رســول الله أصــبحن بلقعــاً وآل زيـــاد تـــسكن الحجـــراتِ
وآل رســول الله نحـف جـسومهم وآل زيـــاد غلـــظ القـــصراتِ
وآل رســول الله تــدمى نحــورهم وآل زيـــاد ربّـــة الحجـــلات
وآل رســول الله تــسبى حــريمهم وآل زيـــاد آمنـــوا الـــسّربات
إذا وتــروا مــدّوا إلى واتــريهم أكفــاً مــن الأوتــار منقبــضات
سـأبكيهم مـا ذرّ في الأرض شـارق ونــادى منــادي الخــير للـصّلوات
ومـا طلعـت شمـس وحـان غروبهـا وباللــيل أبكــيهم وبالغــدوات

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

الإمام المفدّى

الشيخ ابن مغامس رحمه الله

فـديتكَ مـن نـاعٍ إلى النـاس نفـسَهُ ... ومــوذنِ أهليــه بوشــكِ وبــالِ

كــأنّ حيــاةَ الــنّفسِ غــير أحينــة ... فمــا لــك لا ترنــو لهــا بوصــالِ

لعمــرك إنّ المــوتَ مــرٌّ مذاقُــه ... فما بـالُ طعـم الموتِ عنـدك حـالي

فـديتُ وحيـداً قـد أحـاط برحلـهِ ... لآل أبــي سـفيان جـيشُ ظـلالِ

يقـول لأنـصار لـه: قـد أبحـتُكُمْ ... ذمـامي وعهـدي فـاسمعوا لمقـالِ

ألا فـارحلوا فالليـلُ مـرخ سـدولَهُ ... علـيكم ومنهـاجُ البـسيطةِ خـالِ

فمـا لهـم مـن مطلـب قـد تـألّبوا ... عليـه سـوى قتلـي ونهـبِ رحـالي

فقـالوا جميعـاً: مـا يُقـال لنـا ومـا ... نقــولُ جوابــاً عنــدَ ردِّ ســؤالِ

تقيـكَ مـن المـوتِ الـشّديدِ نفوسُـنا ... ويـرخصُ عنـدَ الـنفسِ مـا هـو غـالِ

أمِــنْ فــرَق نبغــي الفريــق وكلّنــا ... لأولاده والعــيش بعــدك قــالِ

فطـوبى لهـم قـد فـاز والله سـعيُهُم ... فكلُهــم في روضــة وظــلالِ[1]

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

---

(١) المنتخب للطريحي: ص٣٠١.

إن كنتَ محزوناً فما لك ترقدُ

السيد الحميري[(١)]

إن كنـتَ محزونـاً فمـا لـك ترقـدُ ... هــلا بكيــت لمــن بكــاه محمــدُ
هـلا بكيتَ على الحسين وأهلهِ؟ ... إنّ البكــاء لمثلــهم قــد يحمــدُ
لتضغـضغ الإسـلام يـوم مـصابهِ ... فــالجود يبكــي فقــده والــسّؤددُ
فلقـد بكتـه في الـسّماء ملائـك ... زهــر كــرام راكعــون وســجّدُ
أنـسيت إذ صـارت إليـه كتائـب ... فيهـا ابـن سـعد والطّغـاة الجحّـدُ؟
فسقوه مـن جـرع الحتوف بمشهد ... كثـر العـداة بــه وقــلّ المـسعدُ
لم يحفظـوه حـقّ الـنبيّ محمّـد ... إذ جرّعــوه حــرارةً مــا تــبردُ
قتلـوا الحـسين فـأثكلوه بـسبطه ... فالثّكـل مـن بعـد الحسين مـبرّدُ
كيف القرار؟! وفي السّبايا زينب ... تـدعو بفـرط حـرارة: يـا أحمـدُ
هــذا حـسين بالـسّيوف مبـضّع ... مــتلطّخ بدمائــه مستــشهدُ
عـار بـلا ثـوب صـريع في الثّرى ... بـين الحـوافر والـسّنابك يقـصدُ
والطّيّــون بنــوك قتلــى حولــه ... فــوق التّــراب ذبـائح لا تلحـدُ
يـا جدّ قـد منعـوا الفـرات وقتلـوا ... عطـشاً فلـيس لهـم هنالـك مـوردُ
يا جدّ من ثكلى وطول مصيبتي ... ولمــا أعافيــه أقــوم وأقعــدُ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

(١) السيد الحميري، هو إسماعيل بن محمد بن يزيد، سيد الشعراء، و صاحب الكلمة النافذة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ينسب إلى حِمْيَر إحدى قبائل اليمن المعروفة. والسيد نسبة لغوية لا أسرية، حيث لم يكن فاطمياً ولا علوياً. كان رحمه الله تعالى من شعراء أهل البيت عليهم السلام ـ المجاهرين بولائهم، والمصرحين بتشيعهم رغم ما كان يحيط بهم من ظروف معاكسة. ولد بعمان سنة (١٠٥هـ) و نشأ في البصرة، وتوفي في أيام هارون العباسي، وفي حدود عام (١٧٨هـ).

ودعيني

الشاعر الأستاذ جواد جميل[1]

ودّعيني ففي غدٍ يشرب السيفُ وريدي ويحفرُ القلبَ نصلُ
وغداً تذعرين حين ترين الخيلَ في وجهها جنونٌ وقتلُ
وغداً تحملين أشلائيَ الحمراء غِمداً لألف سيفٍ يُسلُّ
وغداً تُنهب الخيامُ وخلفَ النارِ تبكي النسا ويهربُ طفلُ
وغداً لا يَظلُّ من يوم عاشوراء إلاّ جراحنا... والرملُ
ها هنا تصرخ الرؤوس الخضيبات ويبكي على صداها النخلُ
وترضُّ الخيولُ صدري فيبكي النهرُ في صمته وتبكي الخيلُ
آهِ يا زينبَ البطولةِ خلّي الصبرَ رمحاً على خيامكِ يعلو
ودعي الدمعَ جمرةً ولهيباً من كُوى الغيب كلُّ
آنٍ يَطلُّ فطريقُ الخلودِ صعبٌ وفيه يفتحُ المرءُ جُرحَهُ أو يذلُّ



---

(١) الأستاذ جواد جميل: ولد سنة ١٣٧٣هـ في سوق الشيوخ إحدى مدن العراق الجنوبية، تخرج من كلية الهندسة سنة ١٣٩٥هـ، وحاز على البكالوريوس فيها، يُعدّ في طليعة الشعراء المعاصرين، ومن نتاجه الأدبي (الحسين عليه السلام لغة ثانية). وله مجاميع شعرية أُخرى، وله مساهمة فعالة في النوادي الأدبية.

بلغت نفسي مناها

الصاحب بن عباد[1]

بلغــــت نفــــسي مناهـــــا	بـــــــالموالي آل طاهـــــــا
برســــــــول الله مــــــــن	حـــاز المعـــالي وحواهـــا
وببنــــت المــــصطفى مـــن	أشــــبهت فــــضلاً أباهـــا
وبحـــبّ الحـــسن البـــالغ	في العليـــــا مــــــداها
والحـــسين المرتـــضى يـــوم	المـــــساعي إذ حواهـــــا
لـــيس فـــيهم غـــير نجـــم	قـــــد تعــــالى وتنــــاهى
عـــترة أصـــبحت الـــدّنيا	جميعــــــاً في حماهـــــا
مـــا يحـــدث عـــصب	البغــــي بــــأنواع عماهـــا
أردت الأكـــــبر بالـــــسمّ	ومـــــا كـــــان كفاهـــا
وانـــبرت تبغـــي حـــسيناً	وعرتــــــه وعراهـــــا
منعتـــه شـــربة والطّـــير	قـــــد أروت صــــــداها
فأفاتـــت نفـــسه يـــا ليـــت	روحــــي قــــد فــــداها
بنتــــه تــــدعو أباهـــا	أختـــه تبكـــي أخاهـــا
لـــو رأى أحمـــد مـــا	كـــان دهـــاه ودهاهـــا

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني، الطالقاني، الاصفهاني، المعروف بالصاحب وكافي الكفاة، من مفاخر علماء وأدباء الشيعة الامامية، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والنجوم والموسيقا والمنطق، وكان محدثاً ثقة، شاعراً مبدعاً، وأحد أعيان العصر البويهي. كان وزيراً، ومن نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب. ولد باصطخر، وقيل بالطالقان في السادس عشر من ذي القعدة سنة ٣٢٦هـ، وقيل سنة ٣٢٤هـ، وكان أصله من شيراز، استكتبه ابن العميد، ثم فخر الدولة شاهنشاه البويهي. تصدر للوزارة سنة ٣٦٧هـ.

ورأى زينـــــــــــــب إذ شمــــــر أتاهـــــا وســــــباها
لـــــــــشكى الحــــــــال إلى الله وقــــد كــــان شـــــكاها
وإلى الله ســــــــــــيأتي و هـــــو أولى مـــــن جزاهـــــا

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

صفحات من مسرح الدم

السيد ضياء الخباز(١)

حـــرّكَ الليـــلُ ســـيفَهُ الأمويّـــا يَرســـمُ الـصّبحَ مـسرحاً دمويّـا
يطعـنُ الـنّجمَ والـدّراري اغتيـالاً غاضَــهُ الأفــقُ مُــذ بــدا قمريّــا
فتلقتُـــــه أنجــــمٌ زاهــــراتٌ ســكبت فيــه نورَهــا العلويّــا
نحتتــهُ النّجــومُ لــيلاً مــنيراً تحـسدُ الـشّمسُ نـورَه الـسّرمديّا
ثــمّ غنتــهُ للّيــالي نــشيدا مــلأ الأفــقَ صــرخةً ودويّــا
إنَّ لحنــاً بــه الحــسينُ تغنّــى سـوفَ يبقـى علـى المـدى أبـديّا

❖

خـيّمَ الـصّمتُ والحـسينُ هـدير أرهـبَ الـصّحبَ منـه ذاكَ المُحيّـا
واســتدارت حروفُــه في شِــفاهٍ تــصهرُ الــرّوحَ عزمــةً ومــضيّا
قــال «أفٍ» وليتــه لم يقلْهــا فبهــا ظــلّ دهرُنــا أمويّــا

(١) الخطيب السيد ضياء السيد عدنان الخباز: ولد سنة ١٣٩٦هـ في القطيف، وفيها درس المقدمات الحوزية والتحق بحوزة قم المقدسة سنة ١٤١٥هـ، ولا يزال يواصل دراستها العلمية، وله مشاركة في النوادي الأدبية والدينية، ومن تأليفه: (كتاب صفحات مشرقة من حياة الإمام السبزواري)، (مجموعة شعرية في المناسبات)، وغيرها، (كتابات أخرى).

ويـدُ المـوتِ خلفَـهُ تنسجُ المـوتَ طريقـــاً إلى العُلـــى دمويّـــا
قبّلتهـــا أنـــصارُه في هيـــامٍ وجـدوا المـوتَ في الحـسينِ هنيّـا
قـرأوا في الـدّماءِ جنّـاتٍ عـدنٍ صـــاغها اللهُ مرفـــأً أزليّـــا
فمـضَوا للخلـودِ في زورق الطـفِّ وخاضــوا نهــر الــدّماءِ الزكيّـا
مــا ألــذّ الــدّماء في نُــصرةِ الله إذا كـــان نبعُهـــا حيـــدريّا

❖

وتلاقـتْ علـى الهـدى بـسماتٌ لم يرعْهــا مــوتٌ يلــوحُ جليّــا
ضـحكوا يهـزؤون بـالموتِ شـوقاً للقـــاءٍ يحـــوي الإمـــامَ عليّـــا
وانــبروا للّقــاء في سـكرةِ الحُـبِّ الإلهـــيِّ بالـــصّلاة ســـويّا
وانقضى الليلُ وهـو يرسـمُ صبحاً نحـــتَ اللهُ شمـــسَهُ في الثريّـــا
أطفــأتْ وهجَــهُ الــسّيوفُ فمــا زالـت رمـاداً ولم يـزل هـو حيّـا

وله أيضاً بعنوان:

«فصول من قصة الحسين عليه السلام»

وغفـا الليـل في عيـون الـصّحارى يتخفّـــى في جفنهـــا إعـــصارا
والعيــونُ الــسّمراءُ كانــتْ رمــاداً وهـو تحـت الجفـون كـان جِمـارا
وإذا أقبـــلَ الـــصّباحُ سيمتــــدُ ضــباباً يخفــى لهيبــاً ونــارا
فأعـّـدَ الحـسينُ سـيفاً مـن النّـور ونحــــراً وثلّــــةً أقمــــارا
هاتفـاً يـا ظـلامُ «أُفٍ» فكـم أطفـأت فجــراً وكــم نحــرتَ نهــارا
ولقــــد آنَ أن تمـــوت لتحيـــا فوقَ أشلائِكَ الشموسُ العذارى

❖

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

الغد الدامي

الشاعر الأستاذ عبود الأحمد النجفي[(١)]

في غـد يـشرق الـصّباح مـدمىً	وعلـى التّـرب أنجـم مطفـآتُ
واشـتعال الرّمـال يلـهب أفقـاً	أجّجتـه ضـغائنٌ وهنـاتُ
والمـدى الرّحـب خلفـه يتـوارى	فيـه غابـت شموسـه النيّـراتُ
وجفـون الـسّماء تقطـر دمعـاً	سـكبته عيونُهـا الباكيـاتُ
علّهـا تُطفـيء اللظـيّ بـزلال	وعلـى الأرض أكبـد ظامئـاتُ
أغلقـت دونهـا الينـابيع عـذباً	بعـدما شـحّ بـالرّواء الفـراتُ
أيـبس الطـفّ والقلـوب جفـاف	ونفـوسٌ عـن الـرُّؤى مجـدباتُ
لـن تـرى غـير مقتـل الحـقّ نـصراً	فهـي في صـحوة الحيـاة سـباتُ
غـادرت يقظـة الـضّمائر مـوتى	فتعـرّت أشـلاؤها الـصّدئاتُ
رسمـت لوحـة الخطيئـة بحـراً	مـن جحـيم وعمقـه الظّلمـاتُ
أبحـرت فيـه والمتـاه دليـل	مزّقتهـا عواصـفٌ مهلكـاتُ
نبـذت قـبر عريهـا كـل أرض	فهـي في رقـدة العـذاب شـتاتُ
في غـدٍ تمـلأ الـشّعاب صـبايا	ونـساءٌ فواجـعٌ ثـاكلاتُ

---

(١) الشاعر الأستاذ عبود الأحمد النجفي: ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٦٧هـ، أكمل الدراسة الثانوية واتجه بعدها للعمل الحر، مارس كتابة الشعر الشعبي ثم الشعر العمودي والحر قبل الثمانينات، عمل في مؤسسات تحقيقية، وشارك في عدة ندوات أدبية وأمسيات شعرية، أصدر مجموعة شعرية بعنوان (اهتزاز الذاكرة) عام ١٤١٧هـ.

أثقلتهـــا مــــصائب ورزايـــا غـــاب عنهـــا أعـــزةٌ وحمـــاةُ

طاردتهـا شمـس الظّهـيرة جـواً وقفـارٌ تحـت الخطـى مـسعراتُ

خلفهـا يُـشعل الخيـامَ ضـرامٌ حـاط فيهـا تـوحّشٌ وقـساةُ

وخيـول الأعـداء تطحـن صـدراً وضـلوعاً تهفـو لهـا الكائنـاتُ

جـسدٌ ضـمَّ في ثنايـاه كونـاً يتـسامى وفيـضُهُ المكرمـاتُ

عـانقَ المـوتَ والـشّهادةَ شـوقاً فجنـانٌ لـشوقهِ عاشـقاتُ

ووحيـداً يُلقـن الحـشدَ درسـاً بثبـاتٍ يحـارُ فيـه الثّبـاتُ

حولـه مـن بنيـه والـصّحب جمـعٌ جمعـتهم مواقـفٌ خالـداتُ

وقفـوا وقفـةَ الإبـاء بحـزمٍ وسـيوفٍ تهـاب منهـا الكُمـاةُ

سطّروا صـفحةَ الوفـاء وسـاروا بطريـق تهـيم فيـه الأبـاةُ

فـإلى الخلـد أنفـسٌ تتعـالى وعلـى الرّمـل أبـدنٌ زاكيـاتُ

العزمات الصادقة

الشيخ علي بن عبد الحميد ﵀

فلمّا رأى أن لا مناص من الرّدى وإنّ مـراد القـوم منـه كـبيرُ

فقـال لأهليـه وبـاقي صـحبه: ألا إنّ لبثـي فـيكمُ ليـسيرُ

علـيكم بهـذا الليـل فاسـتتروا بـه وقوموا وجدّوا في الظّلام وسيروا

ويأخـذ كـلُّ مـنكم يـدَ واحـدٍ من الآن وخفّوا في البلاد وغوروا

فما بُغيةُ الأرجاس غيري وخالقي علـى كـلّ شـيءٍ يبتغيـه قـديرُ

فقالوا: معاذَ الله نسلمك للعدى وتـضفى علينـا للحيـاة سـتورُ
فـأيُّ حيـاة بعـد فقـدك نرتجـي وأيُّ فـؤادٍ يعتريـه سـرورُ
ولكـن نقـي عنـك الـرّدى بسيوفنا لتحظـى بنـا دارُ النّعـيم وحـورُ
فقـال: جُـزيتم كـلّ خـيرٍ فـأنتمُ لكـلّ الـورى يـوم القيامـة نـورُ
فأصبح يدعو: هل مغيثٌ يُغيثُنا فقـلّ مُجيبـوه وعـزّ نـصيرُ
ولم تبـقَ إلا عـصبةٌ علويـةٌ لهـم عزمـاتٌ مـا بهـنَّ قـصورُ
ولّما شبّت نار الحروب وأضرمت وقـتْ نفـسَه هـامٌ لهـم ونحـورُ
ولم أنـسه يـوم الهيـاج كأنّـه هزبـرٌ لـه وقـعُ الـسّيوف زئـيرُ
يكـرُّ علـيهم والحـسام بكفّـه فلـم يـرَ إلا صـارخٌ وعفـيرُ
وراح إلى نحـو الخيـام مودّعـاً يُهمهـمُ بـالقرآن حيـثُ يـسيرُ
فقمـنَّ إليـه الفاطميـات حُـسَّراً يفدينـه والمعـولات كـثيرُ
فقـال: اسـتعينوا بالإلـه فإنَّـه علـيمٌ بمـا يُخفـي العبـاد بـصيرُ
ألا لاتـشقنَ الجيـوب ولا يُـرى لكُـنَّ عويـلٌ إنَّ ذاك غـرورُ
ألم تعلمي يا أختُ إنَّ جميعَ من على الأرضِ كلٌ للمماتِ يصيرُ
عليـك بـزين العابـدين فإنّـه إمامـكِ بـل للمـؤمنين أمـيرُ
أطيعـي لـه إنْ قـال مـولىً فإنَّـه المطـاعُ بأحكـام الكتـاب خـبيرُ[1]

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

(١) المنتخب للطريحي: ص١٢١ ١٢٢.

هم شفعائي

الإمام الشافعي[1]

تــأوّه قلــبي والفــؤاد كئيــبُ	وأرقّ نــومي فالــسّهاد عجيــبُ
فمـن مبلـغ عـني الحسين رسـالة	وإن كرهتهــا أنفــس وقلــوبُ
ذبـيح بــلا جــرم كــأنّ قميــصه	صــبيغ بمـاء الأرجـوان خـضيبُ
فللـسيف إعــوال وللــرّمح رنّــةٌ	وللخيـل مـن بعـد الـصّهيل نحيبُ
تزلزلــت الــدّنيا لآل محمــد و	كـادت لهـم صـمّ الجبـال تـذوبُ
وغــارت نجــوم واقــشعرّت كــو	اكبٌ وهتك أستار وشـقّ جيـوبُ
يــصلى علــى المبعــوث مــن آل	هاشم ويغـزى بنوه إن ذا لعجيبُ
لـئن كـان ذنـبي حـبّ آل محمـد	فـذلك ذنـب لـست عنـه أتـوبُ
هم شفعائي يوم حـشري ومـوقفي	إذا مـا بـدت للنّـاظرين خطـوبُ



(١) محمد بن إدريس الشافعي (٧٦٦–٨٢٠هـ): أحد أئمة أهل السنة وهو صاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي. يعد الشافعي مؤسس علم أصول الفقه، وأول من جمع بين الحديث والرأي في استنباط الأحكام الفقهية.

حديث النجوم

الشيخ علي الفرج(١)

أغسلي يا نجوم عن سأم الليـ ـل جفونَ الحسينِ والأصحابِ

وَدّعي ذلك الزّعيمَ ودمعاً ذابَ فيه طبعُ انكسارِ السّحابِ

دمعةٌ منه أنبتتْ للملايينِ حِراباً من سُنةٍ وكتابِ

ودّعيه دماً تأهّب في الأقداح كيما يُراق في الأكوابِ

دمُه صبغة السّماءِ وأين السّيفُ منه وهو انتماء التُّرابِ

❖

حدّثي يا نجومُ عن خيم الوحي ودمعٍ من زينبٍ سَكّابِ

ليلُها... أين ليلُها؟! نسيتْه نسيتْ صمتَه انتظارَ العذابِ

حولهَا من خواطر الظّمأ المرِّ ضبابٌ في عُتمةٍ من ضبابِ

قسماً لو جرى الفرات وريداً في دماها كسلسلٍ مُنسابِ

هدرته ماءً فتجتمع الأطفال، فيه تعود ملأى القِرابِ

❖

حدّثيني عن الأُسود كم امتدَّ بهم للسّما خيوطُ انتسابِ

زرعوا الليل أعيناً تحرس الغاب كَسربٍ من الرّدى جوّابِ

---

(١) فضيلة الشيخ علي بن عبد الله الفَرَج: ولد في القديح إحدى مناطق القطيف سنة ١٣٩١هـ، أنهى المرحلة الثانوية، ثم التحق بالحوزة العلمية في النجف الأشرف سنة ١٤١٠هـ، ثم درس شطراً في سوريا سنة ١٤١٢هـ، وأخيراً التحق بالحوزة العلمية في قم المقدسة سنة ١٤١٦هـ، ولا يزال يواصل دراسته العلمية فيها، وله ديوان شعر: (أصداء النغم المسافر)، وكتابات أُخرى، وله مشاركات في النوادي الأدبية والثقافية في القطيف وسوريا وقم المقدسة.

أنـت يـا ليلـة انخـساف المرايـا ... في وجـوه الـسّنين والأحقـابِ
غُرست فيـك آهـتي واحتـضاري ... ونمـت فيـك صـرختي واغترابـي
عجـبٌ أن أراك سـوداءَ والـشمـ ... ـس بجنبَيـكِ معبـدُ الأهـدابِ
عجـبٌ أن أرى لـديك «دويَّ النّـ ... ـحل» يهتـزُّ مـن أُسـود الغـابِ
سـهروا بـين جانحيـك جبـالاً ... وغـدوا فـوق راحتيـك روابـي



حـدّثيني عـن الظّـلام ومـا احمـرَّ ... بأعماقـه مـن الإرهـابِ
ضـاع في رُعبـه أنـينُ يتـامى الـ ... ـغد ضـاعت مباسـم الأحبـابِ
وفـؤاد الحـسين ذاب حنانـاً ... وعجيـبٌ يـذوب فـوق الحـرابِ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

كربلا لا زلتِ كرباً وبلا

الشريف الرضي[1]

كـربلا لا زلـت كربـاً وبـلا ... مـا لقـى عنـدك آل المـصطفى
كـم علـى تربـك لمـا صـرّعوا ... مـن دم سـالِ ومـن دمـع جـرى
وضـيوف لفـلاة قفـرةٍ ... نزلـوا فيهـا علـى غـير قـرى
لم يـذوقوا المـاء حتـى اجتمعـوا ... بحـدّي الـسّيف علـى ورد الـرّدى
تكـسف الـشّمس شمـوس مـنهم ... لا تـدانيها علـواً وضـيا

(١) الشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ): الشريف الرضي ذو الحسبين أبو الحسن محمد ابن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام أبي إبراهيم موسى الكاظم عليه السلام.

وتنوش الوحش من أجسادهم   أرجل السّبق وإيمان النّدا
ووجوهاً كالمصابيح فمن   قمر غاب ومن نجم هوى
غيّرتهنّ الليالي وغدا   جائر الحكم عليهنّ البلى
يا رسول الله لو عاينتهم   وهم ما بين قتل وسبا
من رميض يمنع الظلّ ومن   عاطش يسقى أنابيب القنا
ومسوق عاثر يسعى به خلف   محمول على غير وطا
جزّروا جزر الأضاحي نسله   ثم ساقوا أهله سوق الإما
قتلوه بعد علم منهم أنّه   خامس أصحاب الكسا
ميت تبكي له فاطمة   وأبوها وعلي ذو العلا

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

مشيئة الدم

الشاعر الأستاذ فرات الأسدي[1]

عليه أُغمضُ روحي حلمَه العجبا!   فكيف فرَّ إلى عينيَّ مُنسربا
ومن أضاءَ له حُزني فغادره   إلى فضاء قصيّ اللمح فاقتربا!

(١) الأستاذ فرات الأسدي: ولد سنة ١٣٨٠هـ، من عائلة علمية معروفة، أنهى شطراً من الدراسة الأكاديمية ودرس عدة مراحل في الحوزة العلمية، ومن نتاجه الأدبي: (ذاكرة الصمت والعطش): (مطبوع)، (صدقت الغربة يا ابراهيم)، (النهر وجهك)، (الخناجر الميتة): (رواية)، وله مساهمات فعالة في النوادي الأدبية والثقافية والدينية، كما شارك في الصحافة والكتابة الأدبية، ويدير الآن دار الأدب الإسلامي: مشروع النبي ﷺ وأهل بيته في الشعر العربي.

حتى تسلّل من حُبٍّ ومن وجعٍ دمعاً يُطهّر نبعَ القلب لا الهدبا
رأيتُ فيما رأيتُ الدّهشة انكسرت وخضّبت جسداً للمستحيل كبا
وكان يَلقى سيوفَ الليل منصلتاً ويستفزُّ مُدىً مجنونة وظبى
وكان يعبر في أشفارها فزعاً مُرّاً، وترتدُّ عن أوداجه رُعبا!
تمتد لهفتها حيرى فيُسلمُها إلى ضلوع تشظّت تحتها نهبا
مَنْ ينحرِ الماء مَنْ يخنقْ شواطئه؟ والنّهر مدَّ يديه نحوه... وأبى!
فناولني دمه يا ليلة عبرت إلى النّزيف جريح الخطو منسكبا
يا نافراً مثل وجه الحلم رُدَّ دمي إلى هواك... دمي الممهور ما اغتربا
يطلُّ ظلُّك فيه... بوحَ أُغنيةٍ ظمآنةٍ عبَّ منها لحُنها اللهبا
رأيتُ فيما رأيتُ الليلَ متّشحاً عباءةَ الشّمس مختالاً بها طربا
وفوق أكتافه فجرُ النّعوش هوت نجومُه... والمدى يرتجُّ منتحبا
قبل الحرائق كان الورد يُشبهُهُ وبعده لرماد الرّيح صار سبا
قبل الفجيعة من لون الفرات له شكلٌ، ومن طينه وجهٌ يفيض صبا
وبعدها سقطت في النّار خضرته وحال عن بهجة مسحورة، حطبا
وما تألّق من جمرٍ فبسمتهُ غارت، وتحت رمادٍ باردٍ شحبا!



يوم الطف

الشريف المرتضى[1]

إنّ يـــــوم الطـــــفّ يومـــــاً	كـــــان للـــــدّين عـــــصبيّا
لم يـــــدع للقلــــب مـــــني	في المـــــسرّات نـــــصيبا
لعـــــن الله رجـــــالاً	أترعـــوا الـــدّنيا غـــصوبا
ســـــالموا عجـــــزاً فلمّـــــا	قـــدروا شـــنّوا الحروبـــا
طلبلـــــوا أوتـــــار بـــــدرٍ	عنـــدنا ظلمـــاً وحوبـــا

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

مصائب نسل فاطمة

الناشئ الصغير[2]

مــصائبُ نــسلٍ فاطمــة البتــولِ	بكــت حــسراتها كبــد الرســولِ
ألا بــأبي البــدور لقــين كــسفاً	وأســلمها الطّلــوع إلى الأفــولِ
ألا يــا يــوم عاشــورا رمــاني	مــصابي منــك بالــدّاء الــدّخيلِ

---

(١) السيد المرتضى أبو القاسم علي بن السيد أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبى طالب (عليهم السلام) الملقب (ذا المجدين علم الهدى)، كان شريف العراق والمجتهد على الإطلاق ومرجع فضلاء الآفاق، وقد نهل من علمه علماء الأمامية من زمانه حتى زماننا، كان ركنا للعلم ومعلماً للعلماء، وكتب كتباً كثيرة، وقد إمتدح علماء العامة بأجمعهم السيد المرتضى وقالوا عنه بأنه أعلم الناس بالعربية، ووصف النسابة العمري بيت آبائه بأنه أجل بيت بني الإمام موسى الكاظم عليه السلام. وقال عنه صاحب جامع الأصول بأنه مجدد مذهب الإمامية في مطلع القرن الرابع الهجري. ولد في شهر رجب سنة ٣٥٥هـ.

(٢) الناشئ الصغير: المولود ٢٧١هـ، والمتوفى ٣٦٥هـ.

كـــأنّي بـــابن فاطمـــة جـــديلاً — يلاقـي التّـرب بالوجـه الجميـلِ
يجــرن في الثّــرى قــداً ونحــراً — علـى الحـصباء بالخـدّ التّليـلِ
صريعاً ظلّ فوق الأرض أرضاً — فـوا أسـفاً علـى الجسم النّحيـلِ
أعاديـــه توطئـــه ولكـــن — تخطّـاه العتـاق مـن الخيـولِ
وقد قطع العداة الرّأس منه — وعلـوه علـى رمـح طويـلِ
وقـد بـرز النّـساء مهتّكـات — يجـززن الـشّعور مـن الأصـولِ
يـسرن مـع اليتـامى مـن قتيـل — يخـضّب بالـدّماء إلى قتيـلِ
فطـوراً يلتـثمن بـني علـي — وطـوراً يلتـثمن بـني عقيـلِ
وفاطمـة الـصّغيرة بعـد عـزٍ — كـساها الحـزن أثـواب الـذّليلِ
تنـادي جـدّها يـا جـدّ إنّـا — طلبنـا بعـد فقـدك بالـذّحولِ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

بسم الحسين دعا

الشيخ صالح الكواز(١)

بـسم الحـسين دعـا نعـاء نعـاءِ — فنعـى الحيـاة لـسائر الأحيـاءِ
وقضى الهلاك على النّفوس وإنّما — بقيـت ليبقـى الحـزن في الأحـشاءِ
يـوم بـه الأحـزان مازجـت الحـشى — مثـل امتـزاج المـاء بالـصّهباءِ
لم أنـس إذ تـرك المدينـة وارداً — لا مـاء مـدين بـل نجيـع دمـاءِ

(١) ولد الشيخ صالح الكواز الحلي سنة ١٢٣٣هـ وتوفي سنة ١٢٩١هـ بالحلة ونقل إلى النجف فدفن فيها، وهو من الشعراء المكثرين وقد أجاد في رثاء الحسين عليه السلام، وله في ذلك عدة قصائد مشهورة، كان كوازاً من أسرة يصنعون الفخار والكيزان بالحلة وكان ناسكاً ورعاً، يحي أكثر لياليه بالعبادة ويقيم الجماعة في أحد مساجد الحلة بالعراق، وللناس به إتمام ووثوق.

قد كان موسى والمنيّة إذ دنت جاءته ماشية على استحياءِ
وله تجلّى الله جلّ جلاله من طور وادي الطفّ لا سيناءِ
فهناك خرَّ وكلّ عضو قد غدا منه الكليم مكلم الأحشاءِ
يا أيها النبأ العظيم إليك في ابناك مني أعظم الأنباءِ
إنّ اللذين تسرّعا يقيانك الأ رماح في صفّين بالهيجاءِ
فاخذت في عضديهما تثنيهما عمّا أمامك من عظيم بلاءِ
ذا قاذف كبداً له قطعاً وذا في كربلاء مقطّع الأعضاءِ
ملقى على وجه الصّعيد مجرَّداً في فتيةٍ بيض الوجوه وضّاءِ
تلك الوجوه المشرقات كأنّها الأقمار تسبح في غدير دماءِ
رقدوا وما مرّت بهم سنة الكرى وغفت جفونهم بلا إغفاءِ
متوسّدين من الصّعيد صخوره متمهّدين خشونة الحصباءِ
مدثّرين بكربلاء سلب القنا مزمّلين على الرّبى بدماءِ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

ليلة الخلد

الأستاذ السيد مدين الموسوي[1]

لا تتركي حجراً على حجر يا ليلةَ الأرزاء والكدرِ
صُبّي على الدّنيا وما حملتْ من نار غيضكِ مارق الشّررِ

(١) الأستاذ السيد مدين الموسوي، ولد سنة ١٣٧٨هـ، له مشاركة فعالة في النوادي الأدبية والثقافية والمناسبات الدينية، ومن نتاجه الأدبي: (الجُرح يا لغة القرآن)، (أوراق الزمن الغائب)، (كان لنا وطن)، (لهم الشعر)، (الحلي شاعراً)، وكان رئيساً وصاحباً لمجلة القصب، وهو اليوم يشغل وكيل وزارة الثقافة في العراق (٢٠٠٧م).

وتهتّكـــي مـــن كـــلّ ســـاترةٍ ... لم تحفظـــي ســـتراً لمنـــسترِ
لا عــاد صُــبحك أو بــدا أبــداً ... في ظــلّ وجهــك مــشرقُ القمــرِ
يــا ليلــةً وقــف الزّمــانُ بهــا ... وجــلاً يُـــدوّن أروع الـــصّورِ
وقـف الحـسين بهـا ومَـنْ معـه ... جـبلاً وهـم كجنـادل الحجـرِ
مـا هـزّهم عـصفٌ ولا رعـشت ... أعطـافهم في داهـم الخطـرِ
يتمـايلون ولـيس مـن طـربٍ ... ويـسامرون ولـيس في سمـرِ
إلاّ مـع البـيض الـتي رقـصت ... بـأكفّهم كمطـالع الزُهـرِ
يتلـون سـرّ المـوت في سـورٍ ... لم يتلُهـا أحـدٌ مـع الـسّورِ
ويرتّلـون الجـرح في ولـهٍ ... فكأنّـه لحـنٌ علـى وتـرِ
خفّـوا لـداعي المـوت يـسبقهم ... عـزمٌ تحـدّى جامـد الـصّخرِ
مـذ بـان جنـب الله مقعـدهم ... ورأوه مـلء الـرّوح والبـصرِ
هـدروا كمـا تحمـي لهـا أجمـاً ... أسـدٌ دمـاة النّـاب والظّفـرِ
وبنـاتُ آل الله تـرقبهم ... بعيونهـا المرقـاة بالـسّهرِ
يـا نجـمُ دونـك عـن منـازلهم ... لا تقـتربْ منهـا ولا تـدُرِ
لا تـستمعْ لنـداء والهـةٍ ... مكلومـةٍ مـن بطـشةِ القـدرِ
أو تنظـرنَّ إلى معذّبـةٍ ... حـرّى تـودّع مهجـة العُمُـرِ
تـسقي عيـون البيـد أدمعهـا ... لتظـلَّ مورقـةً مـن الـشّجرِ
لله قـد نـذروا بقيّـتهم ... وتـسابقوا يوفـون بالنُّـذُرِ
والمـوت يـرقبهم علـى حـذرٍ ... مـنهم وهـم منـه بـلا حـذرِ
نامـت عيـون الكـون أجمعهـا ... وعيـونهم مـشبوحة النّظـرِ
لله ترمقـه ويرمقهـا ... كـبراً وهـم يعلـون في كـبرِ

وأبـو الفـداء السّبط يـشحذها بـالعزم يـوقظ سـاكن الغـيرِ
حتّـى إذا بـان الـصّباح لهـم لم تـدر هـل بـانوا مـن البـشرِ
أم هـم ملائكـةٌ مطهّـرةٌ يـستمطرون المـوت للطّهـرِ
هبطـوا وعـادوا للـسّماء معـاً في خـير زادٍ عُـدَّ للـسّفرِ



أملي حسين

الأستاذ فريد النمر[1]

أطـيرُ بأشـواقي بـدون جنـاحِ كمـا تطـير الـرّوح لـلأرواحِ
وارعى لحاظ الشّوق حين تعودني وإن خـانني صـبري مـن الأتـراحِ
واتـرك سـجع الحـبّ بـين أحبّتي رعايـة مـا تـسلو مـن الأفـراحِ
كـم راعـني الوجد وجدّ بمهجتي فأحيلـه كـالطّيف بـين مزاحـي
حتّـام يـا قلـبي تجرعـك الأسـى ليحـسبك الرّائـون نـشوة راحِ
وأنـت علـى الأحـزان عـين صبابة تلـهو وإن قطـع النّحيـب جنـاحي
حتـى إذا قـام الـدّجى طارحتـه وأبحت من نفسي ضعيف صراحي
مـن حامـل شـكوى وكلـي شـكايةٍ قد أفسدت منّي حليف صلاحي

---

(١) فريد عبد الله النمر: ولد عام (١٩٦٦م)، في القطيف، العوامية، دبلوم كهرباء في أجهزة الحماية الإليكترونية. له مشاركات في الصحف، المجلات، الأمسيات الشعرية، الاحتفالات والمناسبات، كالموسم، والمرشد، والساحل، وكيتوس، والنبأ، وجريدة الأزمنة العربية واليوم السعودية، وكل احتفالات أهل البيت عليهم السلام ـ المحلية على مستوى القطيف.

لأجدّ نحو الطفّ أبدي مرارتي ... يا صاحب الطفّ الدّمي الصّاحي

أيكون للآلام خنق عراقنا ... ودماك نهر دافق الأرواحِ

هذي الطّغاة تجبّرت وتآمرت ... والقتل أصبح مزحة المزّاحِ

والطّائرات بفاتك القذف انتهت ... تجتاح قدسك دون أيّ سماحِ

وعلى العباد تآمرت لهلاكها ... والسّكر بالدّم هوى الملاحِ

صبغوا القباب البين حقداً وأعنفوا ... والذّكر في حرم، دم الوشاحِ

طاشت شظاياهم وطاش مريدها ... فإذا البكا أورى صدى الإفصاحِ

وطأوا ضلوعاً بالجحيم وشرّدوا ... أطياف عشقك من سما الأنواحِ

فتخال يوم الطفّ عاد بأهله ... ودم الضّحايا في الثّرى الفواحِ

قد لازم التّسبيح من عمق الدّما ... أنْ يا حسين مناحة النوّاحِ

حزنٌ ودمعٌ لا نفاد لوجعه ... وأكابد مكمدة الأتراحِ

تطفو بدامية الجراح جراحها ... وتجرّ ذيل النّائحات الماحِ

ويجول فيها الغدر منتهك المدى ... متلوناً بسلاطة السفّاحِ

وعلى مداك تسلطنت أهوائهم ... فإلى متى يا كعبة الإصلاحِ

أتراك تغفو وأنت حامل عرشها ... ولواك فتحٌ واثق الإفتاحِ

ودماك ما زالت تشعّ بنصرها ... فوق السّيوف وكثرة الأرماحِ



ما العذر عند محمد

الشيخ محمد بن الخلفة(١)

وحـصانِ ذيـلٍ كالأهلّـة أوجهـاً ... بـــسنائها وبهائهـــا وصــــفاتِها
مـا زال يخـترق الفـلا حتـى أتـى ... أرض الطّفوف وحلَّ في عرصاتها
وإذا بـه وقـف الجـواد فقـال: يـا ... قوم أخبروني عن صدوق رواتها
ما الأرض؟ قالوا: ذي معالم كربلا ... ما بال طرفك حادَ عن طُرقاتها
قال: أنزلوا، فالحكم في أجداثنا ... أن لا تُشقّ سوى على جنباتها
حطّ الرّحال وقام يُصلح عضبه ... الماضي لقطع البيض في قماتها
بينـا يجيـل الطّـرف إذ دارت بـه ... زُمـرٌ يلـوح الغـدر مـن راياتهـا
مــا خلــت أنّ بــدور تمّ بــالعرا ... تُمسي بنو الزّرقاء من هالاتها

❖

قال الحسين لصحبه مذ قوّضت ... أنوار شمس الكون عن ربواتها
قوموا بحفظ الله سيروا واغنموا ... لـيلاً نجـاةَ الـنّفس قبـل فواتهـا
فالقوم لم يبغوا سواي فأسرِعوا ... مـا دامـت الأعـداءُ في غفلاتهـا
قــالوا: عهـدنا الله حاشـا نتبـعْ ... أمّـــارةً بالـــسّوء في شــــهواتها
نمضي وأنت تبيتُ ما بين العدى ... فــرداً وتطلــب أنفــسٌ لنجاتهــا

---

(١) الشيخ محمد بن إسماعيل البغدادي الحلي الشهير بابن الخلفة: شاعر ناثر أديب ولد ببغداد وهاجر أبوه منها وهو طفل إلى الحلة، ونشأ محبّاً للأدب، قال عنه صاحب (الحصون المنيعة) في ج٩/ص٣٣٥: كان أديباً شاعراً، وله شعر في الأئمة الأطهار وفي مدح العلماء والأشراف، وكانت له اليد الطولى في فن البند، توفي سنة ١٢٤٧هـ في الحلة ونقل إلى النجف ودفن فيها. راجع: أدب الطف: السيد جواد شبر، ج٦/ص٩٤ ـ ٩٦.

تبغـي حراكـاً عنـك وهـي عليمـة　　　أبـداً عـذاب الـنّفس مـن حركاتهـا
مـا العـذر عنـد محمّـد وعلـي　　　والزّهـراء في أبنائهـا وبناتهـا
لا بـدّ أن نـرد العـدى بـصوارمٍ　　　بـيض يـدبّ المـوت في شـفراتها
ونـذود عـن آل الـنّبي وهكـذا　　　شـأن العبيـد تـذود عـن سـاداتها

❖

فتبادرت للحرب وإلتقت العدى　　　كالأُسـد في وثباتهـا وثباتهـا
جعلـت صـقيلات التّرائـب جنّـة　　　كيمـا تنـال الفـوز في جناتهـا
كـم حلّقـت بالـسّيف صـدر كتيبـةٍ　　　وشـفت عليـل الـصّدر في طعناتهـا
فتـواتر الـنّقط المـضاعف خلتَـه　　　حلق الدّلاص بـه علـى صـفحاتها
فتساقطت صـرعى ببوغـاء الثّرى　　　كالشّهب قد أفلت برحب فلاتها
مـا خلـت سـرب قطـا بقفـرٍ بلقـعٍ　　　إنّ التّـراث تكـون مـن لقطاتهـا
رحلـت إلى جنّـات عـدن زُخرفـت　　　سـكنت جـوار الله في غرفاتهـا

❖❖❖　　　❖❖❖　　　❖❖❖

ما أعظمها من ليلة

الشيخ محمد باقر الايرواني[1]

قف بوادي الطفّ واصرخ صرخةً　　　تمـلأُ الـدّنيا ضـجيجاً ورنـينْ
يـا ضـيوفاً نزلـوا في نينـوى　　　فتّلقـتهم جيـوشُ الظّـالمينْ

(١) الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد صادق بن عبدالحسين الايرواني النجفي: ولد في النجف الأشرف، له مشاركات في النوادي الأدبية والثقافية والدينية، وله باع طويل في التواريخ الشعرية، وقد أرّخ كثيراً من القضايا الدينية وغيرها في الشعر، وله بعض المؤلفات.

بالسُّيوف استقبلوهم والقنا ... قاصدينَ الغدرَ لا مستقبلينْ

أُمويّون ولا دينَ لهم ... شيمةُ الغدرِ لهم والغادرينْ

واليزيديون كم عاثوا وكم ... حاربوا الإسلام باسم المسلمينْ

وبنو حربٍ وصخرٍ أقبلوا ... بقلوبٍ ملؤها الحقدُ الدّفينْ

ورثوا الأحقادَ من أسلافهم ... آه ما أقسى قلوبَ الحاقدينْ

أعلنوا الإلحادَ والكفرَ كما ... أنكروا القرآنَ والشّرعَ المبينْ

والخياناتُ التي منهم بدتْ ... والجناياتُ لها يندى الجبينْ

لم يُراعوا المصطفى في آله ... صفوةِ الخلقِ كرامٍ أطيبينْ

وعلى آل عليٍ قد عَدوا ... واعتدَوا تعساً لهم من معتدينْ

وحسينٌ ما جنى ذنباً سوى ... أنّه شبلُ أميرِ المؤمنينْ

وكذا أولادهُ من نسلهِ ... خيرُ نسلٍ بل خيارُ الخيّرينْ

ورأوا في صحبهِ روحَ الوفا ... لا كأتباع ابن سفيان اللعينْ

منعوا السّبطَ ومن في رهطه ... أنْ يذوقوا باردَ الماءِ المعينْ

كربلا حُفت بكربٍ وبلا ... نذكرُ السبط بها في كلِ حينْ

ليلةُ العاشرِ ما مِنْ ليلةٍ ... مثلُها مرّت على مرّ السنينْ

ليلةٌ ملأى بألوان الأسى ... ذكرُها للحشر يُشجي الذّاكرينْ

ليلةٌ ضاقت بها الدُنيا على ... آلِ طه الأطيبينَ الأطهرينْ

آهِ ما أعظَمَها من ليلةٍ ... أحزنت كلَّ قلوبِ المؤمنينْ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

أقمار أفلنَ بكربلا

السيد صالح القزويني[1]

كـم ودّعُـوا قلـبي عـشيّة ودّعـوا ... حُرُقًـا تجفّفهـا عُيـونٌ تـدمعُ

شـجر الأراكِ أراك تزهـو «مورقـاً ... عـوداً» فمـا لـك مورقـاً لا تجـزعُ؟

أيـروق عينـاً منـزل بـك رائـق ... ومنـازل التّوحيـد قفـر بلقـعُ؟

والـدّين قـوّض أهلـه فمحلّـه ... دثِـر، وشُـتّت شملـه المتجمّـعُ

لله آل الله تـسرع بالـسّرى ... وإلى الجنـان بهـا المنايـا تـسرعُ

مُنعوا الفرات، وقد طمى متدفعاً ... يـا ليـت غـاض عبابـه المتـدفّعُ

أتـرى يـسوغ بـه الـورود؟ ودونـه ... آل الهـدى كـأس المنـون تجرّعـوا

أم كيـف تنقـع غلّـة بـنميره؟ ... والـسّبط غلّتـه بـه لا تنقـعُ؟

ترحـاً لنهـر العلقمـي فإنّـه ... نهـر بـأمواج النّوائـب مـترعُ

وردوا على الظّمأ الفرات ودونه ... البيض القواطع والرّماح الشُّرّعُ

أسـد تـدافع عـن حقـائق أحمـد ... والحـرب مـن لجـج الـدّما تتـدفّعُ

حفظـوا وصـيّة أحمـد في آلـه ... طوبى لهم حفظوا بهم واستودعوا

واستقبلوا بيض الصّفاح وعانقوا ... سمر الرّماح، وبالقلوب تدرّعوا

فكأنّمـا لهـم الرّمـاح عـرائس ... تجلّـى، وهـم فيهـا هيـام وُلّـعُ

يمـشون في ظـلّ القنـا، لم يثـنهم ... وقـع القنـا والبيض حتى صرّعوا

---

[1] السيد صالح بن مهدي بن حسن الحسيني القزويني الحلي النجفي، وبالإضافة إلى ذلك كان السيد صالح القزويني أديباً شاعراً. توفي عام (١٣٠٦هـ). كان السيد صالح عالماً، فاضلاً، جليلاً، مهيباً، جامعاً لكثير من الفضائل ومكارم الأخلاق. وكان ذا حافظة قوية، وبالإضافة إلى ذلك كان السيد صالح القزويني أديباً شاعراً محاضراً في الأدب العربي. ودفن مع أبيه في مقبرة خاصة في النجف الأشرف.

تنقضّ من أفق القتام كأنّها فوق الرّغام ، نجوم أفق وقّعُ
فدماؤهم للسّمهرية منهل ونحورهم للمشرفيّة مرتعُ
وجسومهم بالغاضريّة خشّع ورؤوسهم فوق الأسنّة ترفعُ
لله سبط محمد ظامي الحشا يبغي الورود من الفرات، فيمنعُ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

دوّي النحل

الشيخ محمد حسين الأنصاري[1]

ذاك ليلٌ فيه استعدّت لصبحٍ ثُلّةُ العزِّ وهي عزّت مثالا
غار بالليل كلُّ نجم مُضيءٍ خجلاً منهُمُ فزادوا جلالا
فحسينٌ كساهُم أيَّ نورٍ فيه تخفى الأنوارُ وهي تلالا
لا يعدون عمرهم غير صبرٍ بين حدِّ السيوف إلاَّ حلالا
لا يعدّون عُمرهم غير شربٍ لكؤوس المنون حتّى الثّمالا
ودويٍّ كالنّحل في صلوات لو أتوها على الوجود لزالا
يشحذون الفؤادَ كي لا يُهالا حين ترتجّ أرضُها زلزالا
فحبيبٌ يُوصيهُمُ بحبيبٍ وحبيبُ الجميع ربٌّ تعالى
برزوا للوجود أحلى نجومٍ منهُمُ ازداد كلُّ شيءٍ جمالا

(١) الشيخ محمد حسين بن الشيخ عبدالغفار الأنصاري: ولد في العمارة العراق سنة ١٣٧٢هـ، أكمل دراسته الأكاديمية وحاز على شهادة الهندسة، ثم التحق بالحوزة العلمية في النجف الأشرف في منتصف السبعينات الميلادية وواصل دراسته فيها حتى حضر بحث الخارج عند السيد الخوئي ﰆ، ومن مؤلفاته: (لمسات الشيخ المفيد على سنن التاريخ)، (ثورة الحسين عطاء دائم)، (المعايير العلمية لنقد الحديث)، (ديوان شعر): (خاص بالحسين ﱠ)، وكتابات فقهية.

وإذا بالحَمَـــار يبــــدأُ فجــــراً   كــــلُّ فجــــرٍ بُحمــــرةٍ يتعــــالى
إذ يبــثُّ الحيــاةَ في كــلِّ شــيءٍ   منـه حتّـى الجمـاد يبغـي انتقـالا
وكــأنّ الجميــعَ هــبّ ســريعاً   مــن عِقــال ومــا يُريــدُ اعتقــالا
وإذا بالحــسين فجــرٌ عجيــبٌ   يتــصدّى لليــل ظُلــمٍ تــوالى
يــضمحلُّ الطُغيــانُ وهــو عظــيمٌ   وعنيــدٌ بنــورهِ اضــمحلالا

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

العباس وليلة العاشر

الأستاذ السيد محمد رضا القزويني[1]

قـد أنجبتـك مـن الفحولـة حـرّةٌ   لم يعـرف التّـاريخ بعـدُ وفاءَهـا
أُمّ البــنين أصــيلة أكــرم بهــا   أُمّــاً فــدت لإمامهــا أبناءَهــا
غـذّتك مـن ثـدي الكرامـة والوفـا   حُبّ الحسين فكنت أنت عطاءَها
وبطولــة مــن حيــدر فجمعتهــا   في كــربلاء لكــي تــصدّ بلاءَهــا
قــرّت لهــا عــينُ الكريمــة زينــبٍ   لــتراك أهــلاً أن تــصون خِباءَهــا
فمضت تَقُصّ عليك دوراً عاصفاً   فيك الشّهامة ما اعتزمت فداءَها
في ليلـة طـاب الحـديث الحلـوُ مـن   أُختٍ وأنت على الجـواد إزاءَهـا
تــروي مــصاهرةَ الكــرام بقــصّةٍ   قــد أنجبتــك ولم تُــرد إخفاءَهــا

---

(١) الأستاذ الشاعر السيد محمد رضا بن العلامة الحجة السيد محمد صادق بن السيد محمد رضا القزويني الموسوي: ولد سنة ١٣٦٠هـ في خراسان، وله مشاركات في كثير من النشاطات الأدبية والثقافية وله مشاركة فعّالة أيضاً في النوادي الحسينية وخصوصاً يوم العاشر من المحرم، ومن مؤلفاته: (نعيم وجحيم) (شعر)، (مدائح لأهل البيت عليهم السلام ـ)، (كربلاء ودورها القيادي في ثورة العشرين) (مخطوط)، (ديوان شعر) (مطبوع)، كما نشرت له قصائد في بعض الصحف والمجلات.

فهـززت سـيفك أن تطمـئنّ قلبهـا بيـــدٍ تلقّـــت في غـــدٍ جـــذاءَها
فتـصاعدت بيـضاء تـدعو ربّهـا ألاّ يَخيـــب الـــسّائلون رجاءَهـــا
فتحـــدّث التّـــاريخ عنهـــا أنّهـــا ملأت بأسخى المكرُمات عطاءَها
وعلـى الـشّريعة ودّعتـك مُقطّعـاً أُخـتٌ تُـساق وَخلّفتـك وراءَهـا
لكــنَّ رأسـك فـوق رمـحٍ شـامخاً قـد كـان يرعـى شجوها وبُكاءَها
قمـــراً يُـــنير الـــدّرب أيَّ قوافـــل ويـضمَّ تحـت شُـعاعه أُسـراءَها
نادتـك مـن قلـب ذوت أوشـاجُه وبـأدمُع هـوت العيـونُ بُكاءَهـا
أأخـيَّ عنـد العهـد بعـدك لم تـزل وأراك تـــسمعُ للـــصّغار نـــداءَها
لا زلـت تحـرس ركبنـا وتُزيـل في أنـوار وجهـك للعـدى ظلماءَهـا

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

ليلة الوداع

الشيخ محمد سعيد المنصوري(١)

بـــكِ يـــا ليلـــة الـــوداعِ الرّهيـــبِ ســال دمعــي دمــاً لــرُزءِ الغريــبِ
مـذ أحاطـت بـه الجيـوشُ وأمسى يتلقَّـــى الـــرّدى بـــصدرٍ رحيـــبِ
قـال: يـا صـحبيَ الكـرامَ وفيـتم فـاذهبوا في ظـلام هـذا الغـروبِ
واتركـوني والقـومَ فالقـصدُ قتلـي فأجـــابوه: يـــا حبيـــبَ القلـــوبِ

(١) الشاعر الشيخ محمد سعيد بن الشيخ موسى المنصوري: ولد سنة ١٣٥٤هـ قرأ في البصرة والمحمرة والبحرين وقطر والكويت، وقم المقدسة ويُدرس حالياً الخطابة في معهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن مؤلفاته: (ميراث المنبر): في جزءين، (مفاتيح الدموع لكل قلب مروع)، (ديوان السعيد في رثاء السبط الشهيد)، (الذكر الخالد): (محاضرات) في ثلاثة أجزاء، وله نشاط بارز في النوادي الحسينية والشعريّة.

كيـف ترضـى نفوسُـنا بـالتخلّي عنـك في محنـةٍ ويـومٍ عـصيبِ

لــك نفــدي أرواحَنــا وقليــلٌ لـك بـذلُ الأرواحِ عنـد الوثـوبِ

سـيدي كيـف ينتهـي الأمـرُ فينـا لنكـوصٍ بعـد اتـضاحِ الوجـوبِ

أنخلّيــك مفــرداً يــا ابــنَ طــه والأعـادي عنـدَ اشـتدادِ الخطـوبِ

أيّ عــذرٍ لنــا إذا مــا سُــئِلْنا مـا جـرى فالتجـأتُمُ للـهروبِ

يــا أبـا عبـد الله دَعْنـا ننـالُ الـ أجـرَ والفـضل في الجهـادِ القريـبِ

فجـزاهم خـيراً وقـال: إلـيكم مـا أردتم والفـوز للمـستجيبِ

وأراهــم منــازلاً قــد أُعــدَّت لَهُــمُ في الجنــانِ بالتّرحيــبِ

لــيروا راحــةً بهــا وارتياحــاً بعـد ذاك العنـا وتلـك الكـروبِ

ثــمّ بــاتوا لهــم دويٌ تعــالى بالمناجــاةِ للإلــهِ المجيــبِ

فقـضوها بالعـشقِ ليلـةَ وصـلٍ ببكــاءٍ وحــسرةٍ ونحيــبِ

ومـع الـدّهرِ للحـسين عتـابٌ بخطــابٍ إلى القلــوب مــذيبِ

قال: يا دهرُ منك كم قد أُصِبْنا ودهينـا بكـلّ خطـبٍ مريـبِ

هــدَّنا خطبُــك الجليــلُ وإنّــا منـه شـبنا قبـل يـوم المـشيبِ

ثـم طـوراً يرنـو لزينـبُ تبكـي ولهـا ينــثني بقلــبٍ كئيــبِ

أخـتُ يـا زينـبُ العقيلـةِ صـبراً إن رمـاكِ القـضا بـرزءٍ عجيـبِ

كـم علينـا حـوادث الـدّهر جَـرَّت مـن مـآس تـدمي عيـون اللبيـبِ

أنـتِ أمّ النّبـوغ بنـتُ علـي وعلـيٌّ في الــدّهر أسمــى خطيــبِ

هــو ممّــن ذلّــت لديـه المعـاني لــسمو الــتّفكير في التّرتيــبِ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

ليلة في زمن الانبياء

السيد محمد شعاع فاخر[1]

أليلٌ سجى في كربلاءَ أم الحشرُ؟ تَسامت به الأيّامُ وافتخر الدّهرُ
وهل بسماتُ الوالهين إلى الرّضا أضائته أم ثغرُ الحقيقةِ يفترُّ
وتلك دموعُ المشفقات تسابقتْ شآبيبَ أم سحبٌ بها انبجسَ القطرُ
وهذي جباهٌ أم بروقُ صوارمٍ أم اللوحُ محفوظاً بهيكله الذّكرُ
وهل تلك أرضٌ أشرقت في عراصها أو الفلكِ الأعلى الكواكبُ البدرُ
نعم حلَّها ثقلُ الرِّسالةِ فاكتسى بهم سندساً من فيضِ جدواهم القفرُ
تعالتْ على رمضانَ أيّامُ عشرها وعن ليلة القدر استطال بها القدرُ
لئن زاد قدرُ الشّهرِ بالذّكرِ وحدَهُ ففي العشر منها استُشهد الذّكرُ والطّهرُ
وإن كان يفنى بالثّلاثين عدّه فما هي إلا الدّهر أيّامها العشرُ
وليس ظلاماً ما أرى بل صحيفةً من النّور تبدو والجهادُ لها سِفْرُ
جرت من أبيِّ الضّيمِ فيها دماؤُهُ كتاباً جهادُ الأنبياء به سطرُ
ففي كلِّ جرحٍ من عديد جراحه لنوحٍ وبلواهُ السّفينةُ والبحرُ
وفي كلِّ حرفٍ من لهيب ندائه خليلٌ لإسماعيله في الحشا جمرُ
وإنْ كان بالذّبح العظيم فداؤُهُ لتُفْدى بإسماعيلَ فتيانه الغُرُّ

---

(١) الخطيب الشاعر السيد محمد شعاع فاخر: ولد سنة ١٣٦٠هـ في الضفة الشمالية من شط العرب درس في حوزة الأهواز العلمية ثم هاجر الى حوزة النجف الأشرف لإكمال دراسته وكان عضواً في الرابطة الأدبية في النجف الأشرف، ثم عاد الى الأهواز وحضر عند العلامة الكرمي، ثم آثر الإقبال على الخطابة والكتابة، من مولفاته (حجة الشيعة الكبرى)، (دفاع عن السيد المسيح)، (جهاد كربلاء والإنسان)، ديوان شعر بعنوان (أنا الشاعر).

وإنْ فخرت أرضُ الطَّواف بهاجرٍ ... فكم هاجرٍ بالطَّفِّ أبرزها الخدرُ
سَعتْ ألفَ شوطٍ تطلبُ الماءَ بعدما ... جرى في مسير النَّهر ريقُهُ الغمرُ
ولو ملكتْ أمراً سقت من دموعها ... عطاشاه لولا أنَّها أدمعٌ حُمرُ
تسيلُ بجنب النّهر يندى بها الثّرى ... وتنسجُ برديه الشّقائقُ والزَهْرُ
فلم يعرفِ الرّاؤونَ ما الدّمعُ منهما ... غداةَ جرى من مقلتيها وما النَّهْرُ
وهذا ابنُ عمرانَ استقلَّ جهَادَه ... وما صَغُرَتْ شأناً مَوَاقِفُه الكُثْرُ
غداةَ رأى سبطَ النّبيِّ بكربلا ... به يستجيرُ الدّينُ إذ مسَّهُ الضُّرُّ
لئن خانه الخانون فى الذلّ جبهةً ... وأصبتهم الدّنيا فما خانه النَّصرُ
وإن ظلَّ فرداً حيثُ خلاَّه عسكرٌ ... فكان له من عزمهِ عسكرٌ بحرُ
تمَنَّى كليمُ الله تفديه نفسُهُ ... ودونَ الحسينِ السّبطِ تنحرهُ السُّمْرُ
وجلَّ الصّليبُ المجتلى فوق عوده ... مسيحٌ كما يجلى من الغَبَش الفَجْرُ
تسلَّق أعواد الصّليب فما ونَتْ ... رؤاه ولكن باح بالألم السّرُّ
يقولُ وملأُ الكونِ منه شكايةٌ ... إلى الله ممزوجٌ بها الألمُ المُرُّ
إلهي وربّي كُنْ معي في مصيبتي ... رفيقي فقد عنَّاني الصّلبُ والأسرُ
وأُولاءِ فتيانُ الرّسولِ تسابقوا ... إلى الموت يتلو الحُرَّ في سعيه والحُرُّ
تَلفُّهُمُ الحربُ العَوانُ كأنَّها ... نعيمٌ وفيه الأُنسُ لا البيضُ والسُّمْرُ
فما ضَعُفَت منها القلوبُ عن الوغى ... أجل مات فيها الخوفُ وانذعر الذُّعْرُ
وإن جلَّ يوم المطمئنِّ وخائفَ ... فمَنْ منهما في السّابقين له الفَخْرُ؟
طوى اللهُ آناءِ الزّمانِ الذي مضى ... وفي ليلِ عاشوراءَ كان له النَّشْرُ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

في الليلة الأخيرة

السيد مهنّد جمال الدين(١)

«في آخر ليلة وقف الحسين بن علي عليه السلام بين يدي الله متهجِّداً كعادته... غير أنّ الليل في هذه المرّة له حوار مع نفسه وهو أنَّهُ يشعر بانقضائه إلى الأبد حينما يأتي الصباح...».

الليلُ قد نثر الدُّموعَ رحيقا ... وهوى يُقبّل في الظّلامِ رفيقا

خمسُونَ ما رعِشَ الضّميرُ لغيرهِ ... أبداً... وما عَرفَ الفؤادُ عُقوقا

كانت لياليه الحسانُ وضيئةً ... تزهو على كبد الزّمان بروقا

وتصاعدت أنفاسُه في موكبٍ ... قد زُفّ للأفلاك نوراً يوقا

وإذ ارتقى نحو السّماءِ نشيجهُ ... غفت الشّجونُ وجُنّت الموسيقى

رقصت وقد سال النُّهى في كأسه ... فالفَجرُ جاءَ مُهرولاً ليذوقا

حتى إذا اقتربت إليه غادةٌ ... حسناءُ تضرمُ في الدماءِ حَريقا

الصُّبحُ في وَجناتَها متورّد ... ومن الفضاءِ النّورُ يشكو ضيقا

فترنّحت بالوجد تَعتصرُ المُنى ... لتصبَّ قلباً في الغرام أُريقا

قالتْ وقدْ فاحَ العبيرُ بصوتها ... والثغرُ نثَّ أقاحياً وشقيقا:

«هلاّ نزلت إلى فؤادي مَرّةً ... وهل ارتشفت رضابَهُ والرّيقا»

«إنّي أمدُّ يداً لقد ذابت لها ... كلُّ القلوبِ ومُزّقتْ تمزيقا»

(١) السيد مهند بن الشاعر الكبير المرحوم الدكتور السيد مصطفى جمال الدين: ولد سنة ١٣٩٥هـ في سوق الشيوخ إحدى مدن العراق الجنوبية، تخرّج من معهد التكنولوجيا ببغداد سنة ١٤٠٧هـ، التحقَ بالحوزة العلمية في قم المقدسة ١٤١٢هـ، ومن نتاجه الأدبي ديوان شعر (مخطوط) وكتابات أُخرى، وله مشاركات في النوادي الأدبية والثقافية.

فهل ارتضيتَ بأن أكون عقيلةً ... لأصونَ من غيظي الدّمَ المحروقا؟!

فأجاب: مَنْ هذي التي دَوّت بنا ... وَمَضَتْ إلى النّجوى تَشقُّ طَريقا؟!

قالت: أنا «الدُنيا» وهذي نِعمتي ... تجني الثّمارَ أساوراً وعقيقا

فأجابها والحلمُ يمتشق السنا ... ويمدُّ صوتاً في الوجود طليقا:

«حَرُمَتْ على الأبناء من قد طُلِقَتْ ... وأبوهُمُ مَنْ أوقعَ التّطليقا»

«وأبي لقد حَفِظَ الزّمانُ طَلاقهُ ... لكِ في صَميمِ الخالداتِ بريقا»

الليلُ يسمعُ ما يدورُ بقلبه ... فيعدُّ دقّاتٍ له وشهيقا

ويعدُّ ليلته وقد ماست به ... أملاً يَموتُ وعالماً مَسروقا

هي آخرُ العنقودِ يَدري أنّها ... تلِدُ الصّباحَ وضوءَه المخنوقا

فلتستعدّي يا نجوم وتخمدي ... فجراً تخطّى نحونا وشروقا

طولي فقد شدَّ الرّحيلُ رِكابَهُ ... وبه تهجّى الضّارِعُ التّفريقا

فغداً يخرُّ الوهم من عليائه ... «وأبو عليٍّ» يَرسمُ التّصديقا

وغداً يُطهِّرُ من نزيف جراحه ... ماءً على نهرِ الفراتِ غريقا

ويشيدُ نصراً للإباءِ مُنضَّراً ... ويُنيرُ جُرحاً للسُّراة عميقا

ويَخطُّ للثوّارِ درباً واضحاً ... ويصونُ للمتطلّعين حقوقا



من الأرجوزة الحسينية

الشيخ هادي آل كاشف الغطاء[١]

الإمام عليه السلام ينعى نفسه:

واعتــزلَ الحــسينُ وَهــو يُنْــشِدُ ... وَســــيفُهُ أمامَــــهُ مُجــــرّدُ

يــا دَهــرُ أُفٍّ لَــكَ مِــنْ خَليــلِ ... كــمْ لــك بالإشْــراقِ وَالأصــيلِ

مِــنْ صــاحبٍ أو طِالــبٍ قتيــلِ ... والــدّهرُ لا يَقْنَــعُ بالبَــديلِ

وَكــلُّ حــيٍّ ســالكٌ ســبيلي ... مــا أقَــربَ الوَعْــدَ مــن الرّحِيــلِ

وقــدْ وَعَــتْ هــذا النّــشيدَ زَينــبُ ... وَكــادَ قَلْــبُها لــهُ يَنْــشَعِبُ

قالــت: أُخــيَّ يــا عزيــزَ أهلــي ... هــذا كــلامُ مــوقنٍ بالقتــلِ

قــال لهــا: نعــم أيــا أختــاهُ ... قالــت لــه: بعــدك وا ثكــلاهُ

يَنْعــى إلــيَّ نفــسَهُ الحــسينُ ... يقــولُ: قــدْ دنــا إلــيَّ الحــينُ

وَشــقّقَتْ جيوبَهــا النّــساءُ ... وَقــدْ عَــلا العَويــلُ وَالبُكــاءُ

وأمُّ كُلْثُــومٍ غَــدَتْ تنــادي ... تَنْــدِبُ بالآبــاءِ وَالأجــدادِ

وا أبتــاهُ وا محمّــداهُ ... وَوا عليّــاهُ وَوا أخــاهُ

تَقُــولُ: واضَــيْعَتَنا جميعــاً ... بعــدَكَ إذْ تَغْــدوا لقــى صــريعا

قــالَ: تَعَــزَّي بعــزاءِ اللهِ ... وَفوضّــي الأمــرَ إلى الإلــهِ

فكــلُّ مَــنْ فَــوْقَ الثّــرى لا يبقــى ... وَإنّ ســكانَ الــسّماءِ تفنــى

---

(١) العلامة الحجة الشيخ هادي ابن الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء النجفي: ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٩هـ، وتوفي سنة ١٣٦١هـ، ومن مؤلفاته: (مستدرك نهج البلاغة)، (مدارك نهج البلاغة)، (شرح شرائع الإسلام)، (هدى المتقين): (رسالة عملية)، (المقبولة الحسينية): (ملحمة) راجع: أدب الطف للسيد جواد شبر: ج٩، ص٢٢٤،

صـــبراً إذا أنـــا قُتلـــتُ صـــبرا فـــلا تَقُلْـــنَ بَعْـــدَ قتلـــي هَجْـــرا
وَلا تَـــشُقّنّ عَلَـــيّ جَزَعـــاً جَيْبـــاً وإنْ جَـــلَّ المُصاب مَوْقِعـــا
وَقَـــدْ رَوى المفيـــدُ في (الإرشـــادِ) مُـــذْ سَـــمِعَتْ زينـــبُ بالإنـــشادِ
قامـتْ تجرُّ الثّوبَ وهـيَ حَسْرى الى أخيهـــا لا تُطيـــقُ صَـــبْرا
قالـــتْ لَـــهُ: يـــا ليـــتَ إنَّ مـــوتي أعْـــدَمَني الحيـــاةَ قَبـــلَ الفـــوتِ
اليـــومَ ماتـــتْ أُمّـــيَ الزَّهـــراءُ وَماتْـــت الإخْـــوَةُ وَالأبنـــاءُ

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

مخاض النجوم

الأستاذ يقين البصري [(١)]

قلبٌ على شِفَةِ الرّملِ الحَرُوق صبا فعاد من هَمْسِهِ المذبوح شوطَ إبا
يجتـازُ أفيـاءَ دنيانـا الى خَلَـدٍ... لمكفهـرِّ المنايـا يبتغـي طلبـا
يُطـلُّ مـن لغـةٍ ضـمياء مُلهمَـةٍ بيانُها مُخْرسٌ مـن قـالَ أو خطبا
وقد تجحفلَ شوكُ الأرضِ أجمعُهُ يحاصرُ الـدّينَ والأخـلاق والكُتبا
تململَ الفَلَـكُ الـدوّارُ معتـذراً أنْ يُطلعَ الفجرَ أو أنَ يكشف الحُجبا
وطـالَ ليـلٌ كـأنَّ الـدّهر عـضَّ بـهِ علـى نواجـذهِ اليَهمـاء واضـطربا
هنـــا تَبتّـــلَ إنجيـــلٌ فرتلّـــهُ فـمُ الزّبـور مـع القـرآن مُنتحبـا
هنـا علـى النّهـر ترنو ألـفُ مشنقةٍ إلى الصّباح لتُطْفي الشّمسَ والشُّهُبا
هنـا زفـيرُ المنايـا الحُمـرِ منتظـرٌ مخاضَـةُ الـصّعب مزهـوّاً ومنتِـصبا

---

(١) الأستاذ يقين البصري: ولد في البصرة سنة ١٣٧٠هـ، أنهى دراسته الأولية فيها، ودخل جامعة بغداد كلية القانون سنة ١٣٩١هـ وتخرج منها سنة ١٣٩٥هـ، وله مشاركات في الاحتفالات والمنتديات الأدبية والثقافية، ومن نتاجه الأدبي ديوان شعر مخطوط وكتابات أخرى.

وقــد تــدافَعت الــدّنيا بكلكلــها على ابنِ فاطمـةٍ مـا اهتزّ وارتعبـا

تجــوبُ وارفــةُ الآمــالِ خيمتَــهُ بذي الفجاج ويـزدادُ الأسـى طربـا

ويرمقُ الأفقَ يُذكي جمرَهُ عَطشاً فيـستطيبُ احتـدام المجـد واللـهبا

غـداً تمـزّقني هـذي الـسّيوف لمـن؟ لتكتـسي الزّبـد المـزدول والكـذبا

غــداً ســتنتهبُ الــذّؤبان أفئــدةً هـي النّجـومُ العـذاري لحمَهـا نَهَبـا

غداً سأُطعمُ أسيافَ العدى جسدي وإخـوتي الـشُمَّ والأبنـاء والـصُّحُبا

أنـا علـى ضـفّةِ الأمـواج مَـشرعَةٌ عطشى تؤمّـل أنْ تُعطـي وأنْ تهبـا

يـا دهـرُ بـئسَ خليـلٍ أنـتَ منطويـاً علـى مخالـبِ ذئـبٍ فاعـلٌ عجبـا

لم تــرعَ أيَّ ذمــامٍ حــقَّ صــاحبهِ عن الحتوف وترضى الزّيف والرِّيَبا

على حوار ضميرِ الكون قد فَزَعَتْ بنـتُ الـنبيّ بقلـبٍ غـصَّ وارتهبـا

أراكَ تُـسْلِمُ للمـوت الـزّؤام دمـاً مُقدّسـاً والطّهـورَ القلـبَ والحَسبا

فقالَ: لا تجزعي وعـدٌ وعِـدْتُ بـه لأرقأ الليلَ أو أعطي الزّمـان صِـبا

وحولَـهُ العـصبةُ العظمـى مجنّحـةٌ هيَ الليوث تُزيلُ الـسّهلَ والـصَّعِبا

يا مطلعَ الشّمسِ هذا الليل تُغرقُنـا أمواجُـهُ والـصّراعُ الفـذُّ مـا اقتربـا

لَنُـشعِلَنَّ غـداً دنيـا الفـداءِ لظـىً والحـربَ أسـطورةً مـا مثلـهُا كُتبـا

دونَ الحـسين نُـروّي كـلَّ لاهبـةٍ من الرّمـالِ ونُغـري الموتَ أنْ يثبا

لننــصبنَّ منــاراً مــن دمٍ شــرسٍ مدى الزّمانِ عصيّاً ثائراً صَـلِباً...

يـا ليلـةً يـا مخـاضَ الـدّهر يـا حقبـاً قدسـيةً يـا نـضالاً مورقـاً ذهبـا

يــا ليلــة مــن عــذاباتٍ مُطــرّزةٍ الكبرياءِ شَطَبْتِ المَحْل، والجَدبا..

يـا ليلـةً عمرُهـا التـأريخ أجمعُـهُ والمجـدُ أشـرفُهُ بـالعزِّ مـا اكتُـسِبا

ويا حديثَ المدى الأقصى بما نضَحَتْ مكارمُ السّبطِ حدّثني حديثَ إِبا

وقفة على ضريح الحسين عليه السلام

شاعر أهل البيت الشيخ عبد الأمير النصراوي

ضـــــريحكَ كعبتنــــا الأرفــــعُ   وقـــبرك نـــور بـــه يـــسطعُ
مـــلاذ الجميـــع وفي النائبـــاتِ   وفي كـــلِّ حـــين لنـــا مفـــزعُ
لأنــكَ ســور وحــصن حــصين   وأنـــت المنيـــعُ بـــل الأمنـــعُ
وهــذي الملائــك تهــوي إليــك   بـــشوق تـــزور ومـــا تهجـــعُ
تطــوف وتــدعو لتلــك الجمــوع   فمـــن كـــلّ حـــدب لـــه تـــسرعُ
ســيول مــن النــاس تــسعى إليــه   وتهفـــو إلى قـــبره تهـــرعُ
تــصلّي عليــه ألــوف الألــوف   علـــى أرضـــه ســـجّد ركّـــعُ
فيــا ابــن الرســول وأعظــم بــهِ   رســـول الإلـــه ومـــن يـــشفعُ
ويــا ابــن الأمــير أمــير الــورى   إمـــام همـــامٌ لنـــا مرجـــعُ
وأمـــك فـــاطم خـــير النـــساء   تغـــذّيت مـــن درّهـــا ترضـــعُ
أخــوك الزكــيّ وبــدر الــدجى   جـــواد وبحـــر لـــه منبـــعُ
وصـــبرك صـــبر يزيـــل الجبـــال   وحلمـــك يـــا ســـيدي أروعُ
أبيــت الخنــوع رفــضت الخــضوع   وأنـــت الأبـــيّ فهـــل تخـــضعُ؟!
كأنّــك شمــس تــضيء الحيــاة   وفي كـــلّ يـــوم لهـــا مطلـــعُ
لتحــي النفــوس وتــروي الــضّمير   جـــديب الـــضّمير بهـــا يفـــرعُ
تباركــت مــن مفــزع للــشعوب   إليـــك بأجمعهـــا تفـــزعُ
وطابــت بروحــك أرض الطفــوف   وجـــسمك مثـــوىً لهـــا مـــضجعُ

وقــف بهــا حاســراً صــارخاً		أمــام حــشود غــدت تخــدعُ
وسـيفك يعلـو يـزيح الـرؤوس		فــذلّلت صــغاراً لــه تهطــعُ
تمــزّق مرمــى لتلــك الجيــوش		وصــوتك في سمعهــم يقــرعُ
فمــاذا أقــول بهــذا الإمــام؟		صــنيع علــي إذا يــصنعُ
فمــن ذا يــصول بــساح الــوغى		علــيٌّ لأرواحهــم ينــزعُ
فلــولا القــضاء ومــا نالــه		لأفنــى الجميــع ومــن يتبــعُ
إلى أن قــضى ظاميــاً بالــسيوف		صــريعاً وأشــلاءه وزعــوا
تجــول علــى صــدره العاديــات		تــرضّ فيــا أســفاً أضــلعُ
تريبــاً ورحــل لــه يــستباح		ســليباً وخنــصره يقطــعُ
وجــسم يظــلّ بحــر الــصعيد		ثلاثــاً لــه ريحهــا تلفــعُ
فــصار منــاراً لكــل البقــاع		وأعلامــه فوقهــا ترفــعُ
بكتــه الــسماء وســكانها		ســحاب الــسماء لــه مــدمعُ
عــشقت هــواه فروحــي فــداه		وأرجــو رضــاه ومــا ينفــعُ
عظـيم العظـام ورمـز الـسلام		وبــدر التّمــام بــدا يلمــعُ
إمــام الأنــام مبيــد اللئــام		كــريم الكــرام فــلا يمنــعُ
حبيــب القلـوب عـديم العيـوب		نقــيّ الجيــوب سمــاً يرفــعُ
حــسين شــفيعٌ شــفيعٌ حــسين		فمــن ذا ســواه لنــا يــشفعُ؟

١٥ ربيع الأول ١٤٢٩هـ



صوت الراية

الشاعر السيد عبد الخالق المحنه

تمـشي إليـك توسـلاً خطـواتي	وأعــدها إذ أنهــا حــسناتي
وودت لـو أنّ الطريـق لكـربلاء	مـن مولـدي سـيراً لحـين ممـاتي
لأُنادي في يـوم الحسابِ تفـاخُراً	أفنيـتُ في حُـب الحُسين حيـاتي

أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

لو تعبن الرجلين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

مجنون وحُبك علمني ما ساوم واخضع هيهات

هيهات الذِّلة إتعاشرني والمات إبدربك مامات

چم طاغي الحاول يمنعني وأرفع رآيات الثارات

لبيك الحد گطع المنحر صوت الدم يصنع ثورات

في دمائي يا رجائي

أثبت أُوصول الدين أوصل رحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

شايل يوم الطف بعيوني وإبجفني إتنام الأحزان

نتعلم من هذا المنبر نصنع ثورة على الطغيان

ملتزمين بهاي الخدمة بس هالخدمة إتعلي الشآن

وحسين اليرفع خدّامه وإيخلي الخادم سُلطان

في حياتي أو مماتي

وي لهفت الماشين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

لو تعبن الرجلين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

مشايه إتگصدك أنصارك عالعاده ورغم الأخطار

كل گطره السالت من نحرك أُنشودة ابدرب الأحرار

كل دمعه إبدربك محسوبه وإبكل خطورة إنصيح الثار

ويتمنه العباس اچفوفه من يسمع صوت الزوار

لاح ضيفي أين كفي

وينادي دمع العين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

لو تعبن الرجلين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

وإبدرب الطف لاحت رآيه رفّت بكثر من تصريح

تهتف لبيك وثار الله وين إتميل يهب الريح

رآيه وچف حيدر لازمها من إطيح الگاع إطيح

أصغي وإسمع صوت الرآيه وينك هاا يالمهدي إتصيح

شبلُ حيدر حين يظهر

وينادي بالضلعين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

لو تعبن الرجلين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

مولاي إبخدمت زوارك صارت محسوده الخدّام

كل ظنه الظالم يرهبني من صدّر حكم الإعدام

أتلگى الزاير بدموعي هاك ارموشي إتغطى وانام

أتشرف بتراب اجدامك وصفة إترابك للآلام

قطعُ نحري تاجُ فخري

وينه المنعني وين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

لو تعبن الرجلين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

من إبعيد الگبرك أمشي وأسبح من دمعي المسفوح

وأسمع صوت يجر ابروحي وچف مگطوع هناك يلوح

يستقبل زينب والعيله والموعد يم المذبوح

وإنواسي السجاد إبصبره وإنداوي الگلب المجروح

صاح قلبي إي وربي

لو بالعمر يومين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

لو تعبن الرجلين أوصل زحف لحسين

خذ ولائي كربلائي

*** *** ***

الزهراء تنعي ولدها

الأستاذ جابر الكاظمي

آنـــه الزهـــره ومـــا أدري   كـسرك أصـعب لـو كـسري
بـــين امـــصابك وامـــصابي   يحـــسين إنـــسيت اصـــوابي

❖❖

مـن لحـدي انفـضت اترابـي   واتعنيتـــك مـــن كـــبري
جيتـــك للطـــف مهمومـــة   شــفت اضــلوعك مهــشومه

❖❖

ونحـرك مـن شـفت ادمومـه   هـــيج احزانـــي وقهـــري
شـــفتك مخـــضوب إبـــدمك   إو صـــبيت المـــدمع يمـــك

❖❖

راسـك مـا شـفته ابجـسمك   يحـــسين اتحـــير فكـــري
ناديتـــك راســـك وينـــه   اوجـــسمك لـــيش اموذرينـــه

❖❖

إولـــيش إبـــدم إمغـــسلينه   جـاوب يـا شمعـة عمـري
متغـــسل جـــسمك بالـــدم   وامجفـــن بـــتراب الهـــم

❖❖

صـــدرك بالخيـــل اتهـــشم   أو بالبـاب اتـشهم صـدري
محتـــاره بـــامري وأمـــرك   وانهـشمن صـدري وصـدرك

❖❖

يـبني ومـن كطعـوا نحـرك   جـن كعطعـوا ادمومـك تجـري
دمعـــاتي أو دمـــك تـــسفح   أو بجروحـك كلـبي امجـرح

❖❖

لــو شــفت إبعــيني المــذبح   لا شـك جنـت أفكـد صـبري
كــل ســهم الــصابك يــبني   مثلـــك جـــان ايـــصوبني

❖❖

امـــصابك بـــالطف عـــذبني   أو هـــيج نيرانـــي أو جمـــري

❖❖❖   ❖❖❖   ❖❖❖

بطولة الأصحاب

شاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ زكي النعماني

من الذين خلدهم التاريخ وصاروا مناراً يقتدى بهم، تلك الصفوة الذين قدموا أنفسهم قرابين للدين الحنيف أمام سيدهم الحسين عليه السلام فتسابقوا للموت حتى خرّوا صرعى بأرض كربلاء، وخطوا بدمائهم الزكية أحرفاً من نور، وإليك هذه القصيدة تعبيراً عما قاموا به من بطولة وفداء:

عـــن علـــم يحـــسين   عـــــــن علـــــــم
نهـــــضة الأصـــــحاب   يـــا بـــن داحـــي البـــاب

عن علم

عـــن علـــم يحـــسين   نهـــــضة الأنـــــصار
عنـــد بـــني ســـفيان   جـــــــرّدت بتـــــــار
وعاهـــدت شخـــصك   يـــا بـــن حـــامي الجـــار
عـــن عـــزم يحـــسين   عـــــــن عـــــــزم
نهـــــضة الأحـــــرار   ضــــــد الاســــــتهتار

عن علم

❖❖❖   ❖❖❖   ❖❖❖

مـــن عـــالم الـــذر بـــاري الأكـــوان
أختـــار الـــك أنـــصار أتجاهـــد بأيمـــان
ضـــد بـــني ميـــه التعبـــد أوثـــان
ومـــا تهـــم يحـــسين مـــا تهـــم
المـــوت لـــو جاهـــا وترفـــع الواهـــا

عن علم

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

مخـــصّص البـــاري ابـــنص الإرادة
ابكربلـــه يحـــسين تعلـــن جهـــاده
وخـصص الـك أصـحاب تنـــال الـــشهادة
وكـــل اســـم يحـــسين كـــل اســـم
صـــوّره الجبـــار أنعـــد مـــن الأنـــصار

عن علم

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

مـــن دحـــه البـــاري الأرض يـــا مظلـــوم
ابكربلـــه قـــرر والأمـــر محتـــوم
يـــصوّر الـــك أنـــصار بيهـــا تـــنهض يـــوم
چـــم شـــهم يحـــسين چـــم شـــهم
نيـــف وســـبعين عنـــده أمـــسجلين

عن علم

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

اتعنـــــــت الحومـــــــة بعـــــــد الاســــــتيذان
عامــــــده اتحــــــارب زمـــــــرة الـــــشيطان
والچبـــــــد منهـــــا يلتهــــــب نــــــيران
نـــــــتقم يحـــــسين تنـــــــــــــــــــــــتقم
مـــن العـــده الأنـــذال اتعنـــــــت الأبطـــــال

عن علم

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

العطـــش ضـــر بيهـــا لچــــن مــــا همهــــا
ثابتـــــه چـــــالطود اتحــــارب خـــــصمها
وناضـــــلت لمـــــن تخــــــضب ابـــــدمها
وتنجــــسم يحـــــسين تنجـــــــــــــــسم
روس أعاديهـــــــــا مـــــــن مواضـــــيها

عن علم

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

بعــــــد مـــــا أدّت للحـــــق يـــــا جيـــــدوم
واحـــــدٍ واحـــــد عـــــن ثبـــــات وزوم
ومـــــن صـــــوارمهم تتقــــــاطر اسمــــــوم
وتلتــــــزم يحــــــسين تلتــــــــــــــزم
بمـــــنهج المختـــــار وشـــــاهره البتــــار

عن علم

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

كــــــــافحوا دونـــــــك ابـــــــشفرة الـــــــصمام

وناضـــــلوا عـــــن زوم مــــــن دون الخيـــــام

لّمــــــــن تفــــــانوا وتفـــــيّض الهــــــام

عــــن علــــم يحــــسين عــــــن علـــــــم

نهـــــضة الأصـــــحاب يـــا بـــن داحـــي البـــاب

عن علم

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

دموع الأربعين

الأستاذ الشاعر حسن فليح البغدادي

الدنيه لبست ثوب الأسود والحزن

عليك يلمذبوح ما يغمض جفن

*** *** ***

رحت والوادم تودعك بالدموع

داست الخيل أعله ضدرك والضلوع

كل سنة المأتم نعيده بكل خشوع

لا تظن والله ننسه لا تظن

*** *** ***

يا شهيد الدين يا رمز الأحرار

أخذت الأمه درس من الأنصار

رمز للثوار وأصحاب القرار

وعلى فكدك بچت هالوادك مزن

*** *** ***

اليوم آخر رابع العشرة كضه

تبقى خالد بالزمن وشمامضه

وهاي الگلوب التحبك مو عضه

تبقى دكات الگلب بينه تعن

*** *** ***

لربعينك هاي الأنصار التيسر

صاحت أعله الموت وياك المصير

غدت تتسابف وحركهه الضمير

خالدين بكل عصر وبكل زمن

*** *** ***

چذب الموت بغيابك يالشفيع

يخو زينب يبو الأكبر والرضيع

كل جرح بگلوبنه دامي وسيع

غدت تتسابك على مصابك تون

*** *** ***

طوت رايات الحرب وأعلامها

او رايه الحگ خل تعود ايامها

او بالنعارك ودعت أجسامها

ظل ثلث تيام حسمه بلاد دفن

*** *** ***

أربعينك خلد الذكرى ابأثر

وانته ثار الله يا مگطوع النحر

تبقى دمعة حزن ويطول الدهر

گلوب حزنانه أو توج بهل المحن

*** *** ***

أتصيح من الهاك يا دم أمهجر

أنفجرها البركان عالشر وأنتصر

وخصمه الملعون وله وأندحر

ما يدوم الظلم من قيد وسجن

*** *** ***

الدنيه لبست ثوب الأسود والحزن

عليك يالمذبوح ما يغمض جفن

*** *** ***

أبى السبط

الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي

كـم بنعمـان قـد رأيـت نعيمـا وبـه كـم ضـممت غيـداً وريمـا
وبـه كـم شـربت خمـرة شـوق والهـوى حولنـا يهـبّ نـسيما
هـو عـذب للعاشـقين ولكـن مـن يذقـه يـذق عـذاباً أليمـا
كيـف يهـوى الهـوى فـؤادي يومـاً ولـرزء الحـسين أضـحى سـقيما
لـست أنـسى الحـسين حـين تلقّـى مـن عـداه بـالطفّ خطبـاً جـسيما
طلبـوا منـه أن يبـايع رجـساً مـن بـني حـرب فاسـقاً وزنيمـا
فـأبى الـسّبط شـاهراً لحـسام فيـه يـسقي العـدى شـراباً حميمـا
مرهـف فيـه قـد أبـاد الأعـادي وعلـى الكـافرين صـبّ الجحيمـا
مـا سـطى باسمـاً علـى الخيـل إلا تـرك الـشوس في الرّغـام رميمـا
بعـدما شـاد للهـدى مـا تـداعى ووفـى للآلـه عهـداً قـديما
خرّ قطب الـوغى علـى التّرب ظامي جـسمه بالـضّبا جريحـاً كليمـا
فبكتـه الـسّما هنـاك نجيعـاً وبهـا مـأتم العـزاء أقيمـا
وبنـات الهـدى بـرزن حيـارى تنـدب النّـدب والهمـام الكريمـا
وأمـام النـساء حلـف الرّزايـا زينـب مـن غـدت تقاسـي العظيمـا
تنـدب الـسّبط والـدّموع هـوامي ولظـى الوجـد في الفـؤاد أقيمـا
حـرّ قلـبي لقلبهـا مـذ رأتـه وبنـو الـشرك منـه حـزوا الكريمـا
يـا أخـي مـن ترى يذود الأعادي بعـدكـم مـن ترى يحامي اليتيما؟

وله أيضاً: لسان حال العباس مع الحسين (عليه السلام) لما وصل إلى مصرعه:

وشنهو يبو السجاد عذري لو لفتني سكنه وبالماي العزيزه طالبتني
أهون عليّ لو على الرمضه إتركتني ولأشوف سكنه والأطفال من الظما تلوع

وتصعب عليّ وحدتك يا خويه يحسين تبكه بعد عيني بلا ناصر ولا معين
ومن بعد عيني وعينك أشحال النساوين لو هجمت عليها يخويه ذيج الجموع

بلغ سلامي للعزيزة وكل العيال وكلهم تره راعي العلم مرمي على الرمال
مفضوخ راسه إمكَطع يمينه والشمال وعاين أسكينه واليتامه بكلب مفجوع

لحك يكافل زينب أختك يسرّوها وهجموا على أخيّمها إعداك وسلبوها
وكلما نخت بيكم يخوها يضربوها وظلت بعدكم تنتحب وإتهلّ الدموع

يصعب عليه أترك جثشكم رميه كلها بلايه روس صرعه على الوطيه
لكن عليكم كدر الباري وعليّه أمشي أسيره بين عدوان الجموع

تناديك يلّي من وطن جدي جبتني بعزّه وجلاله بكربلا شو ضيعتني
دكعد وعاين بالضرب مسود متني وأنظر عيال حسين كلها إموسّط الروع

وله أيضاً: لسان حال العقيلة زينب (ع) بعد مقتل الحسين (ع):

مـن ظـل عـالتراب حـسين وإعـداه حركـت إخيمّـه
زينـــب طلعـــت إتحـــشّم ويّـــاه الحـــرم لمّـــه

تحـــشم والكـــلب مـــالوم والعـــين بدمـــه تهمـــل
وبـــوادي الطفـــوف أطيـــح نـــوبه ونوبـــه إتهـــرول
وأطفـــال الـــشهيد تلـــوذ بيهـــا مـــن العـــدى وتعـــول
هـــذي تنـــادي يـــا بويـــه وذيـــج تنـــادي يـــا عمّـــه

هـــذي تنـــادي يـــا عمـــه وبيهـــا لايـــذه مـــن الخـــوف
وذيـج تنـادي يـا جـدي ودربـه مـن العطـش متشوف
وحـده مـن الوجـل قامـت تخـذف والوجـه مخطـوف
وأخـــرى للـــولي فـــرّت تـخبـــره وكامـــت إتحـــشّمه

فـواجـــد فـــرّت تنـــادي وحـــشاها بنـــار تتـــوجّر
يـهالـــي الـــزود جـــي ترضـــون خـــوات حـــسين تتيـــسّر
ونـمـــشي برفجـة العـدوان سـبايا علـى الهـزل بـالبر
وانتـــوا علـــى التـــرب صـــرعه مـــا بـيكم بعـــد همـــه

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

حب حسين وليل الغربه

شاعر أهل البيت الشيخ نجم كنوش

حـــب حـــسين وليـــل الغربـــه   ايهـــون ابحبـــك يـــا حـــسين
وضـــل اباحـــساس الـــشيعة   مـــن الحاجـــب اكـــرب للعـــين
ليـل الغربـه اشـطوله أو مـوحش   ابـــساعاته التنعـــد بـــسنين
بحـب احـسين ايهـون أو يحلـة   ايمـــر بينـــه وبينـــه متونـــسين
اشـكد رادونـه انـزل عـن دربـك   وحنـــه ابـــدربك متمـــسكين
ايـضل حبـك يـسري ويدمانـه   ويكـــبر ويانـــه بكـــل حـــين
وهـذا الحب جاي من أوصافك   وأوصـافك تحجـي انتـه مـنين
انتـه ابـن الـصديقه الكـبرى   وابـــن الـــصلاة ابمحـــرابين
حيـــدر رد الـــشمس ابجفـــه   ابـــاذن الله اكثـــر مـــن مـــرتين
يـا حـسين ومـن اختـك زينـب   أيـــوب اتعلـــم درســـين
الأول صـــبره علـــى البلـــوه   ضـــل معلـــول ايـــوب اسـنين
وصـــبره الثـــاني ثبـات الموقـف   ومـــن زينـــب هـــاي الـــصبرين
ايـــضل حبـــك محـــراب النـــه   وبهـــل محـــراب امـــصلين
وانتـــه اضـــل كعبـــه عـــشاكك   ونطوفـــك ســـبعه وســـبعين
وبيـــوم الطـــف يـــابو اليمـــه   تـــشهدلك خلـــق الـــثقلين
شـــيدت الـــدين ابـــدم نحـــرك   وهـــدمت اعـــروش الطـــاغين
ابكـــل اشـــكال الحـــب انحبـــك   ونرضـــه ايـــسمونه المجـــانين
وحنـــه اليـــوم الحـــشر الأكـــبر   انـــضل انـــصيح اه يـــا حـــسين
وحنـــه اليـــوم الحـــشر الأكـــبر   انـــضل انـــصيح اه يـــا حـــسين

قصيدة لطم لليوم العاشر

السيد محمد صادق الموسوي

قـد هـوى روح الـيقين في العـراء   يا حسين السبط يا غيث السماء

هـاتف المجـد العظـيم قـد أشـاد   بأبيـــه قبلـــة تهـــدي العبـــاد
بـــأبيّ الـــضّيم منهـــاج الرشـــاد   قـــد أبـــى ذلّ العبيـــد والإمـــاء

كيف يهوي المجد في أيدي الظلال   ويطـاع الـذلّ مـذموم الخـلال
فيـه يطفـا للهـدى سـدّ الجـلال   إنـــه كفـــرٌ وصـــدٌ واعتـــداء

هـل وعـى لـب الأنـاس المصاب   جـلّ في سـبع طبـاق وكتـاب
عـن أنـاس تـدّعي فهـم الجـواب   أيـن مـنهم قـول طـه والـسماء

ذا ســؤال راود النــاس الكــرام   واللئـام استغـشوا الـذنب المـلام
جـــرمهم هـــذا جلـــي لا كـــلام   إن وعوهـا أم عمـو عـن ذا النـداء

والوحـوش صـرت فيهـا باكيـات   وكــذا شــأن الريــاح الــذاريات

أي جـسم وقعـت حتـى الـسباع   عنـــدها ذلاً ولاهـــا المطـــاع
وكــذا الحيتــان في كــل البقــاع   نـزف الـترب دمـاً فيهـا أضـاء

مـن أعاجيـب الزمـان المـذهلات   أن جـسماً قـد تلقـت كالكمـات
زاكيـاً سـالت دمـاه الزاكيـات   كيـف يلقـى مـصرع تلـك الـدماء

ذكرى عاشوراء

الأستاذ عبد النبي بزي

أشـــرق الحـــق بنـــور الـــشهداء وانجلـــى الظلـــم بآيـــات الفـــداء

فانـــصر الحـــق مـــن أهلـــه لم يقـــم بالـــدّمع ديـــن الحنفـــاء

لم يقـــم إلا بهـــدي وتقـــى وبإيمـــان وعـــزم ومـــضاء

لم يقـــم حـــق بـــلا بـــأس ولا يـــدحر الباطـــل ذلّ الـــضعفاء

عـــد إلى التـــاريخ واقـــرأ سـفره تجـــد الحـــقّ خـــضيباً بالـــدّماء

قتـــل الأحـــراء في ســـوح الـــوغى وبـــسيف الظّلـــم مـــات الأنبيـــاء

ثـــم لمـــا بعـــث الله الهـــدى رحمـــة منـــه لقـــوم جهـــلاء

ومـــضى أحمـــد في دعوتـــه ينـــذر النّـــاس برفـــق وإخـــاء

قـــال: يـــا قـــومي اعبـــدوا الله ولا تعبـــدوا الأصـــنام جهـــلاً وغبـــاء

إنمـــا الله إلـــه واحـــد لـــيس في الملـــك لـــه مـــن شـــركاء

رفـــض الكفـــار آيـــات الهـــدى وأبـــا الـــشرك تعـــاليم الـــسماء

رفـــضوا هـــدي الـــنبي المـــصطفى وأذاقـــوه عـــذاباً وبـــلاء

أســـرفوا في الظّلـــم حتـــى لم يعـــد لـــسوى الـــسيف مقـــال أو نـــداء

نطـــق الـــسيف الـــردى فانتـــصرت ملـــة الحـــق وفـــاز الحنفـــاء

واســـأل التـــاريخ عـــن ملحمـــة خطهـــا الـــسبط بـــسيف الكبريـــاء

إن عاشـــوراء في مأســـاتها عـــضة الـــدهر إلى يـــوم الفنـــاء

مـــرة في كـــل عـــام نلتقـــي نـــشبع الـــذكرى نحيبـــاً وبكـــاء

أنـــا لا أنكـــر دمعـــاً لـــو همـــى مـــن عميـــق الحـــزن حبـــاً ووفـــاء

إنمـــــا أنكـــــر أن تبعــــــدنا أدمـع الأحـزان عـن معنـى الفـداء

فـــإذا كنـــت حـــسيني الهـــوى فاجعــل الأفعــال عنــوان الــولاء

سـر علـى نهـج الحـسين بـن علـي تــرجم الحــزن جهــاداً وعطــاء

واغـسل الـنفس علـى طهـر الأسـى فالأســى يجلــو قلــوب الأتقيــاء

دمعـــــة تـــــذرفها منتـــــصراً هـــي عـــز وشمـــوخ وإبـــاء

ســر مــع الحــق بــسيف مــؤمن لا تنـــاد الظـــالمين الأشـــقياء

إن في آذانهـــــم وقـــــراً فلــــن تــسمع الــصم مقــالاً أو دعــاء

لـــو يكـــن للـــصخر آذان تعـــي لوعـــت مـــا حدثتـــه كـــربلاء

لوعـــــت أن حـــــسيناً ثـــــورة تــرفض الظلــم وتحمــي البؤســاء

ثـــورة الحـــق بميـــزان الهـــدى ثـــورة العـــدل بميـــزان الـــسماء

جـــلّ مـــن أبـــدع نفـــساً حـــرة جمعــت فيهــا صــفات الأنبيــاء

فحـــــسين محـــــض إنـــــسانية تتـــــسامى بـــــصفاء وســـــناء

وحـــــسين للهـــــدى مدرســـــة تنـسخ الجهـل وتـستجلي الـضياء

والحــسين الــسبط عنــوان التقــى ومثـــال الـــصبر في وقـــت الـــبلاء

وهـــو للأحـــرار نهـــج خالـــد وهـــو للحريـــة المثلـــى لـــواء

قلبـــه للحـــب نبـــع طـــاهر صـــدره للعلـــم والحلـــم فـــضاء

كفـــه كـــف علـــي بوركـــت جمــع البــأس إليهــا والــسخاء

وحـــسين بـــضعة مـــن جـــده خُلقـــاً خلقـــاً ونـــوراً وبهـــاء

كيـــف تلقـــى الله في ميعـــاده أمــة قــد ســفكت أزكــى دمــاء

أمـــة بالـــدين نالـــت مجـــدها وحباهـــا الله عـــزاً وعـــلاء

برســـول الله بـــالنور الـــذي خـــتم الـــوحي بـــه والأنبيـــاء

بعلـــــي بالوصـــــي المرتـــــضى علـــم التقـــوى إمـــام البلغـــاء
وبـــسبطي الرســـول المـــصطفى ومـــصابيح الهـــدى والأوصـــياء
أمـــة بعـــد هـــداها ردهـــا لهواهـــا آل حـــرب الأدعيـــاء
غـــدرت أحمـــد في عترتـــه قتلـــت ســـبطيه ظلمـــاً وافـــتراء
غـــدرت حيـــدر في محرابـــه غـــدرت بـــالله في أهـــل الكـــساء
نحـــرت طفـــلاً رضـــيعاً صـــادياً وســـبت خـــيرة أشـــراف النـــساء
ســـيدي يـــا بـــن علـــي لم تـــزل أمـــة خانتـــك تحيـــا في شـــقاء
أمـــة مهزومـــة مخذولـــة تمـــلأ الـــشرق نفاقـــاً وريـــاء
أمـــة تغـــرق في أحقادهـــا يعبـــث الغـــرب بهـــا والغربـــاء
تتولاهـــا زعامـــات هـــوى وطواغيـــت عطاشـــى للـــدماء
وتـــرى في كـــل وحـــش حـــاكم صـــورة تحكـــي يزيـــد الطلقـــاء
وعلـــى شـــيعتكم يـــا ســـيدي كـــل أرض في بـــلادي كـــربلاء
يـــا بـــن خـــير النـــاس أمـــاً وأبـــاً بعـــد خـــير الخلـــق خـــير الأنبيـــاء
يـــا شـــهيداً يـــنحني المجـــد لـــه في خـــشوع يـــا إمـــام العظمـــاء
أنـــت يـــا أنـــشودة الحـــق علـــى شـــفة الـــدهر خلـــوداً وبقـــاء
أنـــت آفـــاق معـــان قدســـت يعجـــز الـــشعر بهـــا والـــشعراء
لـــست في مـــدحك كفـــؤاً ســـيدي وعلـــى جـــودك لا يقـــوى ثنـــاء
إنـــه حـــب بـــه يجـــري دمـــي وهـــو للقلـــب حيـــاة وغـــذاء

كندا، في ١٩٩٢م



مصادر الكتاب

١. الأئمة الإثني عشر عليهم السلام: الشيخ جعفر السبحاني (معاصر).

٢. أبناء الرسول في كربلاء: خالد محمد خالد (معاصر)، الطبعة الخامسة، شعبان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٣. اثنا عشر رسالة: المحقق الداماد (المتوفى: ١٠٤١هـ)، طبعة حجرية عنى بطبعه ونشره ونفقته السيد جمال الدين الميردامادي، بخط أحمد النجفي الزنجاني (١ ـ ٨ ج).

٤. الآحاد والمثاني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (٢٠٦ ـ ٢٨٧هـ)، تحقيق: الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الراية، الرياض (١ ـ ٦ ج).

٥. أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري (معاصر)، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مطبعة صدر، التوحيد للنشر، قم (١ ـ ٢ ج).

٦. الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، تعليقات: محمد باقر الموسوي، ١٤٠٣هـ، نشر المرتضى، مطبعة سعيد، مشهد، إيران.

٧. الاحتجاج: أحمد بن علي الطبرسي (المتوفى: ٥٦٠هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، بيروت، (١ ـ ٢ ج).

٨. الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن محمد ابن حزم الظاهري (٣٨٣ ـ ٤٥٦هـ)، مطبعة العاصمة، القاهرة، الناشر: زكريا علي يوسف (١ ـ ٨ ج).

٩. الأحكام في الحلال والحرام: يحيى بن الحسين بن قاسم (المتوفى: ٢٩٨هـ)، (١ـ٢ج).

١٠. الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، مطبعة مهر، نشر: أنوار الهدى، إيران.

١١. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: السيد محمد مهدي الصدر (المتوفى: ١٣٥٨هـ).

١٢. الأذكار النووية: يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٣. الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام: الشيخ محمد طاهر القمي الشيرازي (المتوفى: ١٠٩٨هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، مطبعة الأمير، قم.

١٤. الأربعين: الشيخ الماحوزي (المتوفى: ١١٢١هـ)، تحقيق: السيد مهدي رجائي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مطبعة أمير.

١٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ تفسير أبي السعود: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (المتوفى: ٩٥١هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت (١ ـ ٩ ج).

١٦. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، (١ ـ ٢ ج)، دار المفيد.

١٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدِّين الألباني (معاصر)، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان (١ ـ ٨ ج).

١٨. أسباب نزول الآيات: الواحدي النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ)، طبع ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

١٩. الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار: العلاّمة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض (معاصران)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٨ ج).

٢٠. الاستيعاب في أسماء الأصحاب: العلاّمة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٢، نشر: دار الجيل، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٢١. أُسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (١ ـ ٥ ج).

٢٢. الأسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي (معاصر)، تحقيق وتقديم: السيد عادل العلوي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، مطبعة أمير، قم، الناشر: مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة 7 للطباعة والنشر، رابطة الصداقة الإسلامية.

٢٣. الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان (معاصر)، تحقيق ومراجعة: الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، تعريب: ظفر الإسلام خان.

٢٤. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٨ ج).

٢٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، طبع ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (١ ـ ٣ ج).

٢٦. إعلام الورى بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مطبعة ستارة، قم (١ ـ ٢ ج).

٢٧. الأعلام من الصحابة والتابعين: الحاج حسين الشاكري (معاصر)، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، مطبعة ستارة، قم. (١ ـ ١٢ ج).

٢٨. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان (١ ـ ١٠ ج).

٢٩. اغتيال أبي بكر: الشيخ نجاح الطائي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، لندن.

٣٠. الإكمال في أسماء الرجال: الخطيب التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.

٣١. أمالي المحاملي: رواية ابن يحيى البيع: الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي أبو عبد الله (٢٣٥ـ٣٣٠هـ)، المحقق: الدكتور إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، نشر: المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم، عمان، الأردن.

٣٢. الأمالي: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣١٨هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٣. الإمام جعفر الصادق عليه السلام: عبد الحليم الجندي (معاصر)، طبعة ١٣٩٧هـ، القاهرة.

٣٤. الإمام علي عليه السلام: أحمد الرحماني الهمداني (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، المنير للطباعة والنشر، طهران.

٣٥. الإمامة والتبصرة من الحيرة: ابن بابويه القمي (المتوفى: ٣٢٩هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.

٣٦. الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء): أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ)، تحقيق: الأستاذ علي شيري، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة (١ ـ ٢ ج).

٣٧. إمتاع الأسماع: المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٣٨. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، (١ ـ ٢٠ ج).

٣٩. أنساب الأشراف: النسّابة والمؤرخ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٤٠. أنصار الحسين عليه السلام: الشيخ محمد مهدي شمس الدين (معاصر)، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، الدار الإسلامية، بيروت.

٤١. الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية: الشيخ عباس القمي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، قم.

٤٢. الأنوار العلوية: الشيخ جعفر النقدي (المتوفى: ١٣٧٠هـ)، الطبعة الثانية، ١٣٨١هـ، المطبعة الحيدرية، النجف.

٤٣. أهل البيت في الكتاب المقدس: محمد الريشهري (معاصر)، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ ش، دار الحديث، قم.

٤٤. الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (المتوفى: ٢٦٠هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

٤٥. الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: محمد بن الحسين الحر العاملي (المتوفى: ١١٠٤هـ)، تصحيح: هاشم الرسولي، دار الكتب العلمية، قم.

٤٦. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (المتوفى: ١١١١هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، (١ ـ ١١٠ ج).

٤٧. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ، طبع دار المعرفة.

٤٨. البداية والنهاية: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١ ـ ١٤ ج).

٤٩. بشارة المصطفى: محمد ابن أبي القاسم الطبري (المتوفى: ٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٥٠. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد: ابن جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (المتوفى: ٢٩٠هـ)، تحقيق: ميرزا محسن كوجه باغي، ١٤٠٤هـ، مطبعة الأحمدي، مؤسسة الأعلمي، طهران، إيران.

٥١. بلاغات النساء: ابن طيفور (المتوفى: ٣٨٠هـ)، مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

٥٢. بنور فاطمة اهتديت: عبد المنعم حسن (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار المعروف، بيروت، لبنان.

٥٣. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، نشر: مكتبة الحياة، بيروت (١ ـ ١٠ ج).

٥٤. تاج المواليد (المجموعة): الشيخ الطبرسي (المتوفى: ٥٤٨هـ)، طبعة ١٤٠٦هـ، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، الطبعة الحجرية، باهتمام السيد محمود المرعشي.

٥٥. تاريخ ابن خلدون: العلامة ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ)، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١ ـ ٨ ج).

٥٦. تاريخ الإسلام: الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت.

٥٧. تاريخ الطبري ـ تاريخ الأُمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان (١ ـ ٨ ج).

٥٨. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (المتوفى: ٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت (١ ـ ٢ ج).

٥٩. تاريخ بغداد أو مدينة السلام: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، (١ ـ ١٤ ج)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٠. تاريخ دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها: الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، المعروف بابن العساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ)، المحقق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، نشر: دار الفكر، بيروت (١ ـ ٧٠ ج).

٦١. تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م، نشر: دار الجيل، بيروت.

٦٢. تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: ابن شعبة الحراني (المتوفى: القرن ٤)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، ١٣٦٣هـ/١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم.

٦٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (١٢٨٣ ـ ١٣٥٣هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ١٠ ج).

٦٤. تخريج الأحاديث والآثار: الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، الرياض، دار ابن خزيمة.

٦٥. تدوين القرآن: الشيخ علي الكوراني العاملي (معاصر)، الطبعة الأولى، دار القرآن، قم.

٦٦. تذكرة الحفّاظ: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدّمشقي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الطبعة السّابعة، الناشر: محمد أمين دمج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٧. تفسير ابن عربي: ابن العربي (المتوفى: ٦٣٨هـ)، ضبطه وصححه وقدم له: الشيخ عبد الوارث محمد علي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١ ـ ٢ ج).

٦٨. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ١٤١٢هـ، دار المعرفة، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٦٩. تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي، والدكتور أحمد النجولي الجمل، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٠. تفسير البغوي: البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٧١. تفسير الثّعلبي: الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

٧٢. تفسير السمعاني: السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض، السعودية (١ ـ ٦ ج).

٧٣. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (١ ـ ٢٠ ج).

٧٤. التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٥. تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (المتوفى: ١١١٢هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ، مؤسسة إسماعيليان، قم (١ ـ ٥ ج).

٧٦. تقريب المعارف: أبو الصلاح الحلبي (المتوفى: ٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون، ١٤١٧هـ/١٣٧٥هـ ش، الناشر: المحقق.

٧٧. تمام المنّة في التعليق على فقه السنة: محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٠٨هـ، المكتبة الإسلامية، دار الراية، الرياض.

٧٨. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد خير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٧٩. التمهيد لما في المؤطا من المعاني والأسانيد: العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ١٣٨٧هـ، دار الحديث الحسنية.

٨٠. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، تصحيح: الشيخ محمد الآخوندي، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤هـ ش، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، طهران (١ ـ ١٠ ج).

٨١. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، نشر: دار الفكر، بيروت (١ ـ ١٤ ج).

٨٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ جمال الدّين أبي الحجّاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف المزّي الدّمشقي الشّافعي (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: بشّار عواد معروف، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، مؤسّسة الرّسالة (١ ـ ٣٥ ج).

٨٣. الثّاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي (المتوفى: ٥٦٠هـ)، تحقيق: الأستاذ نبيل رضا علوان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، مطبعة الصدر، قم المقدسة، مؤسسة أنصاريان، قم.

٨٤. الثّقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: السيد شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، نشر: دار الفكر (١ ـ ٩ ج).

٨٥. الثّمر الدّاني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: صالح عبد السميع الآبي الأزهري (المتوفى: ١٣٣٠هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت.

٨٦. جامع أحاديث الشيعة: السيد محمد حسين البروجردي (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، جمعه: الشيخ إسماعيل المُعزّي الملايري، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، قم (١ ـ ٢٤ ج).

٨٧. الجامع الصغير في أحاديث البشير النّذير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت (١ ـ ٢ ج).

٨٨. جامع بيان العلم وفضله: العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار ابن الجوزي.

٨٩. جزء علي بن محمد الحميري: علي بن محمد الحميري (٢٣١ ـ ٣٢٣هـ)، المحقق: أبو طاهر زبير بن مجدد عليزئي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، نشر: دار الطحاوي، حديث أكادمي، الرياض، فيصل آباد.

٩٠. الجمل: الشيخ المفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، مكتبة الداوري، قم، إيران.

٩١. الجمل: ضامن بن شدقم المدني (المتوفى: ١٠٨٢هـ)، تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٩٢. جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني العاملي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، مطبعة شريعت، قم، دار الهدى للطباعة والنشر، قم (١ ـ ٣ ج).

٩٣. جواهر الكلام: الشيخ الجواهري (المتوفى: ١٢٦٦هـ)، تحقيق: الشيخ رضا الأستادي، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ، المكتبة الإسلامية، قم (١ ـ ٤٣ ج).

٩٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي ابن أبي طالب عليه السلام: شمس الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي الباعوني الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ)، تحقيق: العلامة الخبير الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، إيران (١ ـ ٢ ج).

٩٥. حاشية الدسوقي على مغني اللبيب: العلامة مصطفى محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، مكتبة ومطبعة المشهد الحسين، القاهرة.

٩٦. حاشية ردّ المحتار على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان: محمد أمين الشهير بابن عابدين (المتوفى: ١٢٣٢هـ)، طبعة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت (١ ـ ٦ ج).

٩٧. الحدائق النّاضرة: المحقق البحراني (المتوفى: ١١٨٦هـ)، تحقيق: محمد تقي الإيراني، جماعة المدرسين، قم (١ ـ ٢٥ ج).

٩٨. الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام: الشيخ علي الكوراني العاملي (معاصر)، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت.

٩٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت (١ ـ ١٠ ج).

١٠٠. حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف (١ ـ ٢ ج).

١٠١. حياة الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر)، منشورات سعيد بن جبير (١ ـ ٢ ج).

١٠٢. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة (١ ـ ٣ ج).

١٠٣. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠٤. الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجوري (المتوفى: ١٢٥٥هـ)، تحقيق وترجمة: السيد علي جمال أشرف، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ ش، مطبعة شريعت، انتشارات الشريف الرضي، قم (١ ـ ٢ ج).

١٠٥. خصائص أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ)، المحقق: أحمد ميرين البلوشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، نشر: مكتبة المعلا، الكويت.

١٠٦. الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: أحمد حسين يعقوب (معاصر)، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، دار الفجر، لندن.

١٠٧. الخلاف: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد علي الخراساني، السيد جواد الشهرستاني، الشيخ محمد مهدي نجف، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة (١ ـ ٦ ج).

١٠٨. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدِّين عبد الرّحمن ابن أبي بكر السّيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (١ ـ ٦ ج).

١٠٩. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: السيد علي خان المدني (المتوفى: ١١٢٠هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٣٩٧هـ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

١١٠. درر الأخبار: حجازي، خسرو شاهي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، مطبعة نمونه، الناشر: دفتر مطالعات تاريخ ومعارف إسلامي.

١١١. درر السمط في خبر السبط: ابن الآبار (المتوفى: ٦٥٨هـ)، تحقيق: عز الدين عمر موسى، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الغرب الإسلامي.

١١٢. دستور معالم الحكم: ابن سلامة (المتوفى: ٤٥٤هـ)، مكتبة المفيد، قم.

١١٣. دلائل الإمامة: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (الشيعي) (المتوفى: أوائل القرن ٤هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١١٤. الدّيباج على صحيح مسلم: عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ)، المحقق: أبو إسحاق الحويني الأثري، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، نشر: دار ابن عفان، الخبر، السعودية (١ ـ ٥ ج).

١١٥. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: أبو العباس محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر بن محمد الطبري (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ)، طبعة ١٣٥٦هـ، نشر: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة.

١١٦. ذكر أخبار أصبهان: الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، الدار العلمية، الهند.

١١٧. ذوب النضّار: ابن نما الحلي (المتوفى: ٦٤٥هـ)، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة.

١١٨. ذيل تاريخ بغداد: ابن النجار، تصحيح: قيصر فرح، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٩. الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر: خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال (٤٩٤ ـ ٥٧٨هـ)، المحقق: عبد القادر محمد عطا صوفي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، نشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

١٢٠. رجال تركوا بصمات على قسمات التّاريخ: السيد لطيف القزويني (معاصر).

١٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١ ـ ٣٠ ج).

١٢٢. روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٨ ج).

١٢٣. الروضة المختارة (شرح القصائد الهاشميات): كميت بن زيد الأسدي (المتوفى: ١٢٦هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٢٤. روضة الواعظين: محمد ابن الفتال النيسابوري (المتوفى: ٥٠٨هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم، إيران.

١٢٥. رياض الصالحين من كتاب سيد المرسلين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

١٢٦. سبل السلام شرح بلوغ المرام: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني اليمني، تحقيق: فواز أحمد زمزلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربي.

١٢٧. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٨. سر السلسلة العلوية: أبي نصر البخاري (المتوفى: ٣٤١هـ)، تقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٣٧١هـ ش، انتشارات الشريف الرضي، أوفست عن طبعة منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

١٢٩. السرائر: ابن إدريس الحلي (المتوفى: ٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ (١ ـ ٣ ج).

١٣٠. السنة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت (١ ـ ٢ ج).

١٣١. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت (١ ـ ٢ج)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٣٢. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار الفكر، بيروت (١ ـ ٤ ج).

١٣٣. سنن الترمذي: الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٣٤. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت (١ ـ ١٠ ج).

١٣٥. السنن الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٦ ج).

١٣٦. السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: محمد بيومي (معاصر)، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/١٣٧٦هـ ش، مطبعة سفير أصفهان.

١٣٧. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت (١ ـ ٢٣ ج).

١٣٨. سيرة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام: السيد هاشم معروف الحسيني (معاصر).

١٣٩. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون: علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ ـ ١٠٤٤هـ)، طبعة ١٤٠٠هـ، نشر: دار المعرفة، بيروت (١ ـ ٣ ج).

١٤٠. الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى (المتوفى: ٤٣٦هـ)، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، مطبعة مؤسسة إسماعيليان، قم.

١٤١. شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري (المتوفى: ١٣٦٩هـ)، الطبعة الخامسة، محرم الحرام ١٣٨٥هـ، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.

١٤٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، نشر دار التراث، دار مصر للطباعة، القاهرة.

١٤٣. شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي (المتوفى: ١٤١١هـ)، تحقيق وتعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران.

١٤٤. شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني (المتوفى: ١٠٨١هـ)، (١ ـ ١٢ ج).

١٤٥. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: النعمان بن محمد التميمي المغربي (المتوفى: ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة (١ ـ ٣ ج).

١٤٦. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي الدمشقي، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

١٤٧. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامه (المتوفى: ٦٨٢هـ)، بعناية جماعة من العلماء، طبعة جديدة بالأوفست، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٤٨. شرح المقاصد: العلامة سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت.

١٤٩. شرح صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥٠. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، دار إحياء الكتب العربية (١ ـ ٢٠ ج).

١٥١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام: عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني (المتوفى: القرن ٥هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية (١ ـ ٢ ج).

١٥٢. شيخ المضيرة أبو هريرة: الشيخ محمود أبو رية (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الطبعة الثالثة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٥٣. الشيعة هم أهل السنة: الدكتور محمد التيجاني (معاصر)، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، إيران.

١٥٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت (١ ـ ١٨ ج).

١٥٥. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، (١ ـ ٨ ج).

١٥٦. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت (١ ـ ٨ ج).

١٥٧. صحيفة همام بن منبه: همام بن منبه (المتوفى: ١٣٢هـ)، تحقيق: الدكتور رفعت فوزي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٥٨. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: علي بن يونس العاملي (المتوفى: ٨٧٧هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، المطبعة الحيدرية، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية (١ ـ ٣ ج).

١٥٩. صلح الحسن: السيد شرف الدين (معاصر).

١٦٠. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري (٢٧٤ ـ ٣٦٩هـ)، المحقق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت (١ ـ ٤ ج).

١٦١. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: السيد ابن طاووس (المتوفى: ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، مطبعة الخيام، قم المقدسة.

١٦٢. العثمانية: الجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، مصر، مكتبة الجاحظ.

١٦٣. علل الشرائع: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، المطبعة الحيدرية في النجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م (١ ـ ٢ ج).

١٦٤. علل الشرائع: الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ.

١٦٥. العلل الواردة في الأحاديث النبوية: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي (٣٠٦ ـ ٣٨٥هـ)، المحقق: الدكتور محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، نشر: دار طيبة، الرياض (١ ـ ٩ ج).

١٦٦. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ابن عنبة (المتوفى: ٨٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، المطبعة الحيدرية في النجف.

١٦٧. عمدة القاري شرح البخاري: الإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١ ـ ٧ ج).

١٦٨. العمدة: ابن البطريق الأسدي الحلي (المتوفى: ٦٠٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، جامعة المدرسين، قم.

١٦٩. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحراني (المتوفى: ١١٣٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٠٧هـ/١٣٦٥هـ ش، مطبعة أمير، قم، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدسة، إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني.

١٧٠. عون المعبود بشرح سنن أبي داود: العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ١٤ ج).

١٧١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١ ـ ٢ ج).

١٧٢. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس (المتوفى: ٧٣٤هـ)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (١ ـ ٢ ج).

١٧٣. الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (المتوفى: ٣٨٣هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن، (١ ـ ٢ ج).

١٧٤. الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، طبعة ١٣٧٩هـ، دار الكتاب العربي، بيروت (١ ـ ١٢ ج).

١٧٥. الغيبة: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

١٧٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ (١ ـ ١٣ ج).

١٧٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت (١ ـ ٥ ج).

١٧٨. فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام: أحمد بن الصديق المغربي (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة أمير المؤمنين، أصفهان.

١٧٩. الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي الأسدي (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تحقيق: أحمد راتب عرموش، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ، دار النفائس، بيروت.

١٨٠. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ (المتوفى: ٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريري، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، مطبعة سرور، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.

١٨١. فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١هـ)، تحقيق: الدكتور وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت (١ ـ ٢ ج).

١٨٢. فضائل الصحابة: أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٣. فضل آل البيت عليهم السلام: المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور.

١٨٤. فقه الرضا عليه السلام: علي بن بابويه (المتوفى: ٣٢٩هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام.

١٨٥. فقه السنة: الشيخ السيد سابق (معاصر)، دار الكتاب العربي، بيروت (١ ـ ٣ ج).

١٨٦. فوائد العراقيين: محمد بن علي بن عمرو النقاش أبو سعيد (المتوفى: ٤١٤هـ)، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، نشر: مكتبة القرآن، القاهرة.

١٨٧. الفوائد المنتقاة: محمد بن علي الصوري (المتوفى: ٤٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: محمد عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٣٣١هـ)، تحقيق: أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٦ ج).

١٨٩. قاموس الرجال: الشيخ محمد تقي التستري (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٩٠. الكافي: الشيخ الكليني (المتوفى: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ، مطبعة الحيدري، دار الكتب الإسلامية، آخوندي (١ ـ ٨ ج).

١٩١. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه (المتوفى: ٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد الفيومي، لجنة التحقيق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١٩٢. الكامل في التاريخ: ابن الأثير علي بن أبي الكرم (المتوفى: ٦٣٠هـ)، طبع: ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت (١ ـ ١٢ ج).

١٩٣. الكامل: عبد الله بن عدي (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكّار، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ه، دار الفكر، بيروت (١ ـ ٧ ج).

١٩٤. كتاب الأم: الإمام الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ) الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١ ـ ٨ ج).

١٩٥. كتاب الفتوح: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، مجلس إدارة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، بإشراف محمد عبدالمعين خان الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

١٩٦. كتاب المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، دار الجيل، بيروت.

١٩٧. كتاب سليم بن قيس الهلالي: منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

١٩٨. كربلاء، الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٩٩. كشاف القناع: البهوتي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، تقديم: كمال عبد العظيم العناني، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٠٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، طبعة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، دار المعرفة، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٢٠١. الكشف الحثيث عمّن رمي بوضع الحديث: إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي أبو الوفا الحلبي الطرابلسي (٧٥٣ ـ ٨٤١ هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

٢٠٢. كشف الخفاء ومزيل اللباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى:١١٦٢هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٢ ج).

٢٠٣. كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام: علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (المتوفى: ٦٩٣هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، دار الأضواء، بيروت (١ ـ ٣ ج).

٢٠٤. كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر: أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي (المتوفى: ٤٠٠ هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، طبعة ١٤٠١هـ، مطبعة الخيام، قم.

٢٠٥. كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبعة ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٢٠٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الدين المشهور بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١ ـ ١٦ ج).
٢٠٧. لسان العرب: الإمام العلامة ابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري (٦٣٠ ـ ٧١١هـ)، الطبعة الأولى، نشر: دار صادر، بيروت (١ ـ ١٥ ج).
٢٠٨. اللمعة البيضاء: التبريزي الأنصاري (المتوفى: ١٣١٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي، قم.
٢٠٩. اللهوف في قتلى الطفوف: ابن طاووس علي بن موسى بن طاووس الحسيني (المتوفى: ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، طبع في مطابع مهر، قم.
٢١٠. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين (المتوفى: ١٣٧١هـ)، طبعة ١٣٣١هـ، مطبعة العرفان، صيدا، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي، قم.
٢١١. ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، مطبعة بهمن، قم.
٢١٢. ما روي في الحوض والكوثر: بقي بن مخلد القرطبي (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر محمد عطا صوفي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٢١٣. المبسوط: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد تقي الكشفي، ١٣٨٧هـ، المطبعة الحيدرية، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية (١ ـ ٨ ج).
٢١٤. مثير الأحزان: ابن نما الحلي (المتوفى: ٦٤٥هـ)، طبعة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، الناشر: المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
٢١٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدِّين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، طبعة ١٤٠٧ و طبعة ١٤٠٨هـ، نشر: دار الريّان للتراث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١ ـ ١٠ ج).
٢١٦. مجمع الفائدة والبرهان: المحقق الأردبيلي (المتوفى: ٩٩٣هـ)، تحقيق: اشتهاردي، وعراقي، ويزدي، جامعة المدرسين، طبعة ١٤٠٣هـ، قم (١ ـ ١٤ ج).
٢١٧. مجمع الفائدة والبرهان: المحقق الأردبيلي (المتوفى: ٩٩٣هـ)، تحقيق: اشتهاردي، وعراقي، ويزدي، طبعة ١٤٠٣هـ، جامعة المدرسين، قم (١ ـ ١٤ ج).
٢١٨. المجموع شرح المهذَّب: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، بهامشه «فتح العزيز شرح الوجيز» لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرّافعي، و«تلخيص الحبير» لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.

٢١٩. المحتضر: حسن بن سليمان الحلي (المتوفى: ق ٨هـ)، تحقيق: سيد علي أشرف، ١٤٢٤هـ/١٣٨٢ هـ ش، مطبعة شريعت، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم.

٢٢٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي عبد الحق بن غالب (المتوفى: ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٢١. المحصول في علم أصول الفقه: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت (١ ـ ٦ ج).

٢٢٢. المحلى: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (٣٨٣ ـ ٤٥٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الفكر، بيروت (١ ـ ١١ ج).

٢٢٣. مختصر المزني: (في آخر كتاب الأم للشافعي، ومعه اختلاف الحديث، وكتب أخرى للشافعي)، تصحيح: محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت.

٢٢٤. مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني (المتوفى: ١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ عزّة الله المولائي الهمداني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مطبعة بهمن، مؤسسة المعارف الإسلامية (١ ـ ٨ ج).

٢٢٥. المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: حسين الراضي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، الجمعية الإسلامية.

٢٢٦. المزار: الشيخ المفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، مطبعة مهر.

٢٢٧. مسائل النّاصريات: الشريف المرتضى (المتوفى: ٤٣٦هـ)، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، ١٤١٧هـ، رابطة الثّقافة والعلاقات الإسلامية، طهران.

٢٢٨. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: المحقق النوري الطبرسي (المتوفى: ١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، قم (١ ـ ١٨ ج).

٢٢٩. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشّاهرودي (المتوفى: ١٤٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، ١٤١٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المشرفة (١ ـ ١٠ ج).

٢٣٠. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٢٣١. مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (المتوفى: ١٤٠٥هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، شفق، طهران (١ ـ ٨ ج).

٢٣٢. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي (المتوفى: أوائل القرن ٤)، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، مطبعة سلمان الفارسي، قم، الطبعة الأولى، مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم.

٢٣٣. مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي (١٣٤ ـ ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، مؤسسة نادر، بيروت.

٢٣٤. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت.

٢٣٥. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (٢١٠ ـ ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، نشر: دار المأمون للتراث، دمشق (١ ـ ١٣ ج).

٢٣٦. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت (١ ـ ٦ ج).

٢٣٧. مسند إسحاق بن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي (١٦١ ـ ٢٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة (١ ـ ٣ ج).

٢٣٨. مسند الإمام الرضا عليه السلام: عزيز الله العطاردي (معاصر)، طبعة ١٤٠٦هـ، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة طبع ونشر آستان القدس الرضوي (١ ـ ٢ ج).

٢٣٩. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي (المتوفى: ٢١٩هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة ١٣٨١هـ، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١ ـ ٢ ج).

٢٤٠. مسند زيد بن علي: زيد بن علي (المتوفى: ١١٢هـ)، تحقيق: أحد علماء الزيديين، دار الحياة، بيروت.

٢٤١. مسند سعد بن أبي وقاص: أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي أبو عبد الله (١٦٨ ـ ٢٤٦هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٢٤٢. المصباح ـ الجنة الواقية: الكفعمي إبراهيم بن علي العاملي (المتوفى: القرن: ٩هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٤٣. المصنف في الأحاديث والآثار: الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (١ ـ ٨ ج).

٢٤٤. المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ ـ ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، المكتب الإسلامي، بيروت (١ ـ ١١ ج).

٢٤٥. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام: محمد بن طلحة الشافعي (المتوفى: ٦٥٢هـ)، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية.

٢٤٦. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول ﷺ: الزرندي الشّافعي (المتوفى: ٧٥٠هـ)، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.

٢٤٧. معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، و مروان سوار، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار المعرفة، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٢٤٨. معالم الفتن: سعيد أيوب (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، سبهر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، انتشارات سعيد بن جبير، قم المقدسة (١ ـ ٢ ج).

٢٤٩. معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري (معاصر)، طبعة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (١ ـ ٣ ج)، مؤسسة النعمان، بيروت.

٢٥٠. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبعة ١٣٦١هـ ش، انتشارات الرضي، قم.

٢٥١. معاني القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، مطبوعات معهد البحوث العلمية ومركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٢٥٢. المعجم الأوسط: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة ١٤٠٥هـ/١٩٩٥م، من منشورات دار الحرمين، بالقاهرة (١ ـ ٩ ج).

٢٥٣. المعجم الصغير (الروض الداني): سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان (١ ـ ٢ ج).

٢٥٤. المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١ ـ ٢٠ ج).

٢٥٥. المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة (١ ـ ٢٠ ج).

٢٥٦. معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف إليان سركيس (المتوفى: ١٣٥١هـ)، طبعة ١٤١٠هـ، مطبعة بهمن، قم، منشورات مكتبة المرعشي (١ ـ ٢ ج).

٢٥٧. معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي (المتوفى: ١٤١٣هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ (١ ـ ٢٤ ج).

٢٥٨. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد (المتوفى: ٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٢٥٩. معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٠. معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، اعتنى بنشره وتصحيحه معظم حسين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

٢٦١. المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أبو جعفر الأسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي (المتوفى: ٢٢٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي.

٢٦٢. المغني (شرح مختصر الخرقي): موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمود الحلو، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر.

٢٦٣. مغني المحتاج: محمد بن الشربيني (المتوفى: ٩٧٧هـ)، طبعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١ ـ ٤ ج).

٢٦٤. مقتل الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (المتوفى: ١٥٧هـ)، تحقيق: ميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨هـ، المكتبة العامة للسيد المرعشي، قم.

٢٦٥. مكاتيب الرسول: الأحمدي الميانجي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (١ ــ ٣ ج)، دار الحديث، طهران.

٢٦٦. الملاحم والفتن: السيد ابن طاووس (المتوفى: ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى، طبعة ١٥ شعبان ١٤١٦هـ، مطبعة نشاط، أصفهان، مؤسسة صاحب الأمر (عجل الله فرجه)، ملاحظة: التشريف بالمنن في التعريف بالفتن المعروف بالملاحم والفتن.

٢٦٧. من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي: خيثمة بن سليمان بن حيدرة أبو الحسن الأطرابلسي (٢٥٠ ــ ٣٤٣هـ)، المحقق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٦٨. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، جامعة المدرسين، قم (١ ـ ٤ ج).

٢٦٩. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، جامعة المدرسين، قم (١ ـ ٤ ج).

٢٧٠. المناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الله الحسن (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مطبعة مهر، قم.

٢٧١. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (المتوفى: ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ، مطبعة محمد كاظم الحيدري، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١ ـ ٣ ج).

٢٧٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي القاضي (كان حياً: ٣٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، (١ ـ ٢ ج)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

٢٧٣. المنتخب من مسند عبد بن حميد: أبو محمد عبد بن حميد (المتوفى: ٢٤٩هـ)، تحقيق: السيد صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

٢٧٤. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ)، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٥. مواقف الشيعة: الأحمدي الميانجي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، قم المقدسة (١ ـ ٣ ج).

٢٧٦. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله (٩٠٢ ـ ٩٥٤هـ)، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، نشر: دار الفكر، بيروت (١ ـ ٦ ج).

٢٧٧. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (١ ـ ١٢ ج).

٢٧٨. موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام: الحاج حسين الشاكري (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مطبعة ستارة، نشر الهادي، قم (١ ـ ٧ ج).

٢٧٩. الموضوعات: ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٢٨٠. الموطأ: مالك بن أنس أبو عبد الله إمام دار الهجرة الأصبحي (٩٣ ـ ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (١ ـ ٢ ج).

٢٨١. ميزان الحكمة: محمدي الريشهري (معاصر)، تحقيق: دار الحديث، الطبعة الأولى (١ ـ ٤ ج).

٢٨٢. النص والاجتهاد: السيد عبد الحسين شرف الدين (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: أبو مجتبى، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم.

٢٨٣. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي (المتوفى: ١٣٥٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الثقافة، قم المقدسة.

٢٨٤. نصب الراية لأحاديث الهداية: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: محمد يوسف البنوري، طبعة ١٣٥٧هـ، نشر: دار الحديث، مصر (١ ـ ٤ج).

٢٨٥. نضد القواعد الفقهية: المقداد السيّوري الحلي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، تحقيق: الكوهكمري،، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم.

٢٨٦. نظم المتناثر من الحديث المتواتر: الكتاني جعفر الحسيني الإدريسي، طبعة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٧. نظم درر السّمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين: جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي (المتوفى: ٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة.

٢٨٨. النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام مجد الدِّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن الجزري ابن الأثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ)، المحقق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، نشر: المكتبة العلمية، بيروت (١ ـ ٥ ج).

٢٨٩. نهج السّعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف (١ ـ ٨ ج).

٢٩٠. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٥هـ)، طبعة ١٩٧٣هـ، نشر: دار الجيل، بيروت (١ ـ ٩ ج).

٢٩١. الوافي بالوفيات: صلاح الدِّين أبو الصفاء خليل بن أيبك الصفدي، اعتناء هلموت رينز، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، توزيع مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٩٢. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام): محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى: ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ (١ ـ ٣٠ ج).

٢٩٣. وقعة صفين: المنقري نصر بن مزاحم (المتوفى: ٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ، نشر: المؤسسة العربية الحديثة.

٢٩٤. يتيمة الدهر: الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، شرح وتحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١ ـ ٥ ج).

٢٩٥. ينابيع المودة لذوي القربى: الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (المتوفى: ١٢٩٤هـ)، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، مطبعة أسوة، (١ ـ ٣ ج).

المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر